

المركز القومي للترجمة

كارول شيلدز

إلا إذا

ترجمة

كريم هشام

2245

سلسلة
الابداع
القصصي



المركز القومي للترجمة

إلا إذا

(رواية)

تأليف: كارول شيلدز

ترجمة: كريم هشام



2013

المركز القومى للترجمة
تأسس فى أكتوبر ٢٠٠٦ تحت إشراف: جابر عصفور

إشراف: كاميليا صبحى

سلسلة الإبداع القصصى
المشرف على السلسلة: خيرى نومة

- العدد: 2245
- إلا إذا
- كارول شيلدز
- كريم هشام
- اللغة: الإنجليزية
- الطبعة الأولى 2013

هذه ترجمة:

UNLESS

By: Carol Shields (1935 – 2003)

Copyright © 2002 Carol Shields Literary Trust

Arabic Translation © 2013, National Center for Translation
This edition published by arrangement with Random House
Canada, an imprint of the Knopf Random Canada Publishing
Group which is a division of Random House of Canada Limited.

All Rights Reserved

حقوق الترجمة والنشر بالعربية محفوظة للمركز القومى للترجمة
شارع الجبلية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة . ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٠٤
El Gabalaya St. Opera House, El Gezira, Cairo.
E-mail: egyptcouncil@yahoo.com Tel: 27354524 Fax: 27354554

شيلدرز، كارول.

إلا إذا: رواية / تأليف: كارول شيلدرز؛ ترجمة:
كريم هشام. - القاهرة : الهيئة المصرية العامة
للكتاب، ٢٠١٢.

٢٧٢ ص ! ٢٠ سم. - (المركز القومي للترجمة)

٩٧٨ ٣٤٥ ٤٤٨ ٩٧٧

١ - القصص الإنجليزية.

أ - هشام، كريم. (مترجم)

ب - العنوان.

رقم الإيداع بدار الكتب / ١٠٢٠٧ / ٢٠١٣

I. S. B. N 978 - 977 - 448 - 345 - 5

٨٢٢ ديوى

تهدف إصدارات المركز القومي للترجمة إلى تقديم الاتجاهات والمذاهب الفكرية المختلفة للقارئ العربي، وتعريفه بها. والأفكار التي تتضمنها هي اتجاهات أصحابها في تناقضاتهم، ولا تعبر بالضرورة عن رأي المركز.

المحتويات

11	ها نحن نبدأ
29	تقريبا
37	في أحد المرات
63	مع ذلك
85	إذا
97	وإلا
119	بدلا من ذلك
135	هكذا
147	حتى الآن
159	بقدر ما

163	من ذلك
179	كل
191	بخصوص
195	لذلك
203	التالي
213	ومع ذلك
221	وحيثها
227	بالرغم من ذلك
231	في هذه الأثناء
237	بعد ذلك
243	بصعوبة
249	منذ ذلك الحين
257	فقط
261	إلا إذا
269	في هذا الاتجاه
279	أيا كان

287	أى شيء
291	إذا
301	أبداً
313	ولهذا
317	على الفور
331	بما أن
339	البداية
345	بالفعل
351	حتى هذه اللحظة
357	ليس بعد

إلى عذرى وجائى

لو كانت لدينا رؤية ثاقبة عن الحياة الإنسانية العادية،
فكانما تستمع إلى العشب وهو ينمو، ونبضات قلب
السنجب، ولابد أن نموت من ذلك الصراخ الذى يكمن
على الناحية الأخرى من الصمت.

جوج إلليوت

ها نحن نبدأ

يتتصادف أننى أمر الآن بفتررة من عدم الرضا والإحساس بالضياع، وطوال حياتى كنت أسمع الناس يتحدثون عن كونهم يعيشون فى ألم شديد، وإفلات من الناحية الروحانية والجسدية، ولكننى لم أفهم قط ما يعنونه بكلمة أن تخسر أو أن تكون قد خسرت. اعتقدت أن لحظات اليأس والظلم التى تزورنا، لم تكن تستغرق سوى بضع دقائق أو ساعات، وبين نوبات الحزن ينشغل هؤلاء التعساء بالسعادة مثلاً تماماً. ولكن ليست السعادة كما تصورتها، فالسعادة هي ذلك اللوح الزجاجى الذى تحمله فى رأسك ويستند كل براعتك كى تظل ممسكاً به، وحينما يتحطم يتوجب عليك الانتقال إلى نوع آخر من الحياة.

لقد عزمت فى حياتى الجديدة، وفي صيف عام ٢٠٠٠، أن "أحسى النعم التى أمتلكها". نصحنى الجميع أن أبدأ باستخدام تلك الاستراتيجية الطاردة، كما لو كانوا يعتقدون أن الخسارة

الفادحة، يمكن حقاً تعويضها بتجديد التقدير لقيمة ما تملكه. لدى زوج يدعى توم، يمنحني الحب والإخلاص، كما أنه أيضاً مقبول الشكل بدرجة كبيرة، فهو طويل إلى حد ما ونحيف، يفقد شعره ولا يزال يبدو جيداً. نعيش في منزل ذي رهن عقاري مدفوع، ويقع منزلنا في التلال المتموجة المزدهرة بمدينة أونتاريو، وهي تبعد ساعة بالسيارة شمال مدينة تورونتو. تعيش اشتاناً من بناتنا الثلاث في المنزل، وهما ناتالي: 15 عاماً وكريستين: 16 عاماً؛ تعيشان في البيت، ذكيتان و مليئتان بالحيوية وجذابتان وعطوفتان، رغم أنهما قد شاركتا أيضاً في الخسارة، وكذلك فعل توم.

وأنا لدى الكتابة.

يقول الأصدقاء: "لديك الكتابة". وتتردد الكلمة وكأن كورالأبيهمم: "ولتكن لديك كتاباتك يا ريتا". ليس هناك من لديه القسوة الكافية ليقول إن حزني سوف يصبح مادة للكتابة في نهاية المطاف، وعلى الرغم من أنهم لم يقولوا ذلك صراحة، فإنهم في الأغلب يعتقدون ذلك.

وهذا صحيح، حيث ينتابني شعور غريب بالراحة الكريهة، بينما أتأمل في سني هذه، الثالثة والأربعين، أو الرابعة والأربعين في سبتمبر القادم، ما قد قمت بكتابته ونشره خلال فترة الصبا والإشراق، قبل أن أفهم معنى الحزن. "كتاباتي"... كتاباتي مهدئ

ضعف يجعلنى أصمد ضد نفسى الخرية، ولكن افتنتت أخيرا
أنها أفضل من عدم وجود سلوى على الإطلاق.

نحن الآن فى يونيو، وفى السنة الأولى من القرن الجديد، وهذا هو ما كتبته حتى الآن فى حياتى. لم أضمن فيه السوناتات التى كتبتها وأنا تلميذة فى المدرسة فى السبعينيات، أو حتى عشرات المقالات النقدية المتملقة التى كتبتها عن الكتب فى بداية الثمانينيات. وأنا لا أضع هذه القائمة على الكمبيوتر ولكن فى وعيى، فهو جهاز أكثر أمنا وأسهل فى الوصول إليه:

١ - ترجمة وتقديم لـ ديوان الشعر الذى كتبه دانيال وسترمان باسم الانعزال فى أبريل ١٩٨١ . قبل أن تولد ابنتنا نورا بشهر واحد، ولدت ولادة طبيعية فى المنزل عن طريق القابلة، كان من الممكن أن تسمع صوت القيثارات فى الخلفية، عدا أنها لم نكن نتفدى على المشيمة، كما كان يفعل بعض أصدقائنا فى ذلك الوقت. اكتسبت لفتى الفرنسية من أمى التى كانت من إقليم كوبيليك، ومن معرفتى بDaniyal من جامعة تورonto، حيث كانت تدرس الحضارة الفرنسية وقت أن كنت طالبة. كانت معلمة فقيرة ومتعددة، ولديها رهبة من الطلاب الأصحاء الذين كانوا يجلسون فى صفها، والذين كانوا يدونون الملاحظات فى تبجيل، ويعمقون فكرتهم القروية البسيطة مما يمكن أن تعنيه كلمة "الحضارة". كانت بالفعل كاتبة معروفة بنثرها الحركى شديد اللهجة، المسلط والخطير فى الوقت

نفسه، وكان أسلوبها هو أن تأخذ القارئ على حين غرة؛ فبينما كنت تقرأ في منتصف فقرة عادية وطويلة، ومخدوع بواجل من الأفكار الحميمية، تقابلك جملة صعبة الفهم.

لاأشعر بالارتياح التام عند الادعاء أن ديوان الانعزال من كتاباتي، ولكن الدكتورة وسترمان، في واحدة من إيماءاتها المتعجلة، أصرت على أن الترجمة، وخاصة ترجمة الشعر، عمل إبداعي، وقالت إن الكتابة والترجمة شيئاً مبهجان، ولا يتعارض أحدهما مع الآخر، ولا يعلو أحدهما فوق الآخر. ومن المؤكد أنها كانت لتقول أن ترجمتي لديوانها عمل إبداعي، على الرغم من أننى لم يكن لدى أدنى فكرة مما كنت أتحدث عنه.

لقد استحوذت عليه مؤخراً، وبينما كنت أراه انتابتنى نوبة من الخجل، كما كانت تسميه إحدى صديقاتى وتدعى لين كيلى، إن ما أراه الآن هو الطموح، حول الجزء الذى يتحدث عن "الفن الذى يغير اليأس من الحياة إلى "كسر طفيف"، ومحاولات الشعر كى يصلح الفجوة بين ما هو واجب وما هو لا شيء"، ما الذى كنت أعنيه؟ قد يكون الإكثار من دريدا^(*) هو المشكلة. لقد كنت منخرطة فى كل هذا بشكل كبير فى بداية الثمانينيات.

٢ - أتى بعد ذلك "سطوع نجم" وهى قصة قصيرة ظهرت فى مختارات من أصوات شباب أونتاريو (دار بينك أوبيون للنشر، ١٩٨٥)،

(*) دريدا: فيلسوف وناقد فرنسي معروف بصعوبته.

من الصعب أن أصدق أننى كنت "صوتا شابا" في عام ١٩٨٥، ولكن في الواقع كان عمري حينها ٢٩ عاما فقط، وكانت أمي لنورا التي كانت في الرابعة من عمرها، وأختها كريستين التي كانت في الثانية، وكانت في طريقى لإنجاب ناتالى، ولكن هذه المرة في المستشفى. لدى ثلاث بنات ولم يبلغ من العمر العقد الثالث. اعتاد الناس أن يكرروا سؤالا وهو "كيف وجدتِ الوقت؟" وفي السؤال كنت أرى تلميحا باللوم: هل كنت أهمل صغيراتي من أجل مهنة الكتابة؟ حسنا، الإجابة هي "لا"، حيث إننى لم أفك فى موضوع الكتابة من المنطلق المهني، وإنما كنت أمارس هوايتى التي هي كالкроشيه بالنسبة لآخريات. ولم يمض وقت طويل حتى بدأت أهتم بالموضوع بجدية، وانضمت لورشة محلية "للكتابات"، تجتمع مرة كل أسبوعين لمدة ساعتين، كنا نشرب القهوة ونقضى وقتا طيبا، وكنا نقدر صحبتنا بشدة، مما أدى إلى:

٢ - "الأيقونة"، وهى قصة قصيرة لها طابع قصص هنرى چيمس، ونشرت فى ١٩٨٦. جوين ريدمان وهو المؤلف الوحيد فى مجموعة الورشة الذى له أعمال منشورة، وكان قائدا. كنا نسمى أنفسنا مجموعة جلينمار (وهو اختصار لأسمائنا الأولى: اسم ليس غالية فى الإبداع). قالت جوين يوما وهى تأكل قطعة من الفطير، إنها قد تأثرت بقوسة القصة القصيرة التى كتبتها، وكانت تلك القصة رد فعل على عرض الأيقونة الروسية، التى عرضت فى

معرض الفنون فى أونتاريو. صنفت جوين قصصى الخيالية على أنها حالة فنية من "الاحتضان / إنكار الفن"، ثم ذكرتتا بعد ذلك بالكتاب الشهير "On First Looking Into Chapman's Homer" وحدثتنا عن فلسفة الفن الذى يولد الفن، والفن الذى يعبد الفن، والتى لم أعد أؤمن بها، فإنك إما أن تفعل أو لا تفعل. وقامت مجموعتى - التى تتكون منا نحن الأفراد السبعة هم: جوين، ولورنا، وإيمى الين، ونان، مرسيليا، وأنيتا وأنا، واسمى هو اسمى ريتا وينترز، وينطق اسمى رى، تا - بنشر ما كتبناه فى مجلد بعنوان *الغزو والمقاومة*، ودفع كل منا خمسين دولارا من أجل الطباعة، بيعت الـ ٥٠٠ نسخة بسرعة فى المكتبات المحلية وكان معظمها لأصدقائنا وأسرنا، ثم اكتشفنا بعد ذلك أن النشر كان رخيصا ويا لها من مفاجأة. بعد تلك الواقعية أطلقنا على أنفسنا اسم "Stepping Stone Press" ، وما زرید أن نعبر عنه، هو احتضاننا المعتمد لفكرة النشر لأنفسنا، بالإضافة إلى فكرة أن يكون لدينا أمل فى أننا "سنخطو" إلى عالم النشر الحقيقى فى المستقبل القريب جدا، عدا اثنتين منا لم تكونا تنتظران هذه الخطوة وهما جوين، التى قد دخلت عالم النشر بالفعل، وإيمى التى كانت قد بدأت نشر مقالات افتتاحية فى جلوب آند ميل.

٤ - على قيد الحياة (راندوم هاوس، ١٩٨٧)، كانت هذه ترجمة للمجلد الأول من مذكرات دانييل لسترمان بعنوان "Pour Vivre". قد يبدو أنى أدعى أن الترجمة عمل أصيل، لكن كما قلت من قبل

فإن دانيال هي التي قد حسنت بطريقة جيدة وهي تجده جبينها، أن اعتقاد أن تحويل لغة فرنسية أنيقة، إلى إنجليزية سهلة القراءة ومستقرة هو عمل جمالي. لقى الكتاب استقبالاً حسناً من قبل النقاد وبيع بنسبة معقولة، ورغم أنه كان كتاباً كثيفاً، فإنه نال شعبية جيدة، وقدم بلا أي خجل ولم يكن به ملحوظة هامشية واحدة. لم تلق الترجمة هذا النجاح في تورنento ستار؛ حيث كان هناك من يحاول أن يفشلها، وهو هوارد هارولد ستانلى، ولكن دانييل ويسترمان قالت لى ألا أهتم وأن هذا الرجل كان *Un maquereau* وهي كلمة تعنى قواداً.

٥ - ثم كتبت كتيباً صغيراً ملتاليّاً، أطلقتها جريدة تطلق على نفسها اسم، موسوعة الفن، وأصدرت الصحافة كتيبات صغيرة جداً، وخصصت كلّاً منها موضوعاً واحداً في الفن، وكانت تغطي كل شيء من براك إلى كالدر إلى كلّى إلى موندريان حتى فيلوون. تعاشر المحرر في نيويورك - والذى يعمل عن طريق الهاتف ويداً لـ أنه لا يعرف أي شيء عن جهلى - في قصص القصيرة "الرمز" وأعتقد أنى خبيرة في هذا الموضوع. طلب مني المحرر أن أكتب ٢٠٠ كلمة لمجلد سيسميـه الرموز الروسية، نشر أخيراً في عام ١٩٨٩. استغرق منى هذا العمل عاماً كاملاً لكتابته، حيث إننى كنت منشغلاً أيضاً بتوم والثلاث بنات والمنزل والحدائق والطعام وغسل الملابس والكثير من الانطوائية، وقد نشروا نصي بالفعل، وكانت الكلمات باردة

وهلامية، إلى جانب سلسلة من اللوحات الملونة باللغتين الإنجليزية والفرنسية (لقد كتبت النسخة الفرنسية أيضا) ودفعوا لى ٤٠٠ دولار. تعلمت كل شيء عن مدارس سوزدال وفلاديمير وما جرى في نوفجورود وهو كثير، وتعلمت كيف أن صور القديسين كانت تجعل الناس في العصور الوسطى يرجفون من الخوف، وعلى حد علمي لم يتم استعراض الكتاب، ولكن أستطيع قراءته اليوم دون خجل. لا يمكن أبدا أن تزييف الأشياء عند الكتابة عن لوحات ساذجة، لا تخضع لأى قواعد تخص المنظور، وهي لوحات رسمت أيضا على ألواح من الخشب العادي.

٦ - مر عام بعدها دون فعل أى شيء، وهو ما لم أفهم له سببا، فمنذ أن دخلت بناتي الثلاث مدارسهن، كانت ناتالي تذهب للروضة في الصباح، أعتقد أنتي كنت مشغولة بالتفكير في عمل بوصفي كاتبة، وكانت أيضا مشغولة ما إذا كان غرور توم قد تعرض للتهديد وأنه أصبح في ظل دانيال، وناهيك عن دريدا فقد كنت أحتج إلى مساحة لكتابتي الخاصة، وكانت على مشارف عامي الـ ٢٥ وانتابني شعور لم أشعر به من قبل وهو أنتي كبرت في السن. كانت سنواتي الخمس والثلاثون تروح وتجيء أمامي طوال الوقت، ولم تكن فكرة أنى كبرت في السن تفارق رأسي أبدا، بل كانت هذه الفكرة تقف حائلا أمام ما تمنحه لى حياتي. ولكن لابد أن تأتي السنوات الخمس والثلاثون بشيء ما، حيث إن هذه السنوات لا هدوء فيها.

دائماً ما كانت تصدر صوتاً كالأزيز، وإيقاعات مقتضبة على قطعة من مادة السيلوفان المطوية. (قال جون كوينس آدامز على فراش الموت، إنه لشئ يفوق الخيال وأنا أحبه لذلك.)

لم يكن للألم الذي أشعر به أى داع؛ لم يواجه غرور توم منشوراتي الضئيلة. لقد أصبح واحداً من هؤلاء الرجال الذين كان نشعر بالقلق تجاههم في السبعينيات والثمانينيات، حيث إنه قد يشعر بالضعف عندما يعترف أنه بلا معنى. لم يكن يطلب الكثير ولكن ما كان يطلبه هو الشيء العادي؛ أن يكون رجلاً عادياً في أسرة يحبها. وضمنا كوة للإنارة في غرفة مريعة، واشترينا منضدة مكتب مستخدمة، وجهاز فاكس وكمبيوتر، ثم جلست على الكرسي الخاص بي، ماركة *Freedom Chair* التي اشتريته من الكاتالوج، وترجمت كتاب دانييل ايسترمان العظيم بعنوان *Les femmes et le pouvoir*، نشرت النسخة الانجليزية في عام ١٩٩٢، وهو المجلد الثاني من مذكراتها، وعندما ترجمته إلى الإنجليزية أسميت الكتاب «النساء المنتظرات»، ولن تفهم هذا العنوان إلا إذا كنت قد قرأت الكتاب. (تمتلك النساء القوة، وهي القوة التي يجب استغلالها وإشعالها وتحريرها وما إلى ذلك). لم يعلق أى شخص تعليقاً سلبياً على الترجمة هذه المرة، ولكن على العكس فقد قالت عنها الجلوب إنها «متألقة وسهلة»، وكتبت النيويورك تايمز وصفاً أفضل قائمة بأنها «إنجاز».

قالت لي دانييل ويسترمان وقت نشر مقال "Ma vraie soeur" "أنتِ اختي الحقيقية"، فاحتضنتها. ولم تخمد قط رغبتها في لمسة رقيقة حتى في الثمانينيات من عمرها، ومع ذلك فإن أكثر من يلمسها هذه الأيام، هو طبيبها أو أنا، عندما أحضرتها بشكل أسبوعى أو مدرم الأظافر. إن الدكتورة دانيال ويسترمان هي الشخصية الوحيدة التي أعرفها تقلم أظافرها مرتين في الأسبوع؛ يومي الثلاثاء والسبت (متابعة فقط) وبعدها تحصل على أظافر جميلة وطويلة تتماشى مع عينيها المتسائلتين.

٧ - كنت مصابة بالدوار، وكانت عروض الترجمة تأتيني عبر البريد. وعلى الرغم من أن مجموعة جلينمار كانت تتضاءل، فإني ظللت أفكر أنى قد أكتب قصصا قصيرة. هذا هو ما حدث لبعض الصديقات: حصلت إيمى على وظيفة في نيوفاوندلاند، أما أنيتا فحصلت على الطلاق، وانتقلت جوين إلى الولايات المتحدة، وكانت المشكلة أنى كرهت قصصي القصيرة، وكانت لدى الرغبة في أن أكتب عن النميمة والتلميحات، ولكن هذا النوع من الاضمحلال وضعنى في حالة من الغرابة، ورغم ذلك أعتقد أن الغرابة قد تكون دليلا على شخصية الإنسان. لقد كنت في حرج مما كنت أدخله في جهاز الكمبيوتر الآبل الجديد الخاص بي، وأنا أجلس هناك تحت ضوء الكوة النظيف. كانت لحظات اعترافى خبيثة وثمينة أيضا - وأدركت بعد ذلك - لقد كنت مفتونة بالجملة التي كتبتها وأقول فيها

كانت إلين تضع الجدول وعرفت أن هذه الليلة ستكون مختلفة. كانت هناك حشرة صغيرة تطن في أذني: من يهتم باليمن ومفارشها المنسوجة وأمالها للمستقبل؟

أنا فعليا لا أهتم.

أخبرنى الجميع أنه بما أن لدى ثلاثة أطفال، فيجب علىَّ أن أكتب عن أدب الأطفال، ولكنى لم أستطع. ظلت هذه الفكرة تأتى إلى ذهنى وما يتبعها من أفكار، مثل البط الذى يتحدث، والضفادع التى تقهقه. كنت أريد شيئاً أكثر صرامة ومحتواه أكثر جدية، ولهذا كتبت شكسبير والزهور (سان فرانسيسكو: سيكلون للنشر، ١٩٩٤). تم التفاوض على العقد قبل كتابة كلمة واحدة، ولم يطل الوقت حتى جاءتى حزمة صغيرة من النقود لتجعلنى أبدأ العمل، ووعدونى أنى سأستلم بقية المبلغ عند النشر. اعتقدت أنها ستكون محاولة علمية جيدة، ولكن انتهى الأمر بإنتاج كتيب صغير جداً كهدية، يمكن إرسال هذا الكتاب إلى أي شخص فى القائمة الخاصة بك، تعرف أن مستوى العلمى ضعيف أو متوسط أو شخص لا تعرفه جيداً. بيعت "شكسبير والزهور" كبطاقات معايدة وفي شكل هدايا من الدبية. قمت بعمل مسح بسيط للأمر والتقطت بعض المراجع لنبات نسرين الكلاب (حلم ليلة منتصف الصيف) أو التوت (ترويلوس وكريستينا) ثم كتبت وصفاً صغيراً عن الزهور وتحديث عبر الهاتف مرتين مع الرسام فى بيركلى، وكتبت الكثير من كلمات شكسبير

ليعمل عليها. كان كتابا حلوا وصغيرا، وكانت تكلفته ١٢,٩٥ دولارا أمريكيا. كانت الصفحات الثمانى والستون تتاسب مع إرسالها فى بريد صغير. بيع من الكتب مائتا ألف نسخة، ومازال يبيع على الرغم من أن معدل العائدات أمر مشين، وكانوا يريدون منى أن أكتب شيئا عن شكسبير والحيوانات، وقد بدأت لتوى.

٨ - إيروس: وهى مقالات كتبها دانيال ويسترمان وترجمتها ريتا وينترز فى عجلة، كان كل شيء يتم على عجل فى تلك الأيام ومازال، ونشرت هذه المقالات فى ١٩٩٥، وقد لقيت نجاحا كبيرا بعد دفع مبلغ صغير مقدما. وضعنا الكلب فى بيت ل التربية الكلاب، وذهب توم وأنا والبنات إلى فرنسا لمدة شهر، بأول دفعة من مبلغ الترجمة، ذهبنا تحديدا إلى برجندى الجنوبية فى قرية تدعى لاروش فينيس، حيث ترعرعت دانيال وهى فى منتصف الطريق بين كلونى وماكون، وتتميز بالأسقف المبنية من الطوب الأحمر وسط الكروم المتموجة، وهوائها المتوجه. كان بيتنا الذى استأجرناه مبنيا حول فناء متهدم مليء بالزهور والكوبية القديمة، وسألنا الجيران الذين دعونا إلى وجبة فاتحة للشهية عن عمر هذا البيت، وقالوا أنه "قديم جدا" وهذا كل ما استطعنا معرفته. كانت أحجار الحوائط بسمك قدمنين. أخذت البنات الثلاث دروسا فى التنس فى L'ecole d'ete، وذهب توم للبحث عن ترايلوبيت (حيوان غير فقاري منقرض) بسعادة تحت الشمس الفرنسية، بينما جلست أنا على

كرسى مصنوع من قصب السلال فى الفناء الملىء بالورود، وكنت أرتدى سروالاً قصيراً وصديرية نسائية، وكنت حافية وعلى رأسى قبعة من القش المرن وأنا أقرأ روايات يوماً بعد يوم، وكنت أفكّر: أريد أن أكتب رواية عن شيء يحدث، عن شخصيات تتحرك عكس "هناك"، كان هذا حقاً ما أريد فعله.

عندما أنظر للوراء بالكاد يمكننى أن أؤمن بوجود مثل هذه البراءة، لم أكن أفكّر في أن بناتنا يكبرن ويترکن المنزل ويبتعدن عنا. كانت نوراً دائماً طفلاً جيدة وسهلة الانقياد، ثم أصبحت فتاة جيدة ومطيبة. تبلغ نوراً من العمر الآن تسعة عشر عاماً وهي مليئة بالطيبة، حتى إنها في ركن بأحد شوارع تورنتو ومعها نصوصها الخاصة بالآثار القديمة، ومع ذلك فمن المحتمل أنها لا تعرف شيئاً عن هذا، وتجلس نوراً تحت عمود إضاءة في الشارع وهو نفس المكان الذي شنق فيه الشاعر إيد لوينسكي نفسه عام ١٩٩٥، وهو أيضاً نفس المكان الذي خرجت منه مارجريتا توليس من نفق مظلم إلى ضوء الشمس في الدولة التي تبنتها، وقررت كتابة مسرحية عظيمة. تجلس نوراً وقدماها متقطعاً وهي تحضرن سلطانية للشحاذة ولا ترغب في أي شيء على الإطلاق من هذا العالم، وفي نهاية اليوم توزع تسعة عشر ما جمعته على آخرين ممن يعيشون في الشارع، وتعلق نوراً على صدرها ورقة مقواة (ورق كرتون) كتبت عليها بقلم أسود كلمة واحدة – الخير.

على الرغم من أن الكلمات هي مهنتي، فإنني لا أعرف حتى ما تعنيه هذه الكلمة. اكتشفت في اليوم التالي وأنا أبحث في الإنترنت أن الكلمة القديمة *wearth* تعنى "منبوز"، وأن الكلمة الأخرى التي تشبهها والتي تختلف معها في المعنى هي "ذو قيمة" - إننا نعرف ما يعنيه هذا ونعرف كيف نشكك في الأمر. لقد فهمت نورا كلمة *wearth*، هذا هو العالم الذي استحقته، عالم كامل قائم على السكون، وقف سهل للغاية، هكذا قالت الأم المفجوعة، من السهل أن تجد هذا المكان، وأن تحافظ عليه مع بعض التدريب الكافي. يمكن الوصول لأعلى نقطة تركيز عن طريق المناقشة والمرونة اللاذعة والصلصة الحارة والساخنة والثورة والوشم واللسان البذىء والشعر الأرجوانى الثابت، ولكن لا، فإن نورا تجسد عدم الظهور والخير معاً، أو على الأقل هي في الطريق لذلك، كما أخبرتني في آخر حوار بيننا والذي كان منذ ثمانية أسابيع، وتحديداً في الحادى عشر من أبريل. لقد ارتدت نورا بنطالة من الجينز البالى في هذا اليوم، وشالا خشنًا منقوشاً عليه مريعات ملونة، وكان يبدو كأنه غطاء سيارة وكان شعرها الطويل الضعيف متلبداً. لقد رفضت أن تنظر في أعيننا، ولكن عينيها ومضتها بالسكر، وهذا ما أنا متأكدة منه، عندما ناولتها كيساً به ساندوتشات جبنة، وعندما أسقطت توم ورقة بقيمة عشرين دولاراً في حجرها، ثم تكلمت بعد ذلك على طريقتها الخاصة، ولكن كان كلامها خالياً من التواصل. لم يكن بإمكانها

العودة للمنزل حيث كانت في طريقها للخير. وفي هذه اللحظة، كنت أنا أمها غائبة عن ذاتي أكثر مما كانت هي، وهذا ما شعرت به. لقد كانت مخلصة، ولم يكن من الممكن أن تتحرف عن طريقها، ولم يكن بإمكانها أن تكون "معنا".

كيف حدث هذا الجزء من حياتنا؟ نحن نعرف تماماً أنه لم يحدث، بسبب سير الأحداث العادي في حياتنا. فتاة ذكية وجميلة ترعرعت وسط أسرة متحابة في أورانج تاون بمدينة أونتاريو، وأمها تعمل كاتبة والدها طبيباً، ثم فجأة تخرج عن هذا الإطار بالكامل. لا يوجد ما هو طبيعي حول نشوء حبها للخير، ويبدو أنه حدث بشكل مفاجئ وcas، وهذا الإحساس يقتضى. ما سيقتنا حقاً هو أن يأتي اليوم الذي لا نجدها فيه تجلس على الرصيف في المربع الذي اختارته لنفسها.

لم أكن أعرف أياً من هذا، عندما جلست في حديقة بورجوندي أحلم بكتابه رواية، ظننت أنني فهمت شيئاً عن أسلوب بناء الرواية، المنحدر اللطيف للمآذق، الخصال الناعمة للتفصيلة السطحية، حساب صعود المفهنى بشكل لا يمكن تجنبه، ثم بعد ذلك النهاية وهى تغير السبب والنتيجة وتجميع كل الشخصيات معاً فى إطار دائرة أوبرالية من العزاء والنشوة، وخلفية من ألياف ضوئية ذهبية، فقط من أجل لحظة من الصفحة الثانية للأخيرة، فقط من أجل جزء لا يكاد نشعر به من الزمان.

لدى فكرة من أجل روائي، بذرة ولا شيء أكثر من ذلك، تقدم شخصياتان جذابتان نفسيهما؛ رجل وامرأة واسمها أليسيا ورومان يعيشان في ويشود، وهي مدينة بحجم مدينة تورونتو، وهما يحدثان صخباً ومرحاً ويتشبهان بالجزيرة التي تعد معضلة حياتهما، فهما يتوقعان إلى الحب، ولكنها يسعين بأنانية للاحفاظ على نفسيهما. يفتخر رومان بأنه سريع الغضب والتقلب، وتعتقد أليسيا أنها مولعة بالتأمل، ولكن عملها كمحرر مساعد في مجلة أزياء يجعلها مشغولة عن موضوع التأمل.

٩ - لدى عنوان وهو *My Thyme Is Up* وهو تورية بالطبع، وقد تذكرته من نكتة قديمة، وكانت أتعمد أن أكتب رواية مضحكة وخفيفة الظل، رواية تقرأ في الصيف، رواية تقرأها أثناء جلوسك على مقعد مصنوع من الخوص ماركة إيكيا، وأشعة الشمس تتهاوى برقة على الصفحات وكأن الشمس تتنفس مثلنا. من الطبيعي أن تنتهي الرواية نهاية سعيدة، لم أكن أشك مطلقاً في قدرتى على كتابة هذه الرواية وهو ما فعلته عام ١٩٩٧، وقد كتبت هذه الرواية بسرعة وبهدوء خلال ثلاثة أشهر مظلمة في فصل الشتاء عندما كانت البنات تذهبن إلى المدرسة طوال اليوم.

١٠ - السنوات الوسطى، وهي ترجمة المجلد الثالث من مذكرات ويسترمان وستتصدر هذا الخريف. يكشف المجلد الثالث علاقات الحب الكثيرة لويسترمان مع كل من الرجال والنساء، ولن يكون أى

من هذا صادماً أو مدهشاً لقرائها، ولكن الجديد هذه المرة هو- الليونة والقوة الموجودة في جملها. كانت دائماً فنانة تكتب بإيجاز ونكران للذات، وقد وصلت في سنها الكبيرة إلى مستوى رائع من الانسياب والتطور في كتابة الجملة. لم تبدأ ترجمتها في التعبير عمّا وصلت إليه. كان الكتاب قوياً وعاطفياً، وهذا يؤدي لوجود التوازن، وكل صفة منهم تندى الأخرى، وهذا شيء في غاية الغرابة. يمكنني تصور أن حبوب الكالسيوم التي كانت تتناولها دانيال كل صباح بكثرة وفيتامين (هـ) والحبوب المصنوعة من زيت طائر الإيمو، قد أثرت بشكل مباشر على لغتها، وبذلك فإن ما تكتبه على الورق يكون أكبر وأكثر جاذبية وأكثر إنكاراً للذات عن أي شيء كتبته قبل ذلك، وكل ذلك ينمو ويكون قصيراً، مع القليل من نسخة الاستسلام لخبرتها الشخصية، وهي تدعو قراءها للإيمان بكلية تخليها عن حماستها.

إما هذا، أو إنها كبرت في السن بشكل أصبح له تأثير جيد عليها، مما أعطاها حرية كبيرة في اللغة في سنها الكبيرة، وقد راودتني هذه الفكرة أكثر من مرة.

طرأت على ذهني فكرة أخرى، وكانت ناعمة مثل النسيم أمام نافذة شبكية. أفتقد شيئاً ما في هذه المذكرات، أو هذا ما أظنه من نظرتي الأنوية، أو النابعة من حب الذات. لقد عانت دانيال ويسترمان، فقد شعرت بوجودها وحيدة فجأة، وغاب عنها الحب

الجنسى وخيانة جسدها الأنثوى، لم يكن لها شريك، لم يكن لديها شخص يعتبرها أهم شخص فى الحياة بالنسبة له، ولم يكن لها من تعتمد عليه كما أعتمد أنا على توم، لم يكن لديها طفل أو أى صلة دم مازالت على قيد الحياة. من أجل هذا الأمر، وربما هذا هو السبب الذى يجعل مذكراتها طفولية، فهى تناسب مثل الحليب الطازج الملىء بالرغوة والذى ينساب على الزجاج.

١١ - لم يكن على أن أذكر الكتاب الحادى عشر، لأنه لم يكن أمرا واقعا، ولكننى سأذكره. سأكتب رواية ثانية وستكون تكملة لرواية My Thyme Is Up، وقد نويت أن أبدأ اليوم كتبت الجملة الأولى على الكمبيوتر الخاص بي: "لم تكن أليسيا سعيدة كما تستحق أن تكون".

ليس لدى أدنى فكرة عما سيحدث فى هذا الكتاب، فهذا تجريد تام للحظة، شيء ظهر من تحت الأرض مثل أنف دائرة الشكل لزعفران على عشب بارد. لقد تعثرت فى هذه الفكرة بطريقتى الخرقاء. ولن تخفت رغبتي الشديدة فى كتابته، سيكون هذا الكتاب عن الأطفال الضائعين، وعن الخير وأن تذهب للبيت وأن تكون سعيدا، وتحاول أن تبقى رسم الصفحات المطبوعة أمام عينيك، وأنا متلهفة لأعرف كيف ستنتهي القصة.

تقريبا

مر من عام ٢٠٠٠ أكثر من نصفه حتى الآن، وعندما اقترب شهر أغسطس أتى صديق توم القديم، كولين جلاس، ليتناول معنا العشاء ذات ليلة وقد أتى من تورنتو، حاول أثناء شرب القهوة أن يشرح لي نظرية النسبية.

كنت أنا من دعوته للبدء في هذا الموضوع، فالنسبية هي جزء من المعرفة، لطالما أردت فهمه وهي جزء كبير من المعرفة، ولكن من كانوا يشرحونها لي كانوا يميلون إلى السرعة، أو إلى تجاوز خطوة يفترضون أن المستمع إليهم استوعبها بالفعل. وبينما أن هناك من فهم النسبية لمرة واحدة فقط في العالم وهو أينشتاين، ثم ثلاثة شخصان ثم ثلاثة أو أربعة، وفي الأغلب لدى من يدرسون الفيزياء بالمدارس الثانوية فكرة على الأقل عن النسبية، أو هكذا قالوا لي، ما هو مدى صعوبتها؟ وطبقاً لما قاله كولين فقد تطورت الفكرة من تكهنات مجنونة إلى حقيقة مؤكدة، مما جعل فهمها أمراً أكثر

أهمية. لقد حاولت أن أفهمها ولكن بيدو أن استيعابي كان ضعيفا. حسنا، إن سرعة الضوء ثابتة، هل هذا هو كل شيء؟

كعادتى فأنا أحب هذه الأمسيات الطويلة فى أغسطس، وتدفق الضوء الكهرمانى الذى يسقط على حوائط غرفة الطعام البيضاء مباشرة، قبل تدفق الظلال المنفصلة للشبق، مع الأوراق الدائرية التى تخفق ظلالها الدائرية وهى تبدو كالأشباح. استمعت طوال اليوم إلى أصوات الطيور الصغيرة فى الغابة التى تكمن خلف بيتك، وتشبه أصواتها النشيد الوطنى لكندا، على الأقل فى الفاصل الموسيقى. كان الصيف يتلاشى ولكن على مهل، كنا لنتناول الطعام بالخارج لولا أن هناك دبابير، ما الذى يمكن أن يشتته المرء أكثر من وجبة طعام جيدة مع صحبة جيدة؟ ولكننى ظللت أفكر فى نورا وهى جالسة فى مريعها على الرصيف وهى تمسك بالورقة الكرتونية المكتوب عليها "الخير"، ثم تهت من كولين ولم أدر ما الذى كان يقوله.

الطاقة = الحجم × السرعة^٢ ، وأثارت دقة المعادلة شكوكى على الفور، فكيف للحجم - طاولة الطعام من البلوط على سبيل المثال - أن يكون لها أى علاقة بسرعة الضوء؟ فهما شيئاً مختلفان تماماً. كان كولين الفيزيائى صبوراً على اعتراضاتى، فأخذ منديله المصنوع من الكتان وفرده بقوة على فنجان قهوته، ثم أخذ كريزا من صحن الفاكهة، ووضعه على المنديل لأجد نقرة صغيرة، ثم أمال الكأس

قليلا لأجد قطعة الكرز تدور حول سطح المنديل. تحدث كولين عن الطاقة والحجم، ولكن كنت قد فقدت بالفعل خيطا هاما في النقاش. كنت قلقة بعض الشيء على قهوته من أن تنسكب على المنديل وتلطخه، وفكرة كم عانيت وحدى في السنوات الأخيرة مع المناديل القماشية، فلم يعد هناك من يقوم بعمل مناديل حقيقة باستثناء دانيال ويستerman، وكان السائد أن النساء المهنئيات حديثا لديهن أشياء أفضل يقمن بها بدلا من غسل الكتان.

قد كنت نسيت تماما من الآن ما كان يمثله الكرز (أكثر من أربعة دولارات للنصف كيلو)، وما كان من المفترض أن تعنيه الفمامزة الصغيرة. تحدث كولن بشكل مستمر وبدا توم - وهو طبيب العائلة ولديه خلفية علمية كبيرة - وكأنه يتبع الحديث، على الأقل كان يومئ برأسه بشكل لائق. استاذنت حماتي "لويس"، وبأدب جم أن تعود إلى بيتها في المسكن المجاور، ولم تكن لتفوت أبدا أخبار الساعة العاشرة، حيث إن مشاهدتها لأخبار الساعة العاشرة تساعد كندا على التقدم للأمام. تركت كل من كريستين وناتالي طاولة الطعام منذ وقت طويل، ويمكنني أن أسمع من هنا صوت التلفاز العالى وضجيجه فى الغرفة الصغيرة التى نجلس بها.

جلس حيواننا الأليف "بيت" - وهو كلب صيد رائع - بشعره الأشعث تحت الطاولة وهو يتثاءب عند قدمى ويتحرك بكامل جسده، وأجده فى بعض الأحيان أثناء حلمه يتاؤه وأحيانا يضحك

فى سعادة. وجدت نفسي أفكرا فى ماريتا زوجة كولن، التى كانت قد حزمت أمتعتها منذ عدة أشهر، وانتقلت إلى كالجاري لتعيش مع رجل آخر، وكانت تدعى أن كولن منشغل بشدة فى أبحاثه والتدريس "كيف تكون شريكاً حقيقياً". ماريتا امرأة جميلة ولها عنق مثل ساق النبات، ودائماً ما كانت تلمع إلى أن هناك مشاكل عاطفية فى زواجهما. لقد رحلت بشكل مفاجئ وبرود، وقد صدم هذا كولن ولم يكن لديه أدنى فكرة عن الأمر؛ وكان قد أخبرنا فى أيام سابقة أنها لم تكن سعيدة طوال هذه السنوات، ولكنه وجد مذكراتها فى درج المكتب وقرأها، وقد وجدها مليئة بالسأم وعلم أن هناك فجوة كبيرة من سوء التفاهم تفصل بينهما.

لماذا ترك امرأة مذكراتها اليومية وراءها؟ بالطبع كى تعاقب وتجرح. إن كولن بنسبة كبيرة رجل مهذب وطيب القلب، وقد اعتاد أن يخاطبها بطريقة جافة وفيها نوع من التوجيه، وكأنها طالبة فى الدراسات العليا وليس زوجته. وسألها ذات مرة أثناء تناولنا العشاء فى منزلهم قائلاً: "لا تقولوا لي أن هذه جبن معالجة". وقال لها فى مرة أخرى: "هذه القهوة غير صالحة للشرب". لقد كان من نوع الرجال الذين يحبون المتعة، وكان يعتبرها أمراً مسلماً به، ولم يكن يتحمل الصرخات القليلة النابعة من الغضب، عندما لا تتواجد المتعة. يمكن أن تدعوه بريئاً فى توقعاته، وفي الأغلب فقد كان ساذجاً فى هذه الأمسيات من شهر أغسطس بالتحديد، بدا كما لو

كان وحيداً في غرفة مثل القبو ويتردد صداه بداخله، في حين وقف توم وأنا خارج الباب، نلتقط فيض مشاعره، واللمحة الغريبة لذكائه الغريب والهادئ، حتى أن المنطقة الصغيرة تحت عينيه كانت فاترة قليلاً. لم يكن شخصاً سطحياً، ولكن ربما شك أننا نحن السطحيون. واضطررت أن أمنع نفسي من مقاطعته بنكتة أو مزحة، فالبأ ما أفعل ذلك، إنني خائفة: أطلب تفسيراً للأشياء ثم أهيء وحدي مع أفكارى.

كيف يمكن من الجلوس بهذا الهدوء على الطاولة، ويلعب بحبات الكرز وأكواب القهوة، ويلفف طرف الطبق المصنوع من القش ويعطينا هذا الكم الهائل من المعلومات؟ كان الوقت قد اقترب من منتصف الليل وعليه أن يقود السيارة لمدة ساعة قادمة. أتساءل فيما ستفيد نظرية النسبية في حياته الحالية؟ إن كولن بمواصفاته الدقيقة وشاربه المذهب، كان يتعامل بسهولة مع الأفكار الكبيرة مثل النسبية. إن النسبية كنظرية تحمل جميع أنواع "المفاهيم" الهامة معاً بكل دقتها وأناقتها، ثم قال لي محاولاً شرح النسبية، فكرى في كيفية وضع الصمغ بكثرة، وفكري في قوة التخمين الصائب والذكي، فمثل هذا المنظور المسيطر كان واضحاً وجلياً في البداية، ولكن تم تقييمه وتدعيمه أيضاً، وعلاوة على ذلك أصر كولن على أنه مفيد. يمكن افتراض أهمية نظرية النسبية في مواجهة الشكوك الموجودة في الحياة، ثم وضعها جانباً كجزء من مجموعة الوعى.

أنهى حديثه بشكل غير ملائم، وجلس فى مقعده فاردا ذراعيه الطويلتين، ويبدو أنه أراد قول: "إذا"، وبدا وكأنه سيقول أن هذا هو كل ما فى الأمر، أو أن هذا أقصى ما يمكننى فعله لتبسيط وشرح مثل هذه الفكرة العبرية، نظر إلى ساعته ثم جلس مرة أخرى، كان يبدو عليه الإنهاك، ولكنه كان سعيدا بنفسه. كان يرتدى قميصا من القطن المضغوط بقوة وبه خطوط زرقاء وصفراء، وكان القميص موضوعا داخل البنطال الجينز الأسود بعنایة. لم يكن يهتم إطلاقا بالملابس، وأزعم أن هذا القميص معه منذ أيام زواجه، وقد اختارتة ماريتا بنفسها وكوته ثم علقته على شماعة، ربما كان هذا منذ الصيف الماضى.

إن نظرية النسبية لن تعيد زوجة كولن مرة أخرى إلى البيت الحجرى القديم على طريق أوريول باركواى، ولن تعيد ابنتى نورا للمنزل من الركن الذى تجلس فيه بشارعى باثورست وبلور أو فندق "بروميس" الذى تبىت فيه ليلا. تبعتها أنا وتوم فى أحد الأيام فكان لابد لنا أن نعرف كيف تدبر أمورها وإذا ما كانت فى مأمن، وكان الجو يميل للبرودة، فكيف ستتحمل البرد؟ إنها فتاة محصنة ضد البرد ومتسخة وشعرها غير مشط.

قلت لكولن بعد صمت دام لعدة دقائق: "هل يمكن أن تقول إن نظرية النسبية قللت من أهمية الصلاح والفسوق فى العالم؟"

فحدق إلى وقال "إن النسبة ليس لها موقف أخلاقي، ولن يكون لها". ("هذه القهوة غير صالحة للشرب").

نظرت لتوم كى يدعمنى فى هذا الموقف، ولكنه كان يحدق فى السقف مبتسمًا بعينيه الرقيقتين، أعرف تلك الابتسامة.

ثم التفت إلى كولن وقلت: "أليس ممكناً أن نظن أن الصلاح أو الفضيلة إذا كنت تحب أن تسميها هكذا، يمكن أن يصبح موجة أو جزءاً من الطاقة؟

فقال: "لا، ليس ممكناً".

فقمت بحركة مفاجئة لتنظيف الطاولة، فقد شعرت فجأة بالإنهاك.

ما زلت ممتنة للصداقة والفكر الإنساني، لرجل متواضع مثل كولن جلاس الذى بالرغم من معاناته وإحراجه، أرادنى حقاً أن أفهم مفهوماً أساسياً للقرن العشرين، أم كان ببساطة يحول نفسه لمدة ساعة؟ هذا ما يجب على أن أتعلمه: فن التحويل. لم يقل كلمة عن ماريتا طوال الليل، وفهم توم وأنا أنه يعيد بناء حياته بدونها، ولكن الابنة شيء مختلف، فلا يمكن بأى حال من الأحوال نسيان ابنة في التاسعة عشرة من عمرها.

فى إحدى المرات

كان معروفاً أنى من سأقوم بالدعـاية للمجلد الثالث من مذكرات دانيال ويستـرمان كما أفعل دومـاً، فقد أصبحت عجـوزاً في سن الثـامنة والـخمسين، ولكن مـميزة لـلـغاـية، كـي تـقضـى يومـاً في تورـنـتو في إـجـراء المـقـابـلات بالـرـغـم منـ أـنـها تـقيـمـ هـنـاكـ، وـيمـكـنـي كـمـتـرـجـمةـ وـبـكـلـ سـهـولـةـ تـلقـىـ أـسـئـلـةـ منـ الصـحـافـةـ. ثـمـ نـظـمـ النـاـشـرـ جـدوـلاـ زـمنـياـ خـفـيفـاـ لـأنـ الدـكـتـورـةـ ويـسـتـرـمانـ تـمـتـلـكـ بـالـفـعلـ جـمـهـورـاـ عـرـيـضاـ مـخلـصـاـ لـهـاـ.

قدـتـ السيـارـةـ إـلـىـ أـورـانـجـ تـاـونـ فـيـ بدـاـيـةـ سـبـتمـبرـ، وـكـانـتـ هـادـئـةـ فـشـوارـعـهاـ الرـئـيـسـيـةـ عـلـىـ الطـراـزـ الـقـدـيـمـ وـتـمـيـلـ لـأـنـ تـكـوـنـ جـزـءـاـ مـنـ الـرـيفـ، أـمـاـ مـديـنـةـ تـورـنـتوـ فـهـىـ أـثـرـيـةـ وـتـبـدوـ وـحـيدـةـ وـتـتوـهـجـ أـمـامـ، تـبـدوـ ضـواـحـيـهاـ وـكـانـهاـ مـرـهـقـةـ، وـعـلـىـ الرـغـمـ مـنـ ذـلـكـ تـبـدوـ مـخـارـجـهاـ الـرـقـمـةـ وـكـانـهاـ مـنـظـمـةـ بـشـكـلـ مـعـيـنـ. لـمـ يـكـنـ هـنـاكـ تـكـدـسـ مـرـورـيـ، وـقـدـتـ السـيـارـةـ بـبـطـءـ حـولـ رـكـنـ بـلـورـ وـبـاـثـورـسـتـ لـعـلـىـ أـلـمـجـ نـورـاـ، هـاـ

هي تجلس كعادتها في الركن الشمالي الشرقي على الأرض بالقرب من مدخل النفق، ومعها وعاء والعلامة ذات الورق المقوى، بالرغم من أن الساعة لم تكن قد بلغت التاسعة، هل تناولت إفطارها؟ هل يوجد في شعرها قمل؟ فيم تفكر، أم أن عقلها عاجز عن التفكير؟

ركنت سيارتي وسررت إلى حيث تجلس وقلت "مرحبا يا عزيزتي نورا"، ثم وضعت كيسا بلاستيكيا به بعض الخبز والجبن والفاكهة والخضروات الطازجة، وتركت ظرفا به صورة حديثة للبيت بقبته المستقيمة والمليئة بالفروع، فكانت نورا دون باقى البنات تعامل البيت بحنان بالغ، والآن كأنى أحاول أن أعطيها رشوة بلا حياء. كانت البرودة قارصة في ذلك اليوم، وتجمد قلبي من رؤيتها وهي ساكنة بشكل غير مفهوم، ولكنى سعدت في الوقت نفسه، لأنى لاحظت أنها كانت ترتدى قفازا بدون أصابع للتدفئة. هل أنا سعيدة؟ أنا سعيدة؟ إن أقل إشارة ستسعد قلبي هذه الأيام، فلم تنظر إلى اليوم مباشرة وأومأت، حيث إنها قد أوضحت موقفها وهو أنها لا تريد أن ترانا.

يبدو الأمر وكأنى أراها من خلال لوح زجاجي، وسأتكلف ثمنا باهظا كل أسبوع كى أسترق النظر إليها للحظة، وفي نفس الوقت أحاول أن أمحو هذا المشهد، الذى به صور لنورا وهى تركب دراجتها، وتذاكر لامتحاناتها على طاولة المطبخ، وهى تصل إلى

معطفها ذى اللون الأخضر، أو تجرب حذاء المدرسة الجديد أو صورتها وهى نائمة بأمان.

بعد فترة ذهبت كى أقوس حاجبى، وأضفى عليهمما لونا فى مركز سيلفيا والذى تطلق عليه اسم "الراحة الروحانية"، وبينما كانت مدام سيلفيا تمرر فرشاة الصبغة على جبينى، كانت تغمغم وتغنى فى أذنى. كانت الساعة التاسعة والنصف صباحاً وأنا أستلقى فوق طاولة ضيقـة فى غرفة صغيرـة بيضاء، ثم قالت لى محذنة "أنت فى سن يجب أن تحمى فيه الجلد الرقيق حول عينيك، فوجه المرأة يتـساقط وهذا أمر لا مفر منه، ولكن العين هى التي تستـمر لوقـت أطـول وهـى التي تشـع الضـوء، وستـبلغـين سنـ الثـمانـين والتـسعـين وستـبقى عـينـاك سـاحـرتـين".

إنـها لا تـعرف أى شـيء عنـ حـيـاتـى، لمـ آتـ إـلـى هـنـا مـنـ قـبـلـ وـلـمـ أـفـكـرـ أـبـداـ فـى أـنـ أـصـبـحـ حاجـبـىـ، فـلـدـى حاجـبـانـ جـمـيـلاتـ الشـكـلـ وـمـنـظـمـانـ، وـلـكـنـ نـظـرـتـ فـى المـرـأـةـ مـنـذـ أـسـبـوعـ أوـ أـكـثـرـ، وـلـاحـظـتـ أـنـ الشـعـرـ الصـفـيرـ فـى الزـواـياـ الـخـارـجـيةـ قـدـ بـدـأـ يـصـبـحـ رـمـادـىـ اللـوـنـ وـكـانـ هـنـاكـ بـعـضـ الشـعـرـ الرـمـادـىـ عـلـىـ الصـدـغـ أـيـضاـ، لـكـنـ هـذـاـ لـيـسـ بـالـمـفـاجـأـةـ بـالـنـسـبـةـ لـأـمـرـأـةـ اـقـتـرـيـتـ مـنـ الـرـابـعـةـ وـالـأـرـبـاعـينـ، وـأـمـرـأـةـ لـمـ تـفـكـرـ قـطـ فـىـ نـفـسـهـاـ عـلـىـ أـسـاسـ أـنـهـاـ تـمـتـلـكـ صـدـغاـ وـمـثـلـ هـذـهـ الأـجـزـاءـ المـوـقـرـةـ مـنـ الـجـسـدـ.

سألتني مدام سيلفيا بود "هل أنت من مواليد برج الجوزاء؟"
كانت فرشاة الصباغة تصدر حفيها، ثم توقفت ونظرت إلى عن
قرب، ثم أكملت عملها مرة أخرى بحركة قليلة منتظمة ودقيقة.
فأجبتها "لا، ولكن عيد ميلادي في سبتمبر، الأسبوع القادم،
فأنا أخجل من الاعتراف بعالم الأبراج.

قالت وكأنها امرأة عجوز تتحدث: "يمكنني القول أنك برج
الجوزاء، أستطيع دائمًا أن أقول".

ماذا يمكنها أن تقول؟

فقالت: "أربعة وعشرون دولارا، سأعطيك الكارت الخاص بي
للمرة القادمة".

أعتقد أنها متعرجة بعض الشيء، نعم ستكون هناك مرة قادمة
فقد حسبتها بسرعة، سيظل وجهي جيدا خلال بضعة أسابيع آتية،
ولكن بحلول نوفمبر قد آتى مرة أخرى لدام سيلفيا لأجلس في
خليتها البيضاء، وربما أكون زبونة دائمًا لديها: فقد أحتج لعمل
الحاجبين أو الرموش أو معالجة الوجه بالكامل أو تدليك للرقبة.
عشت حياة تأملية، حياة مليئة بالتفكير، عشت كاتبة ومترجمة، ولكن
كل هذا على وشك أن يتغير. كان الجلد الحساس حول عيني
يستدعي أن أهتم به، هل لاحظ توم؟ لا أظنه لاحظ ما قمت به،
وكريستين وناتالي لا ينظران إلى بهذه الطريقة، فهما لا تريان إلا

القاعات المائية الملونة التي تعنى أننى أم، وهى نفس الطريقة التى أرى بها نفسي.

قالت لى مدام سيلفيا: "إن سحر المرأة يدوم معها لآخر عمرها، ولكن عليك أن تنتبه".

بعد ساعة من التفكير قلت "لا"، عذراً فليست لدى خطط لأكون ساحرة على أساس منتظم، يمكن لأى شخص أن يكون ساحراً فهذه خدعة رخيصة، من السهل جداً أن يصير أحدهم مجرد ساحر عن طريق شد الوجه مثل أشعة الشمس ثم رميها بعيداً، مع رفع المعصم والذقن ووضع الإبهام والسبابة معاً لتشكيل حلقة أنوثية صغيرة، وهذه الخدعة التي تجعلك تظاهررين بأنك تجلسين فوق كرسى زجاجي صغير وهذا التركيز كى تتألقى، هناك القليل من العقل والتفكير في كل شيء وكل مكان، وهو يملأ الهواء مثل رائحة غير محببة، أو كما تسميهما إيمان آلين *Ingenue Spritz*.

أعرف هذا النوع من الرخص جيداً، إنها الطريقة التي يتلون بها هذا السحر بأن يكون جميلاً ومحتفظاً برونقه، مثل قطعة الحلوى التي تدخل الفم وتحتك بالضرس وتلتتصق به كالحشو الناعم مما يزيد من قرحة الفم أو أيا كان، هو كنایة عن كره الذات، فمن بين جميع الفضائل الاجتماعية السحر، هو ما يحصل على أقل اهتمام في النهاية، وبمقارنته مع الخير الحقيقي أو بنكران الذات الذي لا

يتزحزح والذى تمارسه ابنتى نورا، نجد أن السحر لا شيء إلا ورقة مناديل مطوية متسخة بسبب الاستخدام السابق.

الصدق؟ لا، فقد انتهتى وقد أيضاً أى أفضلية له، إن الصدق لا يأس به، وهو مسألة جيدة ولكنها أهدرت على يد الصحافة التى نشأت إثر محرقة الهولوكوست، وأهدرت أيضاً على يد القراء المخلصين لمجلة Mad Magazine، والذين لن يتعرفوا على جزء بسيط من هذا الصدق، حتى وإن كان أمامهم بشكل جميل (كقطعة مغافلة من الحلوى).

لن أكون بلا هدف مرة أخرى أو مهذبة بهذه الدرجة الكبيرة، فقد تجاوزت هذا منذ سنتين عندما قمت بجولتى كمؤلفة، ويبدو أننى فقدت هذا النوع من التحمل الذى تتطلبه المجاملة المهنية، مثل تيار من الحصى يترك يدى: خذ نفسك ودع وجهك يتخرد، واستمع لأسئلة من يجري معك المقابلة، وأتمم التسجيل على النحو الأمثل ودع نفسك يخرج وقيم مشاعر من يعتمدون عليك (الوكيل والناشر والمحرر والشخص الذى يقوم بالدعاية وبالطبع دانيال ويسترمان) وقم بالأمر مرة تلو الأخرى؛ ومثل الرياضى الذى يتمرن حتى تصل إلى اللياقة البدنية المناسبة التى يتطلبها كل كتاب جديد، ثم انتقل للخطوة التالية.

السيدة وينترز، هى من ترجمت كتاب السنوات الوسطى، وهى مذكرات الناجية من محرقة الهولوكوست السيدة دانيال ويسترمان

وهي امرأة ذات مال وجمال، وتقوم بعمل شعرها البنى الكثيف على
شكل كعكة، وهي تضع فنجان القهوة ولا تبالى كثيراً بمعطفها
الواقى من المطر و ...

لقد دخلت فى بدايات منتصف العمر ولدى ابنة فى سن التاسعة
عشرة تعيش فى الشارع، لم أعد أحتاج إلى أن أكون ساحرة، وأن
يعرف عنى هذا بعد الآن، هذه الظلال الأرجوانية والأشكال
الخارجية التى تحمينى، وربما لم أكن قد فعلت ذلك من قبل. لن
أنهى بعد الآن جملى بكلام ولو قليل من أجل البعض. وفي المرة
القادمة التى سيسألنى فيها الصحفى عن شئ شخصى ليستخرج
بعض المعلومات قائلاً: "أخبرينى يا سيدة وينترز، كيف تتمكنين من
التوفيق بين حياتك الأسرية والعملية"، حينها سأحدق بقصوة
بالطريقة الجديدة التى تعلمته بها كيف أحدق، كيف أوفق بين كلتا
الحياتين؟ ثم أرفع حاجبى المصبوغين وأقول، أى نوع من الأسئلة
هذا؟ ثم سيسألنى: "ألا تفضلين أن تنشرى كتاباتك الخاصة بدلاً
من ترجمة أعمال الدكتور ويسترمان؟ وسأقول: من فضلك لا
تسألنى عن هذا مجدداً. وسيقول: كيف تتقابلين أنت وزوجك؟ وما
رأيه فى كتاباتك؟

فى المرة القادمة سوف أنظر إلى من يجرى معى المقابلة فى
عينه وأقول بحزم: "انتهى اللقاء"، فلا يوجد ما أخسره، فمن
الأفضل أن نواجه وبكل جدية الشخص الفظ وصعب المراس، وقد

لاحظت أن الشخص الفظ محبوب بشكل غريب، وينال احتراما رائعا وغير واضح في نفس الوقت.

وعندما أقرأ في الصحف غداً أن "مدام وينترز بدت وكأنها في الثالثة والأربعين، وأن السيدة وينترز كانت متعددة في أن تتحدث عن جدول عملها مع وجود تراكب العضة في فمها"، وحينها سأتصفح بالمحرر وسأشتكى بمرارة، وسأقول أن من كتب هذا رجل صغير وغير جذاب وشفاهه غريبة الشكل وأنفه كبيرة، وليس لديه غير القليل من الطموح ورأسه تمبل مثل شيء ما مأخوذ من الشمع الأصفر.

قام بعمل المقابلة معى في بار لشرب الكابوتشينو في وسط تورونتو، وهو رجل فاتر ومستسلم وفي الثلاثينيات أو الأربعينيات من عمره ويبتسم ببطء، وهو مثير للشفقة لأنّه يحتاج إلى رعاية إنسانية ويظن أن أفكاره لا مثيل لها. كانت الأكمام التي على ذراعيه تتسلل له كي ينزعها، وعلى الناحية الأخرى كنت أرتدي سترة ناعمة من الكشمير مبطنة بالحرير والتي كانت تقول إنني أنفق ببذخ ولكن هذا نادراً ما يحدث، ولكن متأكدة أن هذا الرجل لن ينظر إلى ذلك الثوب بأزراره البلورية وياقته التي بلون الماندرين، وبدلًا من ذلك سيركز على معطفى الواقى من المطر الباهت وليس على أساور القميص القديمة، وعندما يأتي وقت الطباعة سيتأكد من أنه أشار

إلى أن تصفييف شعرى مثل الكعكة؛ لقد اتخذ منى الأمر سنوات كى أتعلم كيفية عمل تصفييف شعر مبهرة، ويمكنتنى أن أسرح شعري للخلف وأن أثبته بشكل جيد كل صباح فى دققتين ونصف فقط ولذلك أعتبر الكواifer الخاص بي أحد الإنجازات الرئيسية فى حياتي، وأنا أعنى هذا حرفيا.

تحدثت مع شيلا من قسم الدعاية قبل عمل المقابلة وشعرت أن المعلومات تثقلني: ماذا سأفعل بها؟ كان هذا الشاب الجديد هو من سيكتب العمود الخاص بالكتب في بوكتايمز، وهو معروف بأرائه الجديرة بالثناء عن الأدب الخاص بالشمال الأعظم، وعن دوره كمدافع عن التدفق الجديد والمتنوع للأصوات الكندية، وهي الأصوات التي تندب حالة ما بعد الاستعمار، ويحاول تيار الأدب الخيالي الحالى عن الطبقة المتوسطة التي تعيش فى المدينة أن يضعف من الصوت الوطنى الحقيقى الذى ينبع من الطبيعة نفسها ... و

لا، أصمت... أصمت

كانت نقاط الكابوتشنو على جوانب فمه غير المنمق، هناك سؤال آخر يا سيدة وينترز، بالطبع لم ينادنى بريتا، على الرغم من أن فارق السن بيننا سنة أو سنتان، ولكن كلمة "سيدة" كانت تعطيه اليد العليا في الحوار بسبب حرف الـ "س" المستفز الذي يخلط

الأمور في الوسط، ويجعل الشخص يفكر في هذا التخبط كما ينظر لحبل الغسيل وحل عمل الكعك، كان وكأنه كلب ينبح ويبحث بداخل السيدة وينتزع وهو يهز فروه، ويطلب منها أن تبرر تصرفاتها وهو يريدها أن أشرح الشعلة المتخبطة والميّة والحزينة في حياتها والتي قد لا أحلم بأن أشاركها مع أي شخص، ويبدو أنه نسي أن مقابلته معى أصلاً عن كتاب دانيال ويسترمان الجديد.

ثم قال: لقد فهمت أنك تعملين على رواية جديدة. قلت: حسنا،
هذا صحيح.

إنه يرهقك

آها، نعم

في الواقع - في الواقع، لديه رواية تخصه ليتحدث عنها
حقا، يا لها من مفاجأة!

لم يسأل عن الفاتورة في نهاية هذه الساعة، ولكنني سألت وبعد صمت دام لفترة قصيرة قلت: "سوف أضيفها على كارت الفيما الخاص بي"، كى أكسر هذا الصمت، قلت هذه الكلمة بكل الوضار الذى استجتمعه من داخلى ونحن جالسين على طاولة بلاستيكية، مثل سيدة عظيمة، مضيفة إلى عمري عشرين سنة أخرى، وأناأشعر بتحول حروف العلة في حنجرتى المصنوعة بجمال فائق، ما هذه الوضار! لقد فاجأت نفسى بنبرتى، وربما أكون قد رسمت على

وجهى ابتسامة ألم، ومما لا شك فيه أنى أظهرت تراكب العظمة،
ولكنه كان قد أغلق شريط التسجيل عن كلمة "كارت الفيزا".

قال لى إن لديه طفلين فى المنزل، وأنهما مسئولية كبيرة للغاية
إلا إنه يحب هذين الشقيقين كثيراً. قال إن أحدهما موهوب جداً،
وإن كلاً منهما يسير في طريق مختلفة عن الآخر، ولكنه اشتکى من
أن تربية الأطفال لا تعطيه أبداً الوقت الكافى لقراءة الكتب التي
عليه مراجعتها، وإن بيته مليء بالكتب التي يوجد بداخلها علامات
صغرى وهى كتب لن ينتهى منها أبداً، كنت أتوقع الكثير، وبالطبع
 فهو لا يتقادى أبداً كافياً مثل جميع الصحفيين.

يا إلهى أصمت.

ويتوقعون منه أيضاً أن يقوم بعمل شيء مميز في نهاية الأسبوع.
آه؟

وفي الأسبوع الماضى أنهى قصة ماكبونا

حقاً؟ ماكبونا؟ ماريما؟

ثم قالت السيدة ريتا وينترز من أورانج تاون: تهانينا
أشكرك.

ثم قلت: على أن أذهب الآن بسبب عدد موقف السيارات
وموعد الغداء، ولأنى سأقود مسافة طويلة حتى المنزل.

أنا أعرف أنك تعيشين مع عائلتك فى بيت جميل وقديم بالقرب
من أورانج تاون...

ثم قال بمكر، وأعرف أن إحدى بناتك تعيش الآن فى تورنتو و...
لقد جئت إلى هنا من قبل، هناك شيء غريب فى أن تكون لك
عائلة، وزواج يدوم لفترة طويلة وثلاث بنات فى عمر المراهقة، وبين
فى الريف واحتمالية لعدم الانتشار، وهذا يثير فضول الآخرين
بالطبع، وبالتالي سيعيشون بحياتى كما قال لي توم.

ولكن لا، لن يتغذى هذا الرجل الجالس على الطاولة على لحمى
ولا حتى زملاؤه، ومع ذلك يمكن للواحد أن يقول إنه ليس له زملاء،
 وأنه لا توجد احتمالية لحدوث زمالة، فليس لديه سياق ما يقابل
فيه أصدقاء أو زملاء عمل، إلا أن هناك أطفالا وزوجة، وقد أشار
إليها ثلاثة مرات حتى الآن، اسمها نيكولا، ولها حياتها العملية
أيضا كما أخبرنى وإن كانت المسألة محل خلاف.

لم أقاوم السؤال بداخلى فقلت له "هل تعمل نيكولا صحفية
أيضا؟"

"صحفية؟"

"أعني مثلك"

قفزت يداه مرة واحدة، وللحظة ظننت أنه سيعيد تشغيل
الشريط مرة أخرى، ولكن لا، لقد أدخل يده فى جيبه وأخرج

قطعتين من النقود ووضعهما على الطاولة كيتشيش، وضعهما وكانت العملات رطبة بسبب يديه، كانتا عملتين، حدق فيهما بنظرة تمنيت أن تكون باردة وقاسية.

لكنه لم ينظر إلى، كان ينظر ناحية الغرفة، حيث يجلس رجل ذو شعر رمادي بشكل أنيق على الطاولة، وقال محاورى بصوت شغوف "لست متأكدا ولكنني أظن أنه جور فيدال". إنه هنا من أجل مهرجان الكتاب كما تعلمين".

قمت وخرجت وتبعنى مقطوعة لآلات نفح نحاسية.
ينزلق السيد وينترز الساحر على معطفها الصوفى الواقى من المطر.

أين؟
كنا فى وقت متأخر بعد الظهر فى أوائل شهر أكتوبر، وكانت السماء مظلمة والأضواء مضاءة فى المكتبة القديمة بمدينة أورانج تاون، رائحة سائل تنظيف الأرض قوية للغاية الآن ومن المؤكد أن نظام التدفئة هو الذى أثارها.

اليوم، كانت كل من تيزا ساندس وشيريل باتيرسون المسئولتين عن المكتبة فى قمة التعاون كعادتهما دوما، وقد ذهبت إلى هناك كى أحصل على كتاب The Goodness Gap لدينيس فورد هيلبىرن،

فأنا لست غافلة عن السخف في الإيمان بأن الشخص يمكنه تعلم الخير عن طريق الكتب المطبوعة، فالأشخاص الذين يعشقون الكتب والذين غالباً ما يكونون حمقى، يصررون على التفكير في أن بإمكانهم إتقان أي منهج، طالما أنه وضع في قالب نثري مقبول وواضح.

كان بإمكاني شراء كتاب فورد هيلبiren، عندما كنت في تورنتو الأسبوع الماضي، ولكنني لم أفعل لأنني إن كنت صادقة في رغبتي بأن أصل إلى الخير الحقيقي في حياتي، وبالتالي يمكنني أن أتواصل مرة أخرى مع ابنتي نورا عن طريقه، فهذا يعني أن أتعامل مع مواضيع كبيرة وصغيرة، أو أن أغير تشتيت الالاهائي حول الخير إلى مكان جيد مثل المكتبة العامة؛ أما في اللحظة الحالية أحياول أن أكون مواطنة صالحة تدعم المكتبة المحلية، والتي لا تستخدم للأسف ومعرضة لأن يتم إغلاقها.

وبعيداً عن حارس المكتبة الذي يعمل بدوام جزئي، فإن تيزا وشيريل هما المسئولتان الوحidentان اللتان تعملان بدوام كامل مثل الموظفين في مكتبة أوارنج تاون، فقد ترك الجميع العمل في المكتبة عندما أعلن مجلس المدينة أن تمويل المكتبة سيقل. إن تيزا وشيريل يعرفان عائلتي منذ عدة أعوام، فأنا عضو دائم في مجلس إدارة المكتبة، وتتذكر تيزا نورا منذ أن كان عمرها أربع سنوات، فقد كانت تحضر ساعة قراءة القصيرة صباح يوم السبت، وكانت

تجلس متربعة وساكنة ولم تكن تحمل غير بطاقة عليها اسمها وليس علامه مكتوب عليها "الخير"، وفي هذه السن كانت قادرة على أن يقشعر جسدها عندما تستمع لغامرات بلوبيرد، وكانت على استعداد أن تبكي على مصير الاشتى عشرة أميرة الراقصة، وهي قصة دائماً ما كانت تعيد تيزا صياغتها لستمعيها الصغار، فهي بارعة في النهايات السعيدة.

تزوجت تيزا في العقد الخامس من عمرها عازف جيتار كلاسيكيا، وهي أم لفتى في سن المراهقة، وهي ممتلئة وحازمة ذات طابع تربوي وتزداد طباعها هذه كل عام، ولديها ذقن ممتلئة تتحرك كلما تحدثت وهي تتحرك في ميلي ثانية من الزمن مع حركة فمها الصغير الفجائية، وقد كانت إحيائياً قبل أن تقرر أن تحصل على مؤهلات لتعلم كمسئولة مكتبة، وصوتها لا يزال نقياً وبليغاً.

طلقت شيريل في أواخر الثلاثينيات واليوم أراها تمثيل نحوى بكلام كوعيها، وهي تستند إلى الطاولة وذقnya في يديها، نظراتها محيرة وأنique بشكل مدهش، واليوم تضع على وجهتها نقاطاً حمراء تزينها، وكان من الصعب أن أتجنب التحديق في هذه النقاط الملونة، وأعتقد أنها وضعتها على شرف الرجل الذي تواعدته هذه الأيام، وهو طبيب أسنان تدرب في مومبای وقد بدأ عمله كطبيب في مول بأورانج تاون، فهو شاب خجول ويرتدى نظارة، هو رجل هندي لا

تستطيع زوجته الهندية التعامل مع مدينة أونتاريو الصغيرة وتريد العودة لوالديها بعد ستة أشهر.

إنهم صديقان مقربيتان وزميلتان أيضا، وهما فخورتان للغاية بالرابط الذي صنعاه بجيدهما، وفي بعض الأحيان يشعران بنوع غريب من الكبر ينتابهما، وهو شعور بالأنوثة ذات الطابع القديم يتحدد مع نفس الشعور ذات الطابع الجديد الذي اخترعاه، إنه شيء مثل الحب، فكل منهما فخورة بالأخرى، وهما يحبان أن يعرجا عن هذا الاعتزاز المتبادل علينا. إنها تعرف بالتحديد أين تجد الأشياء وهي أفضل من يمكن الاعتماد عليه عندما يتعلق الأمر بالتتابعية على الإنترن特، إن ما يتشاركانه سويا يسيطر على هذا المبني المصنوع من الجرانيت، والذي تشير حجارته البنية للون الأرض من تحته، هذه الأرض الزراعية الجيدة والفنية والتي تمت تناحتها جانبا من أجل الصالح العام، وبعد خفض الميزانية سيصبح هذا المكان صالحا لتناول الشاي وكمحل هدايا.

يعد حب الكتب أحد العوامل المشتركة بين تيزا وشيريل مثل كتب فورد هيلبىرن والتي يسعدان كثيرا بأن يوفرانها لمن يحتاجها، ولكنهما يحبان الروايات بشكل خاص، الروايات التي تصف الرجال والنساء الذين لا يمكنهم التعبير عن أنفسهم بالكتابة والأشخاص العاديين، وهدفهم هو أن يحافظوا على أن تتدفق هذه الكتب تجاه من فقدوا صلتهم "بالعالم الحقيقي"، وبالنسبة لي فأنا المشروع رقم

واحد بالنسبة لهما هذه الأيام، وقالت لـ تيزا اليوم "ها هي رواية أتود الجديدة"، ثم ربت بيدها على غلاف الكتاب وقالت "لقد أتى البارحة ونقلت اسمك على رأس قائمة الانتظار" وكان قد جاء من حجزه أصلاً

فقلت بنبرة واضحة "أشكركما" فابتسمتا ابتسامة عريضة، وانتظرتا المزيد "كيف حال نورا؟ هل من جديد؟ وهل ستعود إلى المنزل قريباً؟" لا لن تأتي للمنزل قريباً وهذا واضح للغاية، "لست متأكدة من هذا، فلم يحدث الكثير".

الحق يقال، لم يعد توم وأنا نستخدم المكتبة كثيراً كما اعتدنا أن نفعل، فتوم يطلب الكتب التي يريدها من موقع Amazon.com ومعظمها عن ترايلوبيت، وبالنسبة لـ فـ أنا أفضل أن أشتري ما أحتاجه من تورنتو.

ثم سألت شيريل "كيف حالها؟" فقلت: "بخير، على حد علمي" أه، لقد تبادلتا النظارات، ثم جاءت تيزا والتي لديها بعض التصرفات العنيفة وغير المروضة التي يمتلكها حيواننا الأليف، وجلست على الطاولة وقالت: "سوف تتجاوز كل هذا الهراء"،

وثبتتني بنظرة قوية وثابتة مزقتني من الداخل، وقد جعلتني هذه النظرة التي تعنى "استمر" على وشك البكاء.

لقد كانت تيزا أول من نبهنا لمكان نورا فى أبريل الماضى، ولم نكن قد سمعنا عنها لمدة أسبوع، وكان توم قد ظن أن نورا تشاهد مع صديقها، ولكنى أعرف أكثر منه، وعندما حاولنا العثور عليها عبر الهاتف، لم نتمكن من ذلك، فآخر زيارة لها للمنزل فى نهاية مارس كانت مقلقة للغاية، وفكرت عدة مرات فى التواصل مع الجامعة ولكن بدت الفكرة سخيفة أن يسأل أبوان عن ابنتهما البالغة، لقد كنا فى غاية القلق، فربما يكون قد أصابها اكتئاب الربيع أو فكرت فى الانتحار، فقد قرأت فى الجرائد مؤخرًا عن امرأة مسلمة أشعلت النيران فى نفسها بتورنتو، وكانت تيزا تزور والدتها المسنة ولمحات نورا بالصدفة، عندما كانت خرجت من النفق، وكانت نورا جالسة على جانب الطريق، وتتسول.

"نورا؟"

فنظرت نورا إليها وعرفت على الفور أنها تيزا ولكنها لم تقل شيئاً، ولكنها أحكمت قبضتها على المربع الكرتونى الذى تحمله ودفعته أمام تيزا، وتتذكر تيزا أن اليوم كان بارداً، لأن نورا كانت ترتدى قفازين من قفازات العمل فى الحدائق، وكانا كبيرين للغاية على يديها الصغيرتين.

ثم سألتها تيزا برقة: "نورا، هل يعرف والداك أنت هنا؟"
فهزت نورا رأسها.

وعند هذا الركن أخرجت تيزا هاتفها الجوال من حقيبتها واتصلت بي في أورانج تاون، ولحسن الحظ كان توم في المنزل فأخذنا السيارة وذهبنا بسرعة إلى تورنento، وكان الألم يعتصر صدرى طوال الطريق، وكان الهواء الذى نتنفسه يرتجف بداخلى مثل شراع كبير.

يفترض أننى ريتا يونترز، تلك المرأة المشرقة، ولكن حدث شيء ما عندما انحني ظهرها، لقد أسقطت ريتا كرة فى فناء المدرسة، وفقدت تلك الصدفة المنحنية والنظيفة التى كانت تحملها من الشاطئ للمنزل، وتعرف كل من تيزا وشيريل ما أنا عليه، وأنا أقف هنا أتلعب بالصور المتتالية فى مخيلتى قبل وبعد هذه الواقعة، وقد اختفت عطرى فى هذه الحياة لأن ابنتى الكبرى ذهبت لتعيش حياة الفضيلة، وقد جعلها نكران الذات تختار العيش فى ركن بمدينة تورنento حيث تتضائل الاختيارات، وكان حتما على أن أشرح الوضع لابنتى وكيف أن أختهما تسعى فى الخير، وأنذر أنى رسمت الصورة سريعا باستخدام أبسط وأقصر الكلمات، حتى لو كنت سأعبر عن هذا باختصار غريب ومؤلم، نعم لقد اختارت حياة الخير.

لقد كانوا بانتظار قدومى إلى المكتبة، فدائماً ما أتصل بهم قبل أن آتى، لديهم ستة كتب موضوعة على الطاولة، وعلى رأسها كتاب The Atwood ثم كتاب The Goodness Gap، ثم سيرة ذاتية ثم بعض الكتب الصغيرة عن الألغاز الجديدة لحماتى لويس، ونسخة من كتاب The Waves لكريستين التي قرأت مؤخراً لفيرجينيا وولف، وقد تم اختيار هذه الكتب بعناية شديدة، بحيث تتناسب مع مستوى الحكم الذى أريده، فلا شيء قاتماً للغاية أو حديثاً للغاية، فمثلاً آتى بروايات أدبية ولكنها ليست روايات ما بعد الحداثة، وبالتالي فلا توجد بينها روايات "شعرية"، ولا أى شيء به إهانة، ودائماً ما يكون المكان غريب الأطوار لطيفاً، ولكن ليس بينها شيء عن الأغنياء، أو من يذهبون لتناول الغداء بالخارج، أو الأشخاص الذين يعرفون إلى أين سيذهبون لتناول الغداء، هؤلاء المحترفون الأذكياء الذي "يريدون حياة" وكأنهم لا يملكون واحدة، ولا شيء عن الموسيقى أو التلامح العائلى أو ارتباط الرجال بالطبيعة، وكذلك لا أحسنـة ولا شـعر ولا قصص قصيرة، على الأقل لـلوقـت الحالـى حيث أنها غير مـجـديـة.

دفعـتـ شـيرـيلـ هـذاـ البرـجـ منـ الـكـتبـ تـجاـهـىـ،ـ وكـأـنـهـاـ قدـ جـمـعـتـ الـكـنـزـ وـوـضـعـتـهـ عـلـىـ مـتـنـ مـرـكـبـ شـرـاعـىـ،ـ كـانـتـ أـغـطـيـتـهـاـ الجـدـيـدـةـ الـلـامـعـةـ تـبـرـقـ فـىـ الـعـلـبـ الـبـلـاسـتـيـكـيـةـ لـلـمـكـتـبـةـ،ـ وـهـىـ تـلـقـطـ أـشـعـةـ الضـوءـ الدـافـئـةـ مـنـ الأـعـلـىـ،ـ ثـمـ وـضـعـتـ يـدـىـ فـىـ حـقـيـبـتـىـ لـأـخـرـجـ كـارـتـ المـكـتـبـةـ الخـاصـ بـىـ وـأـنـاـ مـمـتـةـ لـهـمـاـ.

يوجد فى غرفة القراءة اليوم ربات بيوت وأشخاص كبار وعدد قليل من الطلاب أعرف بعضهم وشخص أو اثنان غرباء، ويتحركون جمیعاً بين أرفف المكتبات أو يجلسون بهدوء على طاولة قديمة من خشب البلوط، وهم يتسلقون بين صفحات المراجع وينكبون على الصحف ويلقون نظرة عابرة عندما يفتح أو يفلق الباب وينظرون حولهم ويراقبون النشاط الهدائى، ثم يعودون مرة أخرى للكتب؛ ربما يكون هذا أشبه بالنادى الخاص حيث يجلس الجميع فى هدوء تام وبأدب جم والجميع يتبع القوانين.

لا يوجد من يحدق بي ولكنهم يعرفون من أنا، فأنا ريتا وينترز زوجة الدكتور (هذا الرجل اللطيف)، وأم لثلاث بنات وكاتبة، وأننى أعيش على بعد خمسة أميال من المدينة فيما يسمونه هنا بالريف، ولكنه أصبح جزءاً من أورانج تاون بشكل أكبر وهو يشبه الضاحية بنسبة كبيرة، وهذا إن افترضنا أن مدينة من خمسة آلاف نسمة يمكن تسميتها بالضاحية؛ نعيش فى بيتنا الحياة التى اخترتها منذ زمن بعيد: حولنا الكثير من الناس وحياتنا مزدحمة يتخللها بعض الفترات من الهدوء، ولدينا الكثير من الأثاث والكتب والموسيقى ووسائل ناعمة للاتكاء عليها، ولدينا طعام فى ثلاجتنا والكثير منه فى الفريزر. أنا أعمل كاتبة ومترجمة (من الفرنسية للإنجليزية) وأنا أم لنورا وينترز، إن أمرها محزن. يتذكر الناس أنهما رأوها حول المدينة، فتاة رائعة ذات ملامح لطيفة وهى طويلة مثل توم، وفى بعض الأحيان تركب دراجتها على الشارع الرئيسي، أو تجلس مع

صديقاتها أمام المدرسة الثانوية، لديها شعر أشقر طويل وتلك القدم القوية النحيلة التي تدل على رشاقتها، ولديها ابتسامة تبدو وكأنها مثل الهلال من خلال جسدها بأكمله. لقد ذهبت للجامعة في تورنتو حيث كان لديها حبيب في الجامعة، ثم تاهت لعدة أيام في الربيع الماضي وبعدها انتقلت إلى ركن في شارع تورنتو، إن الكلمات لا تسعفني في هذا الموقف.

إنهم يومئون تجاهي أو يلقون التحيات بصوت منخفض "مساء الخير"، وهي تحية أرد عليها بإمالة رأسى بود كأننى أشم باقة من الورد، وتحرجنى الهدايا المتكررة التي ألتلقهاها ودائماً ما يذكرونى ما أنا فى انتظاره، وما ننتظره جميعاً وهى تلك اللحظة من التقدير والمفاجأة التي تركتنا ولكنها حتماً ستعود، ودائماً ما تعود، أو هذا ما أؤمن به على الأقل.

بعد نصف ساعة ستضرب شيريل الجرس الصغير وسأكون قد رحلت، وستتنقل من طاولة لأخرى معلنة بصوتها الحنون أن المكتبة ستغلق أبوابها بعد خمس دقائق، وستقول هذا بلهجة اعتذار، وفي الحقيقة تكون آسفة لقطع حبل أفكار زبائنها، ونادمة لأنها شوشت تركيزهم وكسرت الصمت الذي يسود المكتبة واعتاد عليه زوارها طوال فترة ما بعد الظهر، ولا يوجد المال الكافى كى تظل المكتبة مفتوحة بالمساء، وهذه ليست غلطة شيريل ولكنها تشعر بالأسف على هذا الحال وتتمنى أن يفهم الناس هذا.

أنظر لمن حولي وأنا أضع الكتاب في حقيبتي، وأناأشعر بتدفق مفاجئ من مشاعر الحب بسبب ترتيباتنا، وهي أننا يجب أن نقابل هنا سويا في هذا المكان وهذا الوقت المحدد لنشارك في هذا المكان العام. حاجتنا جمیعا لاستعادة كلماتها المطبوعة؛ فهنا توجد السيدة جريناواي ذات قصبة الأنف الضيقـة وهي تبتسم باستمرار ~ وهي امرأة ذكية أيضا ليس لها مكان معين يمكن أن ترجع إليه أصولها؛ أما السيد أتكينسون فهو مدرس متلاعـد وتفرق ربطـة عنقه داخل رقبته السميـنة، وهو يفتح أمامه موسوعة بـريطـانية كـى يبحث في الخرائط؛ وهناك يوجد رجل بلحـية لا أعرف اسمـه، ولكن يبدو أنه يكتب رواية أو مذكرة بغير عنـاية في حلقات في دفترـه الحـلزوني؛ وهناك هـال سـكوت (ذـو الـقدم السـريـعة) والـذى يـضـخـ الغـاز وـيلـعـبـ الهـوـكـىـ، أو عـلـىـ الأـقـلـ كانـ يـفـعـلـ ذـلـكـ قـبـلـ أنـ يـتـمـ القـبـضـ عليهـ فيـ قضـيـةـ مـخـدـراتـ الـعـامـ الـماـضـىـ، وـهـوـ الـآنـ يـقـرـأـ مجلـةـ ماـكـلـينـ وـربـماـ يـتـصـفـ القـسـمـ الـرـياـضـىـ.

بالرغم من أن هذا المشهد مألفـ، إلا أنه أيضـا متفرد بـذاتهـ، إنـ هذاـ الشـكـلـ لاـ يـحدـثـ إـلـاـ مـرـةـ وـاحـدةـ، هـؤـلـاءـ الـأـشـخـاصـ وـهـذاـ المـكـانـ وـهـذـهـ الـلـحـظـةـ التـىـ تـنـطـبـعـ فـىـ الـذـاـكـرـةـ، إنـ هـذـاـ التـفـكـيرـ يـثـيرـ الـدـهـشـةـ بـداـخلـىـ.

تنتابـنىـ هـذـهـ الـأـحـاسـيـسـ بـسـهـولـةـ هـذـهـ الـأـيـامـ، وـأـنـاـ أـعـرـفـ جـيدـاـ أـلـاـ أـثـقـ بـنـفـسـىـ عـنـدـمـاـ تـحـدـثـ لـىـ هـذـهـ التـحـوـلـاتـ الـغـرـبـيـةـ، هـذـهـ الـجـواـهـرـ

الزائفة، وأجد أن الأقسام تمر خلف عيني، يوجد إحساس بأننى أطفو فوق هذا العالم، كما لو كانت تحملنى موجة قوية من الأحساس وتحملنى للأمام، وبداخلى رغبة ثمينة وغير ثابتة ومتحولة وخفية تعلن عن نفسها بقوة غريبة، يتبعها التهاب فى الحلق وبكاء وذهول من جمال الحياة التى تدور من حولنا، وهلم جرا، يا إلهى إن هذا جنون؛ هذه المهام وهذه الرؤى ودخولى فى فضاء كابولى، وأن أسمح لنفسى بأن أتحول من الشك للبيقين. أرى توأمین رضيعین فی ملابس الشتاء وأشخاصاً يتuanقون فی المطار وحيوانی الأليف "بيت" بفروعه الذهبی وعینیه البنیتین المجوفتين وهو يت sham زوايا المنزل بحب، وهو يعرف أن هناك شيئاً خاطئاً وأن هناك شيئاً ما ناقصاً، يا إلهى.

سمعت رجلاً يقول ذات مرة "إنها امرأة ثرثارة" وكان يقولها بازدراء عن أخيه، ربما كان يتحدث عنى في وجودى، ولكن هذه هى أنا، أنا ريتا وينترز، وأنا أحاول أن أواجه ما يبدو واضحاً أنه إخلاص تام لعادتى بأن أظل حزينة، وسواء كان هذا غباء أم دهاء، فإن هذه الحالة مؤقتة، وهي إحساس غير مكتمل بالابتهاج، أو تشهو كما تسميه دانييل ويسترمان ولكنه حقيقى إلى حد كبير، وها نحن نتوارد هنا سوياً في هذه الغرفة بالمكتبة العامة بخشبها القديم وأرضيتها المستهلكة، ونحن داخل لحظة معينة من الزمن.

ولكل منا حياته التى سيعود إليها، وسيكون العشاء فى انتظارنا،
يا لها من فكرة غريبة ومرحية، يوجد عندي أطباق من طعام كرافت
أو السلطة اليونانية من سيف واى، ولدى دجاجتان فى الفرن حاليا
وبقایا طعام كافية للغد، وهناك بطاطس لا تحتاج إلا للتسخين وأن
أقوم بعمل السلطة، يا لي من امرأة جيدة ومنظمة للغاية أيضا.

يكفى هذا!

يجب على الذهاب للمنزل، يا له من يوم طويل والجو سيمطر، أو
هكذا تقول التوقعات الجوية، وداعا، يا إلهى كدت أنسى مظلتي،
نعم إنى مشفولة للغاية، لقد ركنت السيارة بالخارج، لا حاجة لهذا،
يجب أن آخذ الكلب فى تمشية نعم سأفعل هذا، شakra مرة أخرى،
شكرا لكما، يجب أن تكونا سعيدتين برؤية نهاية يوم طويل.

أريد، أريد، أريد

لا أقول فعليا تلك الكلمات الأخيرة: أنا فقط أمر بين أجزائها
القصيرة وبين مقاطعها الصغيرة الواضحة، بينما أرتدى معطفى
سريرا لأنقى البرد وأنتجه إلى منزلى.

مع ذلك

نعيش فوق مرتفع عال، وهذه البلدة بشكل عام دائيرية الشكل، ولذلك فإن الطبيعة الصخرية لموقعنا الجغرافي بها بعض الخلل، ومما لا شك فيه أنه أختير لأنه يوفر أرضا صلبة، بالإضافة إلى المنظر الجميل، عمر هذا المنزل مئات السنين؛ وهو منزل ريفي بسيط من الطوب في أونتاريو وقد أضاف ساكنوه السابقون الكثير إليه، وقد أضفنا نحن أيضا إليه، ويتميز المنزل بالأصالة الحقيقية وهو يقاوم الجو البارد والجليد الذي يميز مناخ أونتاريو.

كثيرا ما سألنى الناس عن عدد الغرف الموجودة في بيتي ولا أعرف مغزى السؤال، وفي كل مرة يسألوننى أدخل في حالة من عدم الفهم، ومن الطبيعي أن أعرف عدد الغرف في بيتي ولكنني فعليا لا أعرفه، فهذا يعتمد على تعريفك أو فهمك لكلمة غرفة، فهل يسمى الرواق غرفة؟ فالرواق لدينا به سجادة هندية زاهية ومقدن ونقوش على الحائط وعدد من الشماعات للمعاطف، ويوجد

في المدخل صالة مربعة الشكل، بها موقد خشبي سويدي الصنع على الجانب الأيسر، وقد ركنا هذا الفرن خلال الشتاء القارص الذي حل بنا عام ١٩٨٦، وهو يوفر حرارة جيدة ومتوجهة وهي المطلوبة في مناخنا هذا، وهناك مساحة في الصالة لعدد من الكراسي وطاولة عليها التليفون والأرضية المصنوعة من خشب البلوط عليها كليم ناعم وباهت، ويوجد في الركن مكتب كبير يستخدمه توم للمراسلات الشخصية، ولكن لا يمكنني فعلياً أن أسمى هذه بالغرفة، فالصالة ليست غرفة وهذا ما سيخبرك به أبي وكيل عقارات. أما بالنسبة لغرفة الطعام فهي على اليمين قليلاً وبها غرفة تشميس مجاورة لها وهي مثل الخزانة أكثر منها كغرفة ويوجد أريكة من الخوص وطاولة صغيرة وبعض النباتات المعلقة ومقدم عثماني لين وكبير ويوجد شعور بالبريق والراحة. أما بالنسبة لغرفة المعيشة الموجودة على اليسار، فبها نافذة عميقة وهي غرفة في حد ذاتها، وكل شيء به لون أخضر أو أبيض أو ظلال اللون الأزرق الضارب إلى الخضراء مع لمعان وبريق أو هكذا أراها، وهناك شرفة مفتوحة خارج الحجرة الصغيرة وفوقها شرفة مغطاة أخرى اعتدنا أن نطلق عليها اسم شرفة النوم، أما الغرفة التي أعمل بها، فهي الغرفة المربعة القديمة في العلية وهي ليست غرفة بالشكل المتعارف عليه، إلا أن أرفف الكتب الجديدة التي علقت بشكل جيد تجعلها تبدو وكأنها غرفة، أما هذا المكان الفارغ فأسميه

مكتبي أو حجيرتى أو فى الأغلب أسميهما الغرفة المغلقة. إن حياتى ككاتبة ومترجمة هى قصتى الأساسية كما يقولون فى الأفلام التجارية، أما حياتى الظاهرة فهى تلك التى أعيشها فى هذا المنزل القائم على المرتفع مع توم والبنات مع كلب الصيد البالغ من العمر ٧ سنوات ذى الفرو الذهبى.

لكل من بناتنا الثلاث غرفة خاصة بها، فالغرفة الجنوبية لناتالى، بينما غرفة كريستين هى ما نسميهما غرفة التوت، ليس بسبب لون الحيطان، ولكن لأن شباكها يطل على رقعة التوت المزدهرة. أما غرفة ابنتى الكبرى نورا فتوجد فى نهاية الصالة (إنها ليست موجودة بالمنزل حالياً منذ شهور) وأفضل رائحة تجدها هنا فى هذه الغرفة وهى نابعة من اللحاف المرسوم عليه زهرة الزنبق أو الستاير الدافئة البيضاء المصنوعة من الكتان، أما الغرفة الشمالية فهي غرفة توم وأنا، والتى يمكن القول أنها غرفتان بسبب شكل حرف الـ T الصغير فى مدخل الغرفة، حيث يحتفظ توم بفصوصه الثمينة فى خزينة زجاجية مغلقة. عندما كانت البنات فى سن الرضاعة كن ينمن فى سرير الأطفال هنا كى يكن بجوارنا أثناء الليل، ويحتل هذا السرير فى الطابق الس资料ى الآن زاوية فى غرفة أخرى ليست بغرفة فعلياً، فهى مساحة نصف مشطبة ذات جدران من خشب الصنوبر مليئة بالعقد ومغطاة بالغبار وأرضية أسمنتية مدهونة، وعلى الأرجح أن عائلة ماكجين هى التى شيدتها فى نهاية الخمسينيات.

بيت ماكجين، هذا هو الاسم المعروف به بيتنا محلياً، حتى الآن وسكن هذا المنزل بيننا وبينهم حوالي ثلاثة أو أربعة ساكني آخرين، وهم مستأجرون على مدى قصير ولم يتركوا أى أثر يذكر عنهم، وفي الحقيقة تركوا المنزل نصف مدمر.

كانت عائلة ماكجين هي أول عائلة غير زراعية تعيش هنا، وكان السيد ماكجين يدير مخزننا مستعملاً لبيع الأثاث في المدينة ولم يكن ناجحاً بجميع المقاييس، وقد باع في فترة امتلاكه للمنزل مساحة من الحقل ولم يترك لنا إلا أربعة فدادين ومعظمها من الأشجار؛ شجر القيقب والجميز وبعض شجر البلوط القديم وبستان تفاح صغير، وقد قرأت مؤخراً أن شجرة البلوط الانجليزية تستغرق ثلاثة سنتات كي تنمو ثم تعيش لثلاثمائة سنة أخرى ثم تموت في ثلاثة سنتات، وجعلتني هذه الفكرة أتوقف قليلاً لأفكر أو على الأقل أدخل في حالة من السكون الوجданى التي لم تكن قد تطورت لفكرة بعد، وكانت الفكرة هي الاندهاش من أن أنسجة شجرة البلوط يمكن أن تكون صابرة ومطيبة تجاه الإيقاع الثلاثي بداخلها وأن تستجيب للتشوهات الصغيرة في خلاياها الضخمة، وهل يهم الأمر عندما يقرر قلب تلك الشجرة أن يموت وينهى مسيرته الطويلة؟

كثيراً ما أفكر بعائلة ماكجين، لم أقابلهم قط، ومع ذلك فما زالوا باقين، فقد تركوا آثاراً لهم وقد سألت لويس عن العائلة ولكن لم

يكن لديها الكثير من المعلومات عنهم، فهى ليست من النوع الذى يحب الجوار، وهى من أكبر المؤمنين بفكرة "عدم التدخل"، وكان توم فى ذلك الوقت فتى صغير السن، وكان صغيرا على اللعب مع أطفال عائلة ماكجين، وكان المنزلان منفصلين تماما فى تلك الأيام بنبات الليلك القديم والباht وبعض الأشجار المزهرة خفيفة الحركة.

عندما انتقلنا إلى هنا كان يوجد فى الطابق الأرضى لوح غير مثبت بدعائم فى إحدى جوانبه مع قطعة من الصخر الغامق فى الأعلى، ويمكن القول أنهم تركوها خلفهم لأنها كانت ثقيلة كى ينقلوها، فلم تكن تستحق حتى مجهد النقل، ووجدنا فى درج عميق خلف اللوح حبة كبيرة من الكاكاو مشمعة وجميلة وبها رائحة غبار زيتى غريبة، ولقد احتفظنا بها لسنين ولكن يبدو أنها تلاشت الآن، وكان هناك أيضا صندوق قديم من الكرتون Dance Dust، وإذا رششت منها القليل على الأرض تجعلها زلقة لتكون مناسبة تماما لرقصة الفوكسروت الانزلاقية، ويبدو أن ماكجين الأم والأب كانوا يقيمان حفلات ونعتقد أن هناك أزواجا آخرين كانوا يرقصون على طريقة Victoral، وقد تركوا خلفهم شيئا آخر، لابد أن الناس كانوا سعداء فى هذا المنزل.

كان هناك العديد من الأطفال فى سن المراهقة فى هذه العائلة، وكانت أتساع فى بعض الأحيان إذا ما كان هؤلاء الأطفال قد تأثروا

بالاضطراب السياسي الذي حدث في الستينيات، وإذا ما كانوا ورطوا أنفسهم في مشاكل وجعلوا آباءهم قلقين عليهم، لابد أن هؤلاء الأطفال اقتربوا من منتصف العمر الآن، وأنهم يهتمون بصحتهم التي تناكل، وبزواجهم الذي شابخ وبما يفعله أحفادهم، ويبدو الأمر لى وكأن أفكارهم تتجه أحيانا إلى المنزل الذي نشأوا فيه، وربما يتذكرون دولاب الاحتفاظ بالبندقية في الصالة بالطابق الأعلى (خياطة الأخدود واللسان) والذي لم نستخدمه إطلاقا، وربما كانوا يتذكرون في الاجتماعات الأسرية المساحة الصغيرة تحت الشرفة والتي دخلت عبر باب مختلف في الحائط والتي أصبحت ناديا سريا لأطفالى.

ترك أحد أفراد عائلة ماكجين مظروفا مختوما خلف مبرد الحمام، وهو من طراز قديم وبه الكثير من معدات تسخين المياه المضلعة مع بعض البروزات المزينة، واكتشفت المظروف عندما كنت أدهن الغرفة ووصلت بفرشتى إلى ما خلف المبرد، حيث اصطدمت بشئ ورقى، كان على أن أكون حذرة ألا أمزقه أثناء نقله، وضعت فرشتى وبحثت حولى عن قطعة سلك على شكل خطاف يمكننى إدخالها فى لسان المبرد، ولا يزال المظروف بعد كل هذا الوقت سليما ومحظوما، إلا أنه اتسخ قليلا وكان مكتوبا عليه اسم "السيدة ليلى ماكجين"، كان مكتوبا بالحبر الأزرق ولكنه تلاشى وشعرت بالهشاشة فى يدى، وحتى بعد أن ظل مخبأ طوال فصول الشتاء التى مضت ولا يمكن حصرها مع وجود صوت خشخšeة الفرن

والحرارة الآتية عبر الأنابيب التي مرت عليه طوال تلك الفترة، وتساءلت إذا ما كان يجب على أن أفتحه؟ بالطبع سأفعل، يمكنني فقط التظاهر بالتحلى بالوازع الأخلاقي في تلك المواقف، إلا أن لسى لهذا المظروف جعلنىأشعر بحزن جميل نابع من الدين، بالطبع سوف أفتحه.

راودتني فكرة أن يكون هذا الجواب خبرا بالانتحار، أو طفل يرسل بطاقة عتاب أو اعترافا من نوع ما، يؤسفنى أن أخبرك أنى وقعت فى حب...، عندما انتقلنا إلى هنا تحدث الجيران الذين يسكنون خلفنا عن مأساة حدثت لعائلة ماكجين، وهى مأساة عجلت بأن ينتقلوا من هنا، وبعد سنوات من السعادة تلتها أوقات من الحزن (لم يكن لدى حماتى أى معلومات يمكن أن تشاركنى بها، ولم تكن تحب عائلة ماكجين)، لم أهتم كثيرا بهذه الشائعات ولكنى أدركت أن أى عائلة تتخلى عن منزل مثل هذا يجب أن يكون لديها دافع قوى.

ما وجدته داخل المظروف كانت دعوة بسيطة ورخيصة، حيث سيعقد استحمام طفل فى ١٢ مارس ١٩٦١ (كان عمرى أربعة أعوام حينها) وكانت الأزهار الوردية والزرقاء تتداولى على سيقانها القصيرة من سرير طفل بسيط معلق فى فرع شجرة، "يرجى إحضار لعبة صغيرة أو قطعة ملابس" كانت الدعوة مكتوبة بخط رقيق وهو نفس الخط على المظروف، "على ألا تتعدى ٢ دولارات، ويرجى إحضار شيء ما للألم جورجيا".

ما الذى حدث لجورجيا الحامل التى كانت ستُكرم فى الحفلة؟ وما الذى حدث لطفلها عندما ولدته، وهل تم استحمام الرضيع بنجاح؟ تفتحت هذه الأسئلة فى رأسى مثل غرف بطول ممر مظلم، وهذه الغرف بها أبواب أخرى تؤدى لغرف أخرى، أتذكر أن دانيال ويسترمان سألتنى ذات مرة عن ماهية هذا الاستحمام، وكان طبيعياً أن تجد صعوبة فى فهم المصطلح، لأنها امرأة فرنسية وفى منتصف الثمانينيات من عمرها، ولكنى حضرت الكثير من هذه الفعاليات، ولم أجد فيها أى صعوبة فى تخيل غرفة معيشة فى بداية الثمانينيات تمتلى بضحكات النساء التى تبدو أنها لن تتوقف، ورغم ذلك يوجد خلف هذه الضحكات العالية دائماً صوت عميق لامرأة بعينها وهى تصرخ، وتكون هذه المرأة معروفة بين معارفها بضحكتها التى يقدسونها كثيراً وال التى تثير ضحكهم، وستكون هذه المرأة متألقة فى أى تجمع بثوابها الواضح أنه تم تخفيطه فى المنزل بلونين، وأن تخيل أنه مصمم بشكل هندسى من الأسود والأحمر، وستكون أيضاً مرحباً بها دائماً فى أى اجتماع، وعلى الناحية الأخرى كانت السيدة ماكجين تضحك بهدوء وبهمس وكانت كثيراً ما تضع يدها على فمها.

هل كان السيد ماكجين هو من يملك مجموعة البنادق الموجودة فى الدوّلاب المبنى خصيصاً لها، وهل انفجرت إحدى هذه البنادق عن طريق الخطأ؟ وهل كان هو من حاول أن يعزل العلية ثم خرقها

بشدّة؟ وكيف لم تقدم السيدة ماكجين - والتي لم أعرف اسمها الأول أبداً - ولويس أي مساعدة، ولكنني أعتقد أنها ربما تكون ليليان أو دوروثى أو روث، ربما أراد أحدهم أن يشغل نفسه، وهل كانت هي من قررت أن تركب حوض المطبخ الأخضر الصلب ذا الوعاء المطلى باللون الأخضر؟ أصبح الوعاء الآن في حالة يرثى لها، ولكن من الصعب جداً التخلّى عنه وفي كل الأحوال لا يزال يعمل بشكل ممتاز. يمكنني أن أتخيل ليليان ودوروثى وروث وهن يقفن عند الحوض يقطعن الفاصلوليا لقطع صغيرة ويفرمنها بالماء ويتنهدن وينظرن للساعة، فقد حان وقت العشاء، وأتخيل الساعة البلاستيكية التي يعود عمرها لما بعد الحرب على شكل إبريق شاي أو ضفدع. إنها امرأة بحجمي تقريباً وفي نفس سنّي ومتوسطة وهي ضئيلة بعض الشيء وعريضة من عند الوركين ولها جسد على شكل ثمرة الكمثرى، وهي في منتصف الأربعينات ولديها شفاه بارزة تضع عليها أحمر الشفاه، وقد فقدت بعض مميزاتها الأساسية، وقد نحل جسدها ولم يعد هناك تساؤل إلا حول منطقة الصدر ولم يكن ليشك أي شخص أنها قد تكون قادرة على الوصول لأقصى درجات الشهوة والرغبة والتمني.

أحب هذا المنزل، فأنا وتوم هنا منذ ٢٦ عاماً وهي مدة زواجنا فقد انتقلنا هنا عام ١٩٨٠، ونعيش في المنزل المجاور للمنزل ذي اللون الأحمر، الذي ولد توم فيه والذي لا تزال أمّه تعيش فيه، وهي

أرملة في السبعينيات من عمرها وتبعد هزيلة هذه الأيام وصامتة بشكل متزايد، ولدى توم بعض العادات والمهام العائلية التي يقوم بها في أورانج تاون - مثل أبيه تماماً - على بعد عشر دقائق من المنزل، ولكنه يقضى ثلث وقته على الأقل يعمل على أبحاث حول تلك القوارض اللافقارية، وهذه هي هوايته وما يحب القيام به، وقد يخبرك عن الأمر بطريقة ما تجعلك تفهم أن هذه القوارض هي عمله الحقيقي.

ما يجعل الناس مرتبيكين أنني أخذت اسمه، فقد نشأت وأنا أسمى ريتا سامرز، وعندما أصبحت في الثامنة عشرة كان شعرى طويلاً ولونه بنيا ويصل إلى خصرى والتحقت بدراسة الفرنسية وقابلت طالباً في كلية الطب اسمه توم وينترز، وكان قد أسقط في أيدينا، فكان من الممكن أن نصبح مزحة أو أن يغير أحدهنا الوضع، وبدا في هذا الوقت أن اسم الشهرة أو اسم العمل الذي سأعرف به سيمثل مشكلة كبيرة، واستطعت مؤخراً فقط أن أسرد بسرعة وبخفة دم جزءاً من المشكلة وكيف استطعنا حلها. ذهبت للمحكمة ووافقت بعض الأوراق وكان هذا كل ما في الأمر، وربما يفكر البعض أنني كنت أضحي حينها بأجزاء مني (فقد نشأت وأنا استمع إلى هيلين ريدي وهي تغني "أنا امرأة") فكلانا نشأ في السبعينيات وأخذنا روح هذه الفترة، وأفترض أننا سنظل هكذا طوال عمرنا، وفي الحقيقة كان عمري ١٢ عاماً في عام ١٩٦٨، إلا أن إمكانية التمرد

كانت موجودة بقوة بداخلى، و كنت أفكر فى كيفية استخدامها سواء لشئ ما أو تخزينها لاستخدامها ضد شئ آخر، و كنت أفكر فى أنه يجب العيش داخل التاريخ الذى ولدنا فيه، ولكن كان على أن أقاوم مثل المتطرفين، فهم مخلوقات عاديه فى عصر عادى.

إن منزلنا ملئ بالأركان القاسية التى تبدو لي وكأنها فى أفضل أشكالها، وكثيرا ما أفكر فى كيف تحدث الكاتب الأسباني فيسينتى فيردو عن المنزل كشيء يوجد بين الحقيقة والرغبة، بين ما نريده وما نملكه بالفعل، ربما لا يكون هذا المنزل جميلا كما أراه، فعينى عليها غشاوة، اعتدت على رؤية الغرف المنفصلة بألوانها وفراغاتها ولكنى لم أعد أستطيع فعل ذلك الآن، فقد بالغت فى تقدير سعر بنائها كلها؛ الخشب والأشكال التى تحتويها وحتى المרפא، و كنت أقنع نفسي بأن هناك اتساعا معماريا وراحة فى نفس الوقت، فى الوقت الذى كان من المفترض فيه أن أسعى للحصول على نصيحة بخصوص الديكور، ولا يمكننى ترجمة كلمة راحة (Cozy) للفرنسية، وكثيرا ما تناقشت مع دانيال ويسترمان بخصوص هذا الأمر، ليس لأن كلمة (Cozy) تأتى فجأة فى مقالاتها الصارمة، فلا يوجد كلمة فى اللغة الفرنسية مقابل كلمة (Reckless)، وهو أمر مثير للفضول، عندما تفكرون أن الفرنسيين طائشون بشكل نمطى على الأقل.

لا أرجح إطلاقاً أن تكون السيدة ماكجين قد ذهبت إلى استحمام الطفل هذا الذي حدث عام ١٩٦١ عند صديقتها جورجيا، كان المظروف لا يزال مغلاقاً عندما وجدته، ولم يكن أى من أفراد أسرتها ليخفى عنها عمداً هذا الخطاب، لقد ضل طريقه كما تفعل الأشياء الصغيرة في المنزل المزدحم بأن ينفصل عن بقية الرسائل ليحمله أحدهم إلى هذه الغرفة ليضيع فيها ويظل كما هو على حاله بغرابة شديدة.

إن أمسيات هذه المرأة التي عاشت عام ١٩٦١ أقل أهمية بالنسبة لى، فقد كان جون كينيدي رئيس الولايات المتحدة، وكانت الدولة بأكملها على وعي كامل ولديها شعور بالذنب، وكانت هناك مسيرات في الشوارع، وكان هناك أناس أذكياء ومسئولون لديهم الرغبة في أن يقضوا شهوراً بالسجن، وكانت القوى السياسية حول العالم هي الشغل الشاغل لتفطى على موضوع لا أهمية له وضئيل بحجم استحمام طفل في مدينة كندية صغيرة، ودعوة تائهة لا تعنى شيئاً على الإطلاق على مقياس اهتمامات ومخاوف البشر.

ولكن ربما لو كانت السيدة ماكجين نوعاً خاصاً من النساء، فمن المؤكد أن هناك صديقة جيدة ومحبة هاتفتها لتذكرها بهذا الحدث، فشهر مارس شهر كثيف في هذا الجزء من العالم والذى نعيش فيه بثلاوجه الكثيبة وذوبانه العشوائي. لم تكن الحركة النسوية الخافتة في بداية الستينيات كانت قد اشتعلت بداخل نساء مثل ليليان

ماكجين، كانت النسوية في مرحلة الشرفقة وكانت ليلييان حائرة بين الأجيال والمواسم، فعلى الأرجح أنها لا تزال ترتدي حزاماً وتستخدم أداة منع الحمل، لمنع أي حمل في المستقبل. كان البيت مفتوحاً للنساء وكان الأطفال صعب المرااس، وكان يتم الترحيب بمناسبة اجتماعية في المساء، كانت ماكجين تقف عند الحوض الأخضر تقشر الفاصوليا، وربما تكون قد شعرت بالإثارة لأنها دُعيت لحضور استحمام طفل وأن هناك دعوة أرسلت إليها، حتى ولو كانت قد فقدت بشكل أو بآخر، كانت ستتصبح ممتنة كثيراً للهاتف الذي يذكرها بالموعد، وكانت ستشعر براحة من الأفكار التي جثمت على صدرها، وربما كانت ستضع العشاء لأسرتها على عجل، وربما كانت ستتجرب شيئاً جديداً في الوجبة الخفيفة بعد العشاء، لتترك الفاصوليا في سائل عاجي على أقل تقدير، وربما لمرة واحدة فقط ستأنى ابنتها المراهقة والتي يثقلها قلقها وتعاستها بسبب امتحان الأحياء في اليوم التالي لتقديم المساعدة لأمها، وستقول لأمها: "دعيني أقوم بالأمر، وادهبي أنت إلى حفلتك"، إلا أن هذه الفتاة والتي تشبه ناتالي في تفكيرها ستتظاهر بعدم المبالاة ولكنها ستتقلق في نفس الوقت برغبتها في المعرفة إلى حياة مجتمع النساء البالغات، ولربما لو كانت حساسة بعض الشيء، وكانت شعرت بالأسى غير المرئي الموجود في البيت، وهناك شيء خاطئ يحدث مع أمها وهناك أسئلة تحتاج لإجابات.

كانت ابنة لا تفهم شيئاً عن العناية بالمنزل، فملاءاتها في غرفة النوم بالأعلى، وهي نفس الغرفة التي أخذتها ناتالى كل هذه السنوات فقد انتقلت مباشرة من أسرة الأطفال لأسرة الكبار، حيث تغيرت بشكل منتظم وأصبحت فتاة رائعة ومنطلقة، ولكنها لم تضع في اعتبارها أبداً مفهوم رعاية المنزل، ولماذا ستفعل أصلاً؟

ربما تكون ابنة السيدة ماكجين قد أمرت أمها في مارس ١٩٦١ قائلة: "اتركي المطبخ لي" وهي تتحدث بلهجة غاضبة مثل كريستين تماماً، وهي تريد أن تلعب على وتر الطيبة بداخلها والذي تشعر به ولكنها لا تستدعي أن تدعى ذلك فقالت "سأهتم بفنل الأطباق".

إن المنزل يحتاج للرعاية، وحتى وقت لاحق كانت الخادمة تأتى لتنظف بيتنا مرتين في الشهر، ولكنني الآن أستدعيها بشكل أقل، فشاحتها الصغيرة تسير في ممرنا، وأجد أن عضلات المرأة ومعداتها تستهلكني وترهقني، وفي الغالب أهتم بالمنزل بنفسي وأتعامل مع الأتربة وشعر الكلب وأنا مرتدية بنطال جينز قدماً وسترة من القطن الذي طرف كمه غير محاك جيداً، فالتنظيف يشعرني بالسعادة وأشعر بالتردد في الاعتراف بذلك أو نادراً ما أفعل ذلك، ولكن بداخل أفكارى سأسجل الحقيقة: إن الغبار وإزالة الشمع والتلميع يقدم لك مكافأة، والكثير من الناس سيوافقون على هذا إذا ضغط عليهم، على الرغم من أن صوت المكنسة عال جداً ومن الصعب الاستمتع به. أحب مناورات مكنسة الغبار على

الأرضية المصنوعة من خشب البلوط (فى نيويورك من غير القانونى أن تهز ممسحة الفبار خارج الشباك وأعتقد أن نفس الأمر فى تورنتو، فائنا أتذكر أنى قرأت هذا فى مكان ما)، أعتقد أنى رأيت هذين الراهبين البوذيين فى فيلم وثائقى منذ وقت ليس ببعيد، وهما يكرسان ساعتين كل صباح للتأمل وتتبعهما ساعة من التنظيف الجدى، ويأتيان وهما مرتديان الزى البرتقالى وحليقا الرأس وهما يذهبان فعليا كل يوم إلى هذا العالم ومعهما السطل والثياب المتهരئة وهما ينظفان كل شىء وكل ما يحتاج إلى التنظيف سواء كان حائطا أو سورة قدیما أو أى شىء يمثل تهديدا أو اضطرابا، وقد بدأت أفهم إلى أين قد يأخذهما هذا.

أما أنا فأستمر فى التنظيف بقطعة قماش رطبة فى يدى وأصل إلى تحت الحوض وألمع الكوع الذى يصعب الوصول إليه، وفي الغد أنوى أن أنظر سلالم الطابق السفلى وسانظر الأركان أيضا.

لست بهذا الغباء كى أضع معا وساوسى الغريبة فى آن واحد، الخشب والعظام، أو المواسير والدم. ولدى الشخص ما يدور مع دانييل ويسترمان، فإننا لا نصنع الصور البلاغية من أجل أن نشتت أنفسنا، ولكن الصور البلاغية لها قوتها الخاصة علينا حتى دون إيماءاتها السريعة العابرة، إنها حقيقة تماما مثل شجيرات الفواونيا التى نكتشفها فى الصفر، مثل الاستلقاء على العشب والنظر فى خط مستقيم للجانب الس资料ى للأوراق والبتلة وإبداء الدهشة: يا

للهول إن هذا عالم سرى، ونظن أن عالم الناضجين الكبار لا يمكنه رؤية هذا، هذه الخنافس والديدان ومستعمرات النكل والرائحة الحلوة الحامضة للتعفن، ولكن فى الواقع فإن الجميع يعرف هذا العالم الملموس وهو لا يشير لأى شئ إلا للعالم نفسه.

أنا أنظف وأمع بيتي حتى أحميء من الدمار، وإذا ألزمت نفسي بهذا فسأرعاه باهتمام، وسأستعيد روح ابنتي نورا التي ذهبت لتسعى وراء الخير، فهذا الفتى الذى بدأ بفكرة غريبة ثم بدأ بنشر العدوى، وهى الفكرة السخيفه أن هذا الصمت أكثر حكمة من الكلمات والتوقف عن العمل أفضل من العمل، وهذا ما أعمل ضده، وفي الأغلب أقوم بالتنظيف في الفترة الأخيرة من أجل السيدة ماكجين، وأريد أن أرسل لها هذا كهدية، نعم فقد كان الأمر يستحق كل هذا التوتر والقلق وكنت أتوق أن أخبرها: ما هي وجهة نظرك؟ فأنا صغيرة بشكل كاف يجعلنى أسعى وراء الإجابة ولكنى كبيرة على أن أنتظرك.

أقوم بهذا العمل بسرعة وأسرع في كل ساعة، فكل يوم ألقى نظرة على الدرابزين المصنوع من شجر البلوط، والذى تترافق الأيدي صعوداً ونزولاً على منحنياته الملساء مما يجعله يبدو وكأنه كائن حى، وقد قدم هذا الدرابزين الكثير من الدعم المستمر وهو يبدو هادئاً ويشع الضوء المنعكس منه، ويقاوم هذا الدرابزين بقدراته على الاستمرار ضخامة وحدة الإنسان العادى، ولماذا لا أنظف هذه

الأسطح الحريرية كل فترة بسبب إعجابي بها، أو كل يوم إن جاز التعبير؟ بالتأكيد لن أذكر حتى التأثير السريع والعاشر لسائل الرش بالليمون. تناقشت مع دانييل ويستerman في أمور الأعمال المنزلية، ولم أتفاجأ قليلاً عندما بدت أنها تسخر من الأمر فهي دائمًا هكذا، وهي تؤمن أن المرأة استعبدت عن طريق ممتلكاتها، فهي تكتسب الشيء ثم يأسرها بعد ذلك، وهذا يقضى على الإبداع في المرأة وعلى إبداع أي شخص. ولكنني رأيت الطريقة التي ترتب بها مقالاتها على الرف، ورأيت كيف تضع الطاولة بحرص حتى لو لم يكن إلا أنا التي أنت لتورنـتو لتناول الغداء معها.

غالباً ما تدهشنى آراؤها، بالرغم من أنى أحب التفكير فى أننى أعرفها جيداً، بالرغم من فارق الأربعين عاماً بينى وبينها. إن الدكتورة ويستerman شاعرة وكاتبة مقال ومؤيدة للحركة النسوية وتمتلك سبع وعشرين درجة شرفية، وقد قلت لها ذات مرة وأنا أشير إلى كلمة معينة في كتابها الأول من مذكراتها في محاولة لا أبدو وكأنني أستفسر منها: "ربما يكون من الأفضل استخدام كلمة عقل هنا بدلاً من كلمة قلب".

رمقتني بنظرة تساؤل سريعة وكان جفنها ذو اللون الأزرق يرتفع، ماذا الآن؟ شرحت لها أن الإشارة للقلب على أساس أنه مركز الإحساس أصبحت أمراً قدديماً، وأن النقاد يدينون هذا الاستخدام قائلين إنه عفى عليه الزمن، وبالرغم من ذلك فإن كتاباتها ثمينة

للغایة، ففكرت فيما قلتہ ثم نظرت إلى مبتسمة بعتاب فيه مودة ثم وضعت يدها على صدرها وقالت: "ولكنني أشعر بالألم هنا، وبالحنان أيضاً".

لم أعلق وانتهى الأمر، فدائماً يجب أن تكون الفكرة المسبقة لدى الكاتب موجودة لدى المترجم، فانا أعرف الكثير بعد كل هذه السنوات.

هناك أشياء أخرى يمكنني استغلال وقتى فيها بجانب تنظيف منزلى، فهناك هذا الكتاب عن الحيوانات فى كتابات شكسبير، والديوان المصاحب لكتابي شكسبير والزهور، ويمكننى إنهاء ترجمة الكتاب الرابع والأخير من مذكرات ويسترمان، والتى ستستغرق حوالى ستة أشهر، وبدلًا من ذلك فانا أكتب رواية ثانية ولكنى أكتبها ببطء، لأننى أستيقظ فى الصباح قلقة بسبب تنظيف منزلى، وأود لو أتبع فى هذا الأمر طريقة Q، فكل صدع وركن أصبح مصقولاً، وكلما ذكر منتج جديد للتنظيف أنتظر اللحظة التى أمسكه فيها بيدي، لا يمكننى التحكم فى الأمر، فكل يوم أفتح عينى وأريح نفسى بالأمور التى سأتجزها، وأرى أنه من المهم تعلم طرق ملتوية لمواصلة النفس، وهى مهمة أيضاً كى ينسى الشخص أطواره الغريبة. بعد أن أتناول غداء سريعاً من الجبن والرقائق بعد الظهر، أذهب لأكمل روايتى، وعندما أنجز بها صفحتين، أعتبر أن اليوم كان جيداً، وفي بعض الأحيان أكتب ثلاثة أو أربع صفحات، ثم أستلقى على كرسى

وأفكر: ها أنا هنا، امرأة جالسة وتفكير، ولكن دائمًا متسرعة وشاردة الذهن، وفي يوم الثلاثاء أقابل أصدقائي لتناول القهوة معاً في أورانج تاون، أما يوم الأربعاء فأشهد إلى تورنتو، وفي كل يوم خميس بعد الظهر أذهب لاجتماع مجلس إدارة المكتبة.

ذهبت إلى تورنتو يوم الجمعة الماضي مع توم لحضور مؤتمر القوارض اللافقارية في المتحف، بعد أن قضيت أياماً في البيت منتظرة مكالمة تليفونية من السيدة كوين في بروميس هولستيل، والتي لم تثمر عن شيء في الحقيقة إلا أن شيئاً لم يتغير، وحضرت أيضاً إحدى المحاضرات فكررت في أنها ربما تزيد من حالة التشتبه الذهني التي أعانى منها، كانت تحاضر إحدى عالمات الحفريات وتدعى مارجريت هنريكسين من مينيوبوليس، وكانت تحاضر في غرفة مظلمة وكانت توضح ما تقوله بعرض على الكمبيوتر حول أحد القوارض اللافقارية التي تشتت نفسها بداخل كرة صفيرة، لم ير أي شخص على الإطلاق قوارض لافقارية، حيث إنها توجد فقط في سجل الحفريات، ولكن تقسيم عظمها الصدري مسجل على أحجار، وتظهر أن هذه الكائنات كانت تجيد التموج وقت الخطر، وكان كل جزء يعيش في الجزء المجاور له ليحمي هذا الحيوان الطري، تسمى هذه الحركة بالالتفاف، وهو تصرف شائع لدى المفصليات، ويبدو لي أن هذا ما كان يقوم به توم في الأسابيع الماضية، فأنا أقوم بتنظيف منزله وهو "ينطوي" في صمته الذي

يأخذه بعيدا عنى، حتى أبعد من مدام ماكجين التى تزول صورتها سريعا، والتى تبقى ذرة غبار فى جانب عينى؛ وأتساءل لماذا لم يتم دعوتها لاستحمام مولود صديقتها فى هذه الليلة من شهر مارس عام ١٩٦١، إن الأمر يقلقها وهى نفسها محبطة، وكانت حياتها تتلاشى أمامها كل يوم. وكانت تدرك هذا منذ اللحظة الأولى، وكانت تتحمّل آلامها دون أن تهتم بها، والآن هي تعيش فى هذا الفراغ فجأة، ولم تستعد لهذا الحزن الجم، وللحقيقة فإن بقية حياتها ستكون على نفس المنوال، العيش فى بيت يتهاوى لم يكن يتمنى أن تسكنه.

بعد انتهاء المؤتمر فى تورنتو أراد بعض الأصدقاء الذين يقومون بأبحاث عن القوارض اللافقارية، أن يتناولوا الطعام فى مكان يدعى فرونتير بار فى غرب بلور ستريت حيث المنظر الموحش، ربما قرأوا عنه فى دليل سياحى وظنوا أنه ربما يكون مكانا رائعا.

فى فرونتير بار تجد كل شيء أمامك، بدءا من جلود البقر المثبتة بمسامير على الحوائط، حتى العصى التى تثبت الفاكهة وعلى رأسها قبعة راعى البقر، وللمشروبات أسماء مثل روبيو رومبا وكريزي هيهاو، وشعرنا بعدم القدرة على طلب مشروبنا من النبيد الأبيض الممتاز، وقبل أن نودع بعضنا فى نهاية الليل، استأذنت فى الذهاب إلى الحمام، ووجدت خلف كل باب سبورة صغيرة جدا بها

طبشوره، وهي خدعة تستخدمها الإداره كى تتجنب تخريب الممتلكات.

لقد تحدثت مع توم كثيرا عن الكتابات الموجودة فى الحمامات العامة، وقد قمنا بعمل مقارنة بين الكتابات، فكلمة امرأة مكتوبة على الحائط بشكل لطيف للغاية وبراءة متناهية، وقد صدقنى توم بصعوبة، وقد رأيت مرة كلمة "غدا ملفى"، ورأيت أيضا "ساسكاتشيوان ليبرى" ورأيت مرة قصيدة قصيرة "عندما تمطر الرذاذ / وأنت تتبول / يجرى أن تكون لطيفا / وأن تتطف المبعد" ، أنا أحب هذا النوع من السخرية على وجه الخصوص وتلك الأفكار التى تبدو غير قادرة على الالكمال إلا فى هذا الشكل المختصر وهى أشكال غير ثابتة.

لم أشعر يوما بالرغبة فى أن أضيف شيئا لأدب حوائط الحمامات، ولكن فى هذه الليلة فى فرونтир بارأخذت الطبشرة دون تردد، فراسى تئن من الألم وكلماتى جاهزة.

ورغم ذلك بدأت أولا فى مسح ما هو مكتوب بمنديل مبلل، ومسحت عباره "مرحبا يا أمى" و "لوري فراتس" وتركت لنفسى مساحة نظيفة لأكتب فيها "قلبي انكسر" بحروف كبيرة صماء، وما حركنى هو دفعه سأعترف فى وقت لاحق أنها دراماتيكية وطفولية ومتسامحة وعظيمة وقوية، ثم راودنى تفكير غريب، فرسمت قلبا

صغيرا في الركن، ورسمت خطأ يمر من خلاله، وكنت على وعي تماما بالجودة البسيطة للروح الجيدة لهذه الكتابات.

شعرت فجأة بأن الضغط قد زال من على كاهلي، وهو شيء لا يختلف عن السعادة لوهلة، لنصف دقيقة، حتى وإن كان تحت التأثير، الافتتان قد سمح لي بأن أكون مستقبلا وباعثا في آن واحد معا وليس كائنا ميتا، ولكن تواصل حيا فيما يمكن أن يصبح حزنا لا يطاق، وفي هذه اللحظة كنت أؤمن بحماسى كثيرا، وأننى سأكتب كلمات تظهر الحقيقة وأنى أدون أكثر الرؤى خصوصية وإزعاجا بدلا من الأنين الميلودراماتيكي المكتوب هنا، ودائما ما كان طموحى الداخلى هو أن أخرج عن هذا الحزن فى الحمام.

خرجت لأنضم لبقية الأصدقاء الجالسين على الرصيف خارج البار، ولم يلاحظوا أنى غبت طويلا وربما أكون قد غبت لدقيقة أو دقيقتين، فكان النبض الممتاز والطعام السريع قد أثرا على الجميع يثرث عن تورنento وكيف أن شيئاً مصطنعا مثل فرونتير بار لا يزال موجودا، وضع توم يده حول خاصرتى، وكان في غاية اللطف لدرجة أنى شبهت أمنت أنى تركت تأثيرى خلفى، كان هواء الليل باردا ويقترب من التجمد، ولكن لأول مرة منذ أسابيع كنت قادرة على أن آخذ نفسا عميقا، قلبي انكسر، قلت هذه الكلمات وأغلقت فمى عليها، ثم ابتلعتها.

إذا

سألتني ابنتى نورا عندما كانت فى التاسعة قائلة: "حسنا، لماذا لا تتزوجين أنتى وأبى؟"

لقد كنت أنتظر هذا السؤال منذ عدة سنوات، و كنت جاهزة للرد فقلت لها: "نحن متزوجان فعلاً بالمعنى الحقيقى للكلمة"، كنا نتسوق معاً فى أورانج تاون صباح السبت، وكنا فى محل الأحذية الوحيد فى المدينة ولم نكن نهتم ببقية المحلات خارج المول التجارى، وكانت نورا تجرب حذاء المدرسة الجديد فقلت لها: "معنى أنتا متزوجان هو أنتا نعيش معاً إلى الأبد".

فقالت: "ولكنكم لم تقوما بعمل العرس" .

فقلت لها بسعادة: "ولكننا قمنا بعمل حفلة استقبال، فتناولنا العشاء مع الأصدقاء والعائلة فى شقة أبيكِ، دائمًا ما كان التحول من العرس لحفل الاستقبال جزءاً من خطتي للرد على هذا السؤال.

"ما نوع هذا الاستقبال؟"

كم كان سهلا على أن أدفعها لجانب واحد من الموضوع، ردت عليها قائلة: "تناولنا البيتزا والبيرة والشمبانيا لشرب النخب".

"هل كانت جدتي وينترز هناك؟"

"حسنا، لم تكن موجودة فهى وجدى وينترز كانا يحضران استقبالا آخر لنا، كحفل الشاي".

"ماذا كنت ترتدين؟"

"قصدين فى حفلة البيتزا؟"

"نعم."

كان لدى قبطان أهدته لى إيماء آلين، وهو مصنوع من القطن الأفريقي وعليه رسومات بالأزرق والأسود، وقد شاهدت الصورة، ولم يكن هناك حينها سوى إيماء مكلفتosh".

"هل كانت أشبينك؟"

"يمكنك أن تقولى هذا، ولكننا لم نكن نستخدم تلك الكلمة آنذاك".

"لماذا؟"

لكن كان هذا فى السبعينيات، ولم يكن الزفاف حينها هو السائد، وكان الناس يعتقدون أنه غير مهم، ليس كذلك إذا كان الشخصان يحبان بعضهما حقا".

ثم اهتزت فى كرسيها قائلة: "أكره هذا الحذاء".
"إذا لن نشتريه."

"أى نوع من الأحذية كنت ترتدين؟"
"متى؟"
"فى حفلة البيتزا."

"لا أعرف إن كنت أتذكر ذلك، آها لقد تذكرت، لم نكن نرتدى أحذية حينها فقد كنا حفاة."
"حفاة؟ أنت وأبى؟"

"لقد كنا فى الصيف، وكان الجو يومها شديد الحرارة."
فقالت: "هذا لطيف للغاية، أتمنى لو كنت هناك."
كان هذا سهلا للغاية، فقلت لها وأنا أعنى ما أقول: "كنت أتمنى لو كنت هناك، كان اليوم ليصبح أجمل".

اتصلت بي إيمى آلين منذ أسبوع مضى من نيوزيلاند، لتسألنى عما إذا كان هناك أى جديد. إيمى صديقتي منذ أن كنا معا فى المدرسة الثانوية فى تورonto، ولا حاجة لى هنا كى أشير لنقطات مشتركة بينى وبينها، فعقلانا يسيران فى نفس الاتجاه، فهى كاتبة وصحفية طبية، ولها شعر أحمر اللون وطويلة، وقد عاشت لفترة قليلة فى أورانج تاون مع زوجها وأطفالها، وكانت جزءا من نفس

ورشة الكتاب التي أعمل بها، نتحدث مرة على الأقل أسبوعياً على الهاتف، وعندما سألت إذا ما كان هناك أي جديد كانت تقصد نورا، وكيف أنها تعيش في الشارع.

“لا تزال هناك، هي هناك كل يوم.”

فقالت بطريقتها المعتادة: “ربما هذا مريح بعض الشيء، أتمنى لا يكون الأمر أسوأ.”

“أنا قلقة فقط بسبب البرد.”

كنا في أكتوبر وكانت كل ليلة تتميز بالبرودة الشديدة حتى إن الثلوج التي تذوب يسقط بدلاً منها.

فسألتني إيمى: “هل ستعطينها ملابس داخلية للتدافئة؟”
“فكرة سديدة.”

“على الجانب الآخر...”

“نعم؟”

ربما يأتي بها البرد إلى هنا، أنت تعرفي أن قرصات البرد يجعل الناس يستيقظون من نومهم ليبحثوا عن الدفء.”

“لقد فكرت في هذا أيضاً.”

“أعرف أنك فعلتِ.”

كان والد توم طبيب أسرة في أورانج تاون، وبالتالي أصبح توم مثله، لم يكن الأمر بهذه السهولة، ولكن تداعيات الأمر كانت متشابهة، فعندما كان طالباً كان ثائراً على الوضع وكان في طريقه للانحراف عن المسار، فلم يحضر حفل تخرجه بالجامعة لأنه سيتحتم عليه ارتداء ملابس رسمية، ولم يرتد إلا البنطلون الجينز لمدة عشر سنوات، ولم يمتلك يوماً رابطة عنق، ولا كان ينوى أن يشتري واحدة أبداً، فهي رمزاً لليبرالية المعتادة، إن توم برجوازي بطبيعته ولكنه يحارب هذه الطبيعة، فالامر بسيط، هو يعيش كرجل متزوج ولكنه لا يحبذ فكرة حفل الزواج ويعترض عليها، إن توم نوع مختلف من الأطباء، وهو يختلف عن والده القاسي والرومانسي في نفس الوقت، ويظن بعض الناس في أورانج تاون أن توم قديس، فهو صبور وشخص لطيف للغاية وموثوق به، يعمل توم في عيادة أورانج تاون مع ثلاثة أطباء آخرين، وأحدهم طبيب توليد يقوم بمعظم الولادات في هذه المنطقة، ولكن توم لا يحضر الولادات، فهو يرى الكثير من المرضى والكثير من الناس الوحيدة، ومن خلال توم عرفت المعنى لوجود الوحدة، ولو لاه لما آمنت بها.

أعتقد بشدة أنه يفكر في القوارض اللافقارية طوال الوقت، فبينما يتحقق من غدة البروستاتا أو يكتب علاجاً لأزمة صدرية، يكون جزء من عقله يفكر في فكرة الـ ٥٠٠ مليون سنة الماضية - وهي فكرة صعبة علىَّ كى أستوعبها - والكائنات المنقرضة

والمفصليات غير المحبوبة التي توجد في كل بحر ومحيط في العالم، فهى موجودة هنا منذ زمن بعيد، منذ حوالى مائة مليون عام، كان بعضها بحجم نصف ظفر الإبهام وبعضها كان بطول القدم، ولكن عشر مؤخرا على أحد القوارض اللافقارية العملاقة بالقرب من شواطئ خليج هدسون، وهو وحش بطول ٧٠ سم أى بمقاييس قدمني وأربعة إنشات، إنه مخلوق قبيح ولكنه مخلوق لافقاري قابل للتكييف ويلتصق بفقاراته، له رأس ذات عيون منتفخة وصدر وشىء يشبه الذيل، كائن بثلاثة أرواح عاش فى زمن من الأزمان، توم يحبها كثيرا وبالتألى فكلنا نحبها.

قالت كريستين عندما واجهتها بسيجارة وجدتها فى جيب سترتها: "وما المشكلة فى هذا؟، ولماذا تفتشن فى سترتى أصلا؟"
كنت أضعها فى الفسالة وبالتألى تحققت من الجيوب."

"أنا لست مدمنة إذا كان هذا ما يقلقك".
"نعم، هذا ما يقلقنى".

حسنا أنا لست كذلك، شربت بعض السجائر مع أصدقائي فقط."

حسنا كريس، عندما كنت حاملاً فيك، لم أتناول قطرة خمر واحدة طوال التسعة أشهر، لم أتناول شيء بكثرة إلا الأسبرين، وكنت أشرب يومياً ثلاثة أكواب من اللبن وأنت تعرفي أنى لا أحب اللبن".

"يا إلهى، لقد كنت شهيدة حقيقية من أجل الأمة".
"أردتك أن تكوني في صحة جيدة".

"وأنت ستعجلينى أشعر بالذنب عندما أكبر".
"كنت أمل فقط...".

"لا عجب أن نورا..." ثم توقفت.

لا عجب أن نورا تركت المنزل، فقد نظرت لوجهها الصارم
واستطاعت قراءة الكلمات التي كادت تتطرق بها
ثم احتضنتها وقلت: "حسنا، لا توجد مشكلة".

فهمست قائلة: "أنا أكره التدخين في كل الأحوال، إنه ليس أكثر
من مجرد شيء أردت تجربته".

"إذا"

هذا ما يقوله الناس عندما يبدأون بالحكى أثناء الحديث، أو
عندما ينظفون مكانا صغيرا بحيث يمكنك أن تبدأ قصة بنفسك،
يمكن أن تغنى على إيقاعات مختلفة، حسب الظروف.

"إذا"

تقريبا هذه هي أول كلمة أنطقها عندما أجلس لتناول القهوة مع
سالي باشيلى وآنيتى هاريس ولين كيلي، إذا نحن هنا الآن مرة

أخرى في غرفة تناول الشاي بأورانج بلوسوم، فنحن مجموعة تناول القهوة بأورانج تاون، نجتمع معاً صباح يوم الثلاثاء، ما الجديد؟ إذا، إن كلمة "إذا" مثل المزمار فهي تشير إلى النغمة "أ" في الأوتار، إذا إلى أين سنذهب من هنا؟

بعيداً عن إيمان آللين وجوين ريدمان اللتين لا أتوافق معهما كثيراً، فإن سالي وآنيري ولين هن الأقرب إلى قلبي، فجميعنا تقريباً في نفس السن، ولكننا نختلف في الحجم بشكل كبير، فسالي امرأة كبيرة الحجم ولكن تشعر أنها مثل الملكات، فلديها فم مستدير ووجه مستدير وترتدي نظارة سميكه ومستديرة وبلاستيكية، وهي ممثلة سابقة وتدير حالياً مجموعة تمثيل دراماً بعد دوام المدرسة، وهي رائعة في اللهجات: الاسكتلنديّة والألمانيّة ولهجة شرق الهند، يمكنها القيام بأى شيء، حتى ذراعها يتحرّك بشكل مسرحي، وحتى كوعها ورسفها، ملابسها أيضاً غير تقليدية من ناحية ألوانها وهي تقوم بتصميمها وعملها بنفسها، ألوانها مبهجة وصاخبة وزاهية، ولها أشكال مختلفة.

قالت لين كيلي: "إذا"، كانت ترتدي بدلة نسائية متساقطة والكثير من المجوهرات وحذاء مسطحاً، إنها أقصرنا فهي أقل من خمسة أقدام ونحيلة للغاية، وبالنسبة لي فإنه لغز أن تتجه طفلين من بين هذين الوركين النحيفين، شعرها كبير الحجم وهو يعوض صغر حجم جسمها، وهو أيضاً سميك وداكن وجميل الشكل معاً، وتشعر

بعد كل جملة تنطق بها أنها متبوعة بنقطة، وقد ولدت ودرست في
شمال ويلز.

أنت آنيتي هاريس لأورانج تاون من تورنento وقبلها من جامايكا،
وعندما تقول كلمة "إذا"، فإنها تصنع دائرة منها، هي أجملنا جميعا
ولها جسم عارضة أزياء، فوسطها نحيف وصدرها عميق ولديها
قدمان رائعتان ويدان جميلتان، إنها تنكشف في ارتداء ملابسها
فيما عدا مجموعتها من الأساور والأقراط الفضية يدوية الصنع،
قابلت آنيتي في مجموعة الكتاب التي كنت أنتهي إليها سابقاً،
وكانت تكتب الشعر في هذه الأيام وما زالت، ونشر كتابها الأشياء
المفقودة منذ عام مضى وترك أثراً جيداً، وقامت بعمل ندوة قراءة
في تورنento وكان الناس يتسابقون ليستمعوا إليها.

إذا فيما نتحدث عندما نجتمع معاً لشرب الشاي في أورانج
بلوسوم؟ نحن لا نفكّر أبداً فيما سنتحدث، نتحدث فقط.

كانت لين تتحدث اليوم حول الثقة، فهي تهوى ركوب الدراجات
الهوائية، وكانت دراجتها تستند على عمود إنارة في الشارع بعيداً
عن مستوى رؤيتنا وسألتنا: "كى أعرف أنها لن تسرق؟ ولماذا على
التأكد بأنها ستكون في أمان؟"

فقالت سالي: "لأنك في أورانج تاون."
وقلت: "لأن المدارس بدأت".

وقالت آنيتى: "لأنها عمر هذه الدراجة عشرين عاما، ولكنها موديل رائع".

وأكملت لين: "ولماذا لا أخشى ركوب الدراجة أسفل طريق بوردين ثم الدوران للشارع الرئيسي؟ فأنا أضع خوذى وأحاول أن أسير على جانب الطريق قدر المستطاع، ولكن ماذا إذا قرر سائق فجأة أن يقود بسرعة واندفع نحوى مباشرة؟"

فقلت وأنا أتذكر أنى تركت منزلى دون أن أغلقه: "لا أعتقد أن هناك من يقود بعنف كثيرا فى أورانج تاون فى هذا التوقيت".

فقالت آنيتى: "لا تصدقى ما تقوله، فهناك سائقون يقودون بتهور فى كل مكان".

"يمكن أن يأتي شخص الآن لهذا المقهى ويلوح بسيف تجاهنا، فقد قرأت عن رجل دخل إلى كنيسة فى إنجلترا وبدأ فى ذبح الناس".

"هل كان مجنونا".

"لم يكن بالإمكان التبع بذلك".

"مثل أن تصعدى عن طريق البرق، فلا يمكن أن تقلقى بشأن البرق طوال الوقت".

"أو أن تصطدم طائرة بمنزلك".

فقالت لين بهدوء: "إذا أتي أحدهم هنا بسيف، فلن تكون أمامنا فرصة".

"سنكون عاجزين عن التصرف".

"يمكن أن ننبطح تحت المنضدة".

لا، سنكون عاجزين".

"الثقة، إنها تولد معنا، أو أننا نخرج من أرحام أمهاتنا ونحن واثقون، ثق في اليد التي ستمسك بنا".

فقالت لين: "إذا، متى تحررنا من هذا الفهم الخاطئ؟"

فقلت: "هل تقصددين متى ساورنا الشك حول الثقة؟ لقد حدث في الحال، بعد أن ولدنا مباشرة وأنا واثقة من هذا".

مررت الأيام بعدها وجاءت بداية الخريف ثم منتصفه، حصلت كل من ناتالي وكريس على أدوار صغيرة في لعبة باجاما التي تقدمها المدرسة الثانوية، وكانتا منخرطتين تماما في أغاني لعبة باجاما في البيت، والتي تظل أغانيات جميلة بعد ثلاث سنوات كاملة، أما الأغانيات المفضلة لnatalli فهي Seven و Hernando's Hideaway و I've got sss-steam heat and a Half Cents عال وهي تنزل السلم وهي تذهب من جانب آخر وهي تميل على الدرابزين وهي تفرد ذراعيها، أما كريس فتكون خلفها على السلم تنشد ببراعة برفقة آخرين، أما توم فيكتب بحثاً مؤتمراً القوارض

اللافقارية للعام القادم فى أستونيا وسألنى: "ألا تحبين الذهاب لأستونيا؟، لم أكن أعرف، فالأمر يتوقف على نورا وما يحدث لنورا. أحاول أن أعمل على روايتي الجديدة ولكنى أفشل مؤخرا فى القيام بذلك، حقق كتاب دانييل الجديد مبيعات جيدة دون جولة للمؤلف وحتى بالقليل من الدعاية، وهكذا يسير الأمر.

وإلا

كنت أعيش حياة مختلفة منذ سنتين فقط، ونادراً ما كنت أسجل فكري عن الحسرة، وكنت أظن أن الحزن مكون من المشاعر المؤذية والازدراء الطفيف والخسائر الضئيلة والخيانات الصغيرة التي تحدث حتى الآراء السيئة، فالمأساة كانت شخصاً لا يحب كتابي.

لم أكتب الرواية لسبب بعينه، إلا لأنني شعرت أن هذا هو الوقت الصحيح في حياتي لكتابية رواية، أرسل إلى ناشري لنقوم بجولة في أربع مدن: تورonto ونيويورك وواشنطن وبال蒂مور، ويمكن القول أن هذا عرض ترويجي متواضع، ولكن نادراً ما تعرف دار نشر سكريبانو ولورانس ماذا تفعل معى، لم أكتب أى رواية من قبل، فقد كنت امرأة في الأربعينيات، وشكلى ليس معروفاً بالشكل الكافى ولست مناسبة للظهور في وسائل الإعلام، ولو كانت لدى سمعة جيدة فهذا لأننى محرة وأديبة وليس لأننى أنتج قطعاً أدبية خيالية جديدة ولا معة كى أمتع الجميع، أو هكذا تم وصفى على موقع Pub-lishers Weekly.

لقد احتار الجميع من أن كتاب My Thyme Is Up حقق مبيعات خيالية، ولم نكن نعرف من الذي يدخل إلى المكتبة ليشتريه، لم أكن أعرف وكذلك السيد سكريبانو، وقال: “ربما فتيات عاملات صغیرات السن محاطات بالوحدة وانعدام الأمان.”.

إن هذه الكلمات تجرح مشاعرى بعض الشيء، إلا أن التعليقات رغم أنها جيدة فقد جرحتنى أيضاً، ويبدو أن المعلقين ذهلواً بأن روایتی الصفيرة (٢٠٠ صفحة) التي لم يكن لها وزن على الإطلاق “لها جاذبية غريبة” كما قالت New York Time Review: بينما قالت The New Yorker إن كتاب السيدة وينترز مناسب لهذا الوقت بشدة، رغم أنه ليس مناسباً لكل الأعمار. نصحنى توم بأن أعتبر هذا مدحاً، وهو يرى أن جميع الروايات ذات القيمة تهتم كثيراً بالوقت الذى صدرت فيه، وربما تكتسب هذه الروايات بريقاً دائماً بعد عدة سنوات، لم أكن متأكدة من هذا، وبما أننى أعمل كمحررة لأعمال دانيال ويسترمان منذ زمن بعيد، فقد اكتسبت بعض التقدير النقدى بسبب قوتها الأخلاقية، وقد فهمت جيداً أن هناك شيئاً محبباً فيما يتعلق بكتابي.

كانت بناتي الثلاث سعيدات بهذا الكتاب لأنهن قد ذكرن بالاسم فى لقاء مع مجلة People Magazine، فقد كتبت المجلة (تعيش السيدة وينترز فى بيت ريفى خارج أورانج تاون فى أونتاريو وهى متزوجة من طبيب عائلى وأم لثلاث بنات جميلات: (ناتالى

وكريستين ونورا) كان هذا كافيا بالنسبة لهن. جميلة، وكانت نورا أكثرهن اهتماما بالأدب وتقلبا، قد تمنت قائلة أنه كان من الأفضل أن أغاضي عن النهاية السعيدة إذا ما قررت أليسيما أن تذهب لباريس في النهاية وأنكر رومان حبه لها، وكان هذا ليجعل الكتاب أفضل، أما ناتالى وكريستين فهما يدرسان العلوم المتقدمة في المدرسة الثانوية بأورانج تاون، وافتراضت ابنتى أن هناك إفراطا في الاهتمام ببنور الزعتر التي زرعتها أليسيما على شباكها، وفي مزاج أليسيما الفاتر وأمالها القوية، ولم يكن أى شخص لديه مثل عقلها سيفنى (كما فعلت أليسيما) هذه الكلمات التي سمعها رومان وهو يصنع القهوة في المطبخ، مما جعله يرتبط بها إلى الأبد: "My thyme is up".

فاز كتابي بجائزة أوفيندين وبالرغم من أن المبلغ المالي كان جيدا للغاية إلا أنه وضع الكتاب في مكانة أقل، أسس كلارنس ومارجوت أوفيندين هذه الجائزة في السبعينيات بسبب غضبهم الشديد من غموض الرواية الحديثة، ومقاييسها هو: "تهتم جائزة أوفيندين بالجودة الأدبية وسهولة الفهم" إن مارجوت وكلارنس شخصان طيبان للغاية وثريان، ولكنهما مضحkan بعض الشيء وساذجان في حكمهما، ومارجوت بالذات شفوفة بتكرار وصفتها الدائمة حول كتابة الرواية وهي تحب أن تقول: "بداية ووسط ونهاية، هل هذا كثير؟"

وفي حفل تقديم الجائزة بنيويورك احتضنت توم والبنات وقالت لهن كيف أنتي كنت متميزة وسط أقرانى وكيف أن هؤلاء الهواة يكتبون بادعاء دون أن يضعوا القارئ أمام أعينهم وهم يكتبون وكأنهم يلعبون من أجل متعتهم الشخصية وأنهم يضعون قناعاً فى كل حدث، سواء كان هذا مناسباً أم لا، مثل من يضع مدخلاً أو كرسياً فى كل فصل من الكتاب مجرد أن يظهر الفصل محيراً وغامضاً، وهمست مارجوت فى أذن توم قائلة: "إنه شيء رائع أن تجد هذه الشخصية المشرقة موجودة فى عالمنا". أجريت لقاء تليفزيونياً وكانت أجلس على كرسى فاسيلي وكانت هناك قطة على حجرى، وقد أصر أحدهم - ربما المخرج أو المنتج - أن تكون هناك قطة، وهو شيء يتعلق بالإخراج والتصوير".

لا أعتبر نفسي شخصاً مشرقاً، وفي الحقيقة، إذا صليت سأسأل الله كل يوم أن يبعد عنى هذا الإشراق السخيف، وقد تعلمت الكثير من حياة دانيال ويستران و أفكارها عن حياتها، وقد نصحتنى ذات مرة ألا أخفى الجانب المظلم من حياتى عنى، لأن هذا هو ما يدفعنا للأمام وهو ما يدفعنا بعيداً عن التألق الأجوف، وقالت هذا بالطبع في أصعب الأيام التي مرت على المدرسة النسوية، ولم يتوقع أي شخص أنها ستكافح من أجل المرح والاحتفاء، أتذكر أنى شعرت بالقلق المستديم الذى شعرت به عندما علمت أنك محظوظة للغاية، وشعرت بهذا عند بدء جولتى

الصغرى، وربما أصطدم فى أى لحظة، وربما الثلاثاء القادم بعد الظهر، بشئ لا أستطيع تحمله.

ودعت العائلة بعد أحداث نيويورك، وركبت القطار وسافرت إلى واشنطن، ومكثت فى فندق جورج تاون الذى كان ناشرى قد حجز فيه غرفة بالطابق العلوى، وهو شئ يسمى "جناح الكاتب"، وكانت هناك لوحة نحاسية على الباب تعلن عن هذه الحقيقة بوضوح، فأنا الكاتبة ريتا وينترز وأرتدى معطفا بييج واقيا من المطر آتية من أورانج تاون، دخلت من المدخل بحقيقة صغيرة وهى تجرها ونظرت حولها، ولم تجرؤ على تخيل ما يمكن أن تجده. كان هناك صالون وغرفة نوم وحمامان كاملاً وسرير واسع جداً والكثير من الكتب أكثر من أن أجده وقتاً للجلوس عليه فى فترة إقامتي القصيرة، وطاولة للقهوة مكونة من غطاء زجاجي موضوع فوق ثلاثة كتب كبيرة الواحد فوق الآخر، وهناك رف كتب كبير يحوى مجلدات كبيرة للمؤلفين الذين مكثوا فى هذا الجناح، وقد قال لي الموظف: "نطلب من ضيوفنا أن يتركوا نسخة من أعمالهم هنا"، وكان على أن أشرح له أننى لا أمتلك إلا نسخة واحدة الآن ولكننى سأحاول أن أجد نسخة فى أى مكتبة محلية، فقال بصدق كبير: "سنقدر هذا كثيراً".

كانت الكتب التى تركها المؤلفون خلفهم إما محبطة أو ملهمة أو إرشادات لمساعدة النفس مع بعض الإثارة بداخلها، لست متكبرة،

فقد قرأت قصة حياة جاكى أوناسيس على سبيل المثال، ولكن ارتبطت بكتاب من فصيلة دانيال ويسترمان جعلنى أطلع دائمًا لدرجة معينة من الفموض والاختلاف البسيط، وهو ما لم أجده هنا.

أتانى حلم مزعج ولكنى اعتدت عليه وأنا نائمة على هذا السرير الكبير والواسع، ودائماً ما يأتينى هذا الحلم وأنا بعيدة عن أوراج تاون وبعيدة عن أسرتى، وهو أننى أقف فى المطبخ فى منزلى وأقوم بعمل وجبة غريبة لضيوف، ولكن ليس هناك طعام كاف لعمل الوجبة، فيوجد فى الثلاجة بيضة وحيدة وربما حبة طماطم، فكيف سأطعم كل هذا العدد الذى ينتظر الطعام؟

أنا أعرف تماماً كيف سيفسر المتخصصون هذا الحلم، وسيقولون إن ندرة الطعام تدل على ندرة الحب، وإنه لا يهم كيف سأحاول استخدام البيض والطماطم، فلن يكون هناك أبداً ما يكفى من ريتا وينترز لكل من يحتاجها، وهذا هو التفسير الذى كانت ستقوله لي صديقتي جوين والتى أتعلن لرؤيتها فى بالتمور، هذا فى حالة أنى كنت حمقاء وحكيت لها عن الحلم. جوين مهووسة باقتناء الصحف التى تتحدث عن الأحلام، مثلها مثل عدد لا بأس به من أصدقائى، وهى تدون أيضاً أحلام الآخرين إذا ما حكوا لها عنها ووجدتها هى ذات قيمة، وقد ادعت فى خطابها الأخير أنها أصبحت مفسرة أحلام بعد أن أكملت دورة ممتدة فى تفسير الأحلام.

أقاوم نظرية الحب غير الكافى وأفهم الأحلام على أنها لغة بديلة وأنها لغة لا تحتاج إلى تعلمها، وأحب التفكير فى أن حلمى الذى به أماكن فارغة، يشير فقط إلى التوقف المفاجئ أو توقف الالتزامات اليومية، فلأكثر من عشرين عاما كنت مسؤولة عن عمل ثلاث وجبات فى اليوم لعدة أفراد أعيش معهم. قد لا أكون واعية بهذا الالتزام ولكنى متأكدة أنه على دائمًا أن أحسب وأوزع كمية الطعام الموجودة فى المنزل مع كمية الأفواه التى سأطعمنها: البنات وتوم وأصدقاء البنات وحماتى وبعض المعارف العابرين، وهناك الكلب الذى يجب إطعامه والمياه التى يشربها فى الطبق الموضوع عند الباب الخلفى، ويعيدا عن منزلى وتحررا من مسؤوليتى فى إعداد الوجبات، فإن حساباتى التى لم أقم بها تسللت إلى أحلامى دون توقف وتركتنى أهذى مع مخزون الطعام الذى قل كثيرا وحقيقة أنى غير مستعدة، إن مثل هذا الحلم كارثة ولكنى دائمًا أستيقظ وبداخلى إحساس بالرعب.

وبما أن My Thyme Is Up كانت روايتي الأولى، وبما أننى لم أكن معروفة، لم يكن لدى الكثير لأقوم به فى واشنطن، وكان السيد سكريبانو متخفوا من أن يحدث هذا، فلم تكن محطات التليفزيون مهتمة بي، وبطبيعة الحال فإن محطات الراديو تتتجنب الروايات، وقال لي ناشرى إنهم لن يهتموا إلا إذا كان لديهم موضوع مثير للاهتمام مثل السرطان أو سوء استغلال الأطفال.

تمكنت من الوفاء بجميع التزاماتى فى غضون ساعتين فقط فى الصباح بعد وصولى مباشرة، أخذت التاكسي لمحل بيع كتب اسمه Politics & Prose حيث وقعت الكتاب لثلاثة من القراء ثم وقعت عدة نسخ أخرى أنتجها فريق العمل الجيد للغاية. قمت بالأمر على النحو السيدى، فقد كنت متحمسة للغاية بمقابلة من اشتروا الكتاب و كنت أتحدث كثيرا حتى يحبونى مثلما أحبوا كتابى، وربما يظن البعض أنى أريدهم أن يصبحوا أفضل أصدقائى فقلت (أرجوكم ادعونى ريتا فقط كما يفعل الجميع). لم أكن قد استخدمت دبابيس لثبتت شعري ونادرًا ما يحدث هذا الأمر، وكان يتدى على وجهى الساخن. كنت سأندفع لأعتذر أننى لست صفيرة السن ومحبوبة مثل أليسيا بطلة روايتي، وأننى لا أمتلك مثل صوتها الرائع وطريقتها فى التعامل، كنت خجلة من بدلتى النسائية الحمراء كالتي تراها فى الكتالوج، وتساءلت إذا ما كنت سأتذكر أنى استيقظت فى جناح الكاتب كى أستخدم مزيل العرق.

أخذت التاكسي من Politics & Prose إلى محل بيع كتب اسمه Pages حيث لم أجد أى عملاء فيما عدا المالكين والذين أخذانى لتناول الغداء فى حانة إيطالية صغيرة وأصرًا على إعطائى نسخة مجانية من كتابى كى أتركه فى جناح الكاتب، لم يكن لدى أى خطط بعد الظهر، ولم يكن لدى ما أقوم به حتى الصباح القادم والذى من المفترض أن أستقل فيه القطار حتى بالتيمور، وقد حذرنى السيد سكرييانو أنى ربما أقوم بجولتى بمفردى.

عدت بعد ذلك للفندق وأنعشت نفسي ووضعت كتابي في الرف، ولكن لماذا عدت للفندق؟ ما هي تلك الغريرة البيوتية بداخلى التي جعلتني أعود إليه، في الوقت الذي يمكنني فيه زيارة متاحف، أو أخذ جولة في غرف سينات؟ كان هناك وقت طويل بعد الظهر في هذا الوقت الربيعي للقيام بالكثير من الأشياء، وفي المساء أيضاً، حيث إن أحداً لم يدعني لتناول العشاء.

قررت الذهاب للتسوق في منطقة جورج تاون وقد عرفت من التاكسي عدداً من المحلات الصغيرة، فسيأتي عيد ميلاد ابنتي نورا في الأول من مايو خلال أسبوع وقد تمنيت أن تمتلك وشاحاً جميلاً، لم تمتلك وشاحاً أبداً في سنواتها السبع عشرة، ليس إلا إذا أخذت في الحسبان الخمارات الصوفية التي كانت ترتديها في أتون بيس المدرسة، ولكن منذ رحلتها إلى باريس وهي في الصف الثاني عشر، بدأت تتحدث عن الأوشحة التي ترتديها كل امرأة فرنسية أنيقة كجزء من خزانة ملابسها، كانت هذه الأوشحة مصنوعة بشكل رائع وكانت من الحرير ولن يفعل هذا غير الفرنسيين، وقد صدمتني ألوانها وذكرتني بالملابس الكثيبة، وبالسترة الزرقاء الدايلة التي ترتديها امرأة فرنسية أو تلك السترات الصوفية السوداء الرخيصة ثم حاولت أن أبعد عن هذه الفكرة.

لم يكن لدى الوقت أبداً للتسوق في أورانج تاون، وفي الحقيقة فإن البدائل هناك أقل، ولكن اليوم لدى الكثير من الوقت، فارتديت الحذاء ذي الكعب المنخفض وخرجت به.

تقع محلات جورج تاون في وسط واجهات المنازل الصغيرة، مزينة بشبابيك أرستقراطية فارهة ومحاطة بحدائق صفيرة تأثر العين، يقع منزلي غير المرتب ومتراحم الأطراف خارج أورنج تاون، وإذا ما سقط في هذا المكان فسوف يدمر نصف دستة أو أكثر من هذه الواجهات المصنوعة من الطوب، وكان هناك سعي حثيث لوضع أواني الزهور هنا، كانت موضوعة بكل اهتمام ويوقار شديد وحتى الأواني الفخارية نفسها كانت ممسوحة، وأشك أنها مسحت بورق صنفراة حتى تبدو ريفية الشكل.

يوجد في هذه المحلات عدد قليل جداً من البضائع، وأنتعجب من كيفية المنافسة مع بعضها البعض، قد يكون هناك ست أو سبع بلوزات على قضيب واحد، وبعض بلوفرات من الكشمير وطاولة مغطاة بالصدف والحجارة أو صورة ذات أطر من الفن الحديث أو بطاقات بريديّة قديمة، وكان هناك عدد من البائعات الهزيلات يقفن على هذه البضاعة والتي وضعت في شكل جميل لدرجة أنني أحببت شراء كل شيء تقع عليه عيناي، كانت الأوشحة معلقة على مسامير وفي كل محل مجموعة جيدة منها، ولم يكن هناك أى منها مصنوعاً من الحرير الخالص بحواف ملفوفة.

لقد أخذت وقتى كاملاً، وبما أن لدى الوقت للتسوق أدركت أننى سأتتمكن من شراء أفضل وشاح لنورا، ليس حتى الأقرب للأفضل وبالطبع لن أتبع طريقتنا في الشراء في موطنى وهو شراء الأشياء

بسرعة وباندفاع، أتذكر أنها ذكرت أنها ت يريد وشاحاً بلون أزرق فاتح مع القليل من اللون الأصفر، ربما أجد هذا الوشاح تحديداً في أحد هذه الحالات، وقد شعرت بسعادة غامرة، عندما فكرت في نفسي على أنني متسوقه حريصة ومتأنية. أخذت نفساً عميقاً وابتسمت بإخلاص عندما وقفت أمام البائعات المتجهمات واللاتي بدون وكأنهن يشعرن ويتفهمن حرصي الجديـد على الشراء، وقد تعلمت أن أقول "هذا ليس مناسباً هنا"، فكن يحر肯 رأسهن بعطف، ومعظمهن يرتدين أوشحة حول رقباهن، وقد أعجبنى كثيراً طريقة الحياكة وألوان الأوـشحة، وقد أعجبنى أيضاً تدخل النساء لمساعدتـى في مهمـتي، فقالـت إحداهـن: "إنـ هذا الوـشـاح منـاسب تماماً للـشـخص الـذـى تـشتـرـينـه منـ أجـله" أو كـلمـة لـها نـفسـ المعـنى، وكـأنـهن يـعـرـفـنـ نـورـاـ عنـ قـربـ وـيـتـفـهـمـنـ أـنـهـاـ اـمـرـأـ صـغـيرـةـ ذاتـ ذـوقـ مـعـينـ وـمـتـطـلـبـاتـ مـحدـدةـ ولـهـاـ روـحـ مـطـيـعـةـ وـكـنـ حـرـيـصـاتـ عـلـىـ إـرـضـائـهـاـ".

لم تكن كذلك في الواقع، دائمـاً ما كنت أظن أنا وـتـومـ أنـ إـرـضـاءـهـاـ سـهـلـ لـلـغاـيـةـ، وهـىـ منـ القـلـائلـ الـذـينـ يـعـتـقـونـ أـنـهـمـ يـسـتـحقـقـونـ. عندما كانت نـورـاـ فـيـ سنـ الثـالـثـةـ أوـ الـرـابـعـةـ وـكـانـتـ تـتـاـوـلـ الـفـداءـ عـلـىـ طـاـوـلـةـ الـمـطـبـخـ، سـمعـتـ صـوتـ طـائـرـةـ تـمـرـ منـ فـوـقـناـ وـنـظـرـتـ إـلـىـ وـقـالـتـ: "إـنـ الطـيـارـ لـاـ يـعـرـفـ أـنـنـىـ آـكـلـ بـيـضـةـ". لقد صـدـمـتـ نـورـاـ مـنـ فـكـرـةـ الـوـحـدـةـ هـذـهـ، ولـكـنـهاـ كـانـتـ رـاغـبـةـ فـيـ أـنـ

تستوعب الصدمة بهدوء حتى لا تنبهنى لهذا، كانت هذه الفتاة لترضى بأى وشاح كنت سأشتريه لها منذ عامين فقط، وأنا سعيدة أن لدى الوقت لمرة واحدة أردها، وأن تتاح لي الفرصة كى أنتقى لها وشاحا سيدخل السعادة إلى قلبها.

كلما تحركت من محل لآخر بدأت فى تكوين فكرة محددة للغاية عن الوشاح الذى تريده نورا، وبدأت أرى استحالة إتمام هذه المهمة بنجاح، فقد أصبح الوشاح فكرة، يجب أن يكون براقا وهادئا فى نفس الوقت ومصنوعا ببراعة، ولكن يجب أن يكون متميزا فى شكله أيضا، لم أرد شيئا رفيعا، فهذا لن يناسب نورا، ولكن ما أرده هو القوة والحضور، ولكن يجب أن يكون متعرجا وأثيرى الشكل، وهذا ما كانت تستحقه نورا وتتنمناه فى السابعة أو الثامنة عشرة من عمرها، دائما ما كانت نورا فتاة شجاعية ذات متطلبات قليلة. أخبرتني مرة وهى فى الرابعة أو الخامسة كيف أنها تتحكم فى أحلامها السيئة، فقالت بواقعية: "أدير رأسى على المخدة فقط، وهكذا أنسى الأمر وكأنى أغير قناة التلفاز". فهى تفعل هذا بدلًا من أن تناينا أو تبكي، فقد حلت أزمة كوابيسها، وبصراحة فقد حلت مشكلتها بنفسها، وأعترف أن هذا ما أراحتنى أنا وتوم قليلا وقد استمتعنا بهذا، وأتذكر بخجل الآن أنى رويت هذه القصة لصديقاتي ونحن نتناول القهوة أو الغداء، أن ابنتى المقاتلة الصغيرة تتحكم فى حياتها الباسلة.

نادراً ما أرتدي أوشحة ولا أحبها أن تزعجني، بالإضافة إلى ذلك فأى شيء أضعه على رقبتي يجعلنى أبدو مثل فريق Guide Girl، فالعقد تصدمن بالزور مباشرة ورؤوسها تبرز بدلاً من أن تتسلل، أنا لست ماهرة في انتقاء الإكسسوارات وأنا أعرف هذا جيداً عنى، وأعرف أيضاً أننى لست متسوقة بارعة. ولأننى لا أمتلك الرغبة في الحصول على الرفاهية، فلم أفهم أبداً ما الذى يجعل النساء الآخريات يسعين من أجل الحصول على أفضل ما في السوق، ولكن لدى بعض الشكوك الآن، فهى الرغبة في أن ترضى إحداهن على الوجه الأكمل، حتى لو كان نفسك. بدا لي الأمر في هذا الوقت غير المناسب أن السعادة في مستقبل ابنتي نورا ليس في أن تُقبل في ماكجيل ولا أن تكتسب صديقاً جديداً، ولكن في أن تمتلك قطعة معينة من الملابس، والتي يمكنني توفيرها لها. ليس لدى سلطة على ماكجيل أو الصديق، أو على أي جزء حقيقي لسعادتها، ولكن يمكنني توفير شيء مؤقت وضروري: هذا الحلم للتحول، وهذه القطعة من الحرير.

وها هو، ينسدل على شماعة من الفضة في المحل رقم عشرين الذي أدخله، رن الجرس الصغير، وتصاعدت إلى أنفى رائحة أوراق الورد التي أصبحت مألوفة بالنسبة لي الآن، ولاح في الأفق وشاح نورا، وكان على شكل مستطيلات من أقصاه لأقصاه وكل منها محاك بمهارة شديدة: الأزرق والأصفر والأخضر وبنفسجي يضفي

سرورا للنفس، كان كل من هذه الأشكال محاطاً بلون أسود وكانت ملونة وكان من لونها ريشة فنان، كان لمعانه مبهراً وملمسه كالثلج ومبهجاً، كان سعره ستين دولاراً أمريكياً، هل هذا كل ما في الأمر؟ أخرجت بطاقة الائتمان دون تفكير،وها قد قضيت يومي جيداً. وبعد أن نظرت حولي اشتريت أقراطنا فضية على شكل هلالى لناتالى وأسورة ذات ثلاث خرزات لكريستين، قررت كل هذا فى دقيقة واحدة، وشعرت أنى مليئة بالقوة والإثارة.

ركبت القطار فى الصباح باتجاه بالتيمور، ولم أتمكن من القراءة على ظهر القطار بسبب الاهتزازات التى كانت تحدث بين المناطق الطبيعية فى المدينة، كان هناك رجلان يجلسان أمامى ويتحدثان بصوت عال عن المسيحية، وعن الانحدار المؤسف الذى حدث لها، وكانا ينطقان اسم "يسوع المسيح" وكأن الكلمتين تمثلان الاسم الأول والثانى لنفس الشخص، هكذا نطقوها وبحميمية، المسيح عيسى.

لم يكن لدى ما أفعله فى بالتيمور مرة أخرى، ولكن لم أهتم لأننى كنت سأتقابل مع جوين لتناول الغداء، وسألنى شاب صغير وهو مقدم برامج فى الراديو - وكان يرتدى تيشيرت أسود وسلسل ذهبية حول عنقه، عما سأفعله بجائزة أوفيندين المالية، وسألنى أيضاً عن رأى زوجى فى أنى كتبت رواية، وبعد ذلك زرت Book Plate (مزيج بين المقهى والمكتبة) ووقعت ستة كتب، ولم يكن لدى بعدها ما أفعله حتى موعدى مع جوين، وكانت الساعة حوالى الحادية عشرة صباحاً.

لم أرها منذ أن كنا نتقابل في مجموعة الكتابة القديمة في أورانج تاون، عندما كنا نتقابل مرتين شهرياً لمشاركة أعمالنا ونقوم بعمل ورشة عمل لكتاباتنا، كنا نحضر نسخاً من أعمالنا لهذه الجلسات الصباحية من شعر ومذكرات وأدب، كنا نأتى بنسخ مصورة من أعمالنا أثناء هذه الجلسات الصباحية، وكنا نتناول القهوة والكعك، وكان هذا في أوائل الثمانينيات وهو العصر الذهبي للكعك، وكنا نشجع بعضنا البعض ونقدم بعض الاقتراحات مثل "أعتقد أنه يجب أن تقومي بالمراجعة مرة أخرى قبل الانتهاء" أو "الم تدخل الشخصية "س" هذا المشهد متأخرة قليلاً؟" وكانت هذه الكلمات النقدية تؤخذ لما قيلت له، فهي تعليقات بعض الهواة، ولكن عندما كانت جوين تتحدث كنا نستمع لها، وقد أسعدتني ذات مرة بأن علقت على إحدى كتاباتي قائلة "إن هذه الصورة الخيالية عن مادة البلين في غاية الروعة، وأتمنى لو أنني كنت فكرت بها". وكانت قصصها القصيرة قد نشرت بالفعل في عدد من المجلات التي تصدر كل ثلاثة أشهر، وكانت المبيعات ذلك العام خيالية، وانتقلت بعدها بعام لتنشر في هاربر، وعندما انتقلت إلى بالتيمور منذ خمس سنوات لكي تعمل ككاتبة مقيمة لأطفال إحدى زميلاتنا، بدأت مجموعة الكتاب في الاختلاف حتى تقকت المجموعة بيطره.

ولكن ظلت جوين وأنا على اتصال، وكتبتي بسعادة غامرة عندما وقعت بين يدي قطعة من رواية لها اسمها "الملاعق الثلاث" وكانت

اعلانا عن رواية تحت الطبع، وكانت قد استخدمت استعاراتى عن البلين ولاحظت هذا الأمر، وشعرت بإطراء شديد. أنا أعلم عن رواية جوين، وهى تعمل عليها منذ سنوات، وحاولت أن تأتى ببناء نسوى للرواية والتى كانت تتحدث بشكل مباشر عن زواجها المبكر الذى انتهى بالفشل، قدمت جوين الكثير من التضحيات من أجل زوجها الطالب الشاب والذى قد خانها، وفي نهاية السبعينيات، وفي خضم الحب والرغبة فى أن يلبى احتياجاته كاملة، أغلقت سرتها بسبب عملية تجميل لأنها اشتكتى من أنها تصدر رائحة كريهة، وعلى ما يبدو أن هذه الشكوى صدرت منه مرة واحدة فقط، يا له من شيء كريه، إنها لحظة نزوة مرت به، ولكن أيها كانت الرغبة التي جعلته يفعل هذا سواء المتعة أو العقاب، ففى النهاية هي الآن تعيش بدون سرة، وقد تركت هذه العملية فى وسط بطئها تجويفا سطحيا، وأصبح عدم وجود السرة هو رمز لندمها وغضبها أكثر من أي شيء آخر، تحدثت عن المحو، وكيف أن علاقتها السيئة دائمًا بأمها انمحى بمجرد ظهور أول علامة للتواصل، وقالت فى آخر بريد إلكترونى أرسلته لى إنها تبحث عن حل لعلاج سرتها، ولكن تكلفة العلاج باهظة للغاية، وفي غضون هذا، استعادت اسمها قبل الزواج وهو ريدمان، وأصبحت تستخدم اسمها كاملا، جويندولين.

غيرت طريقة ملابسها أيضًا، وقد لاحظت هذا فور رؤيتها تجلس في مقهى بيار، وكان الجينز وسترتها يبدوان مثل قطعة من

الملابس المشية غير المخيطه وغير المنظمه، وكان هناك تنورة وتنورة أخرى فوقها وكاب وشالات، كان من الصعب التتحديد بدقة ما كانت عليه، وقد امتدت هذه اللفافات من الملابس التي بلون المسلمين إلى رأسها حتى غطت شعرها بالكامل، وقد أتاني خاطر بشع لوهلة إذا ما كانت مريضة، وإذا ما كانت تخضع لعلاج كيميائي وتعانى من تساقط شعرها، ولكن لا، فها هو وجهها الناصع ملئ بالصحة، وبدلًا من أن تحمل محفظة نقود، كانت تحمل كيسا بلاستيكيا ثقيلا عليه شعار سوبر ماركت، وكان الأمر مثيرا للفضول خاصة وأنها وضعتها على الطاولة بدلًا من وضعها على الأرض كما توقعت، نقرت بخفة على السطح الخشبي اللزج، وتذكرت أنها دائمًا ما كانت تحمل تفاحة معها وكتابا أو كتابين بخلاف ورقى وزجاجتها الصغيرة التي بها دواء للقرحة في البرد.

أرسلت لها بالطبع عندما تمت الموافقة على نشر روایتى "My Thyme Is Up" وأرسلت لي كارتا تقول فيه "أحسنت، يبدو أنها ستحدث صدى".

تفاجأت قليلا من أنها لم تحضر نسختها كى أوقعها لها، وتساءلت عن نقطة معينة وأنا أتناول طبق المحار، إذا ما كانت قرأته أصلا، إن الكلية تدفع لها مبلغا زهيدا وأنا أعرف أنها لا تمتلك المال الكافى لشراء نسخة من الكتاب بخلاف جديد، فلماذا لم أجعل السيد سكاربينو يرسل لها نسخة مجانية؟

بعد أن انتهينا من تناول السلطة وطلبنا القهوة، أدركت أنها لم تتحدث عن الكتاب إطلاقاً، ولم تنهئ حتى على جائزة أوفيندن، ولكن ربما لم تكن تعرف، فالخبر الذي كتبته جريدة نيويورك تايمز كان صغيراً ومن السهل ألا يتم ملاحظته.

أصبح من المهم فجأة أن أخبرها عن الجائزة، كانت رغبتي في هذا قوية كالرغبة الملحة في التبول أو الابتلاء، فكيف سأذكر الأمر في الحوار؟ ربما يمكن أن قول شيئاً عن توم وكيف أنه فكر في وضع سقف جديد لحظيرتنا، وأن مبلغ جائزة أوفيندن سيساعدنا في هذا، هكذا سأذكر الموضوع مصادفة، إنه أمر سهل.

ثم قالت بصوتها الودود والمنطلق "حسناً بدأية ووسط ونهاية" قالت هذا بابتسامة عريضة وكأنها تريد أن تخبرني أنها على علم بالأمر.

تحدثت عن أشيائها، وتعنى بها كتاباتها، وجعلتها تبدو مثل كيس من الألياف الحريرية، دائماً ما تكون هناك مفاجأة لغوية في أعمالها، ولكن الأكثر إثارة بالنسبة لي، هو الأشياء الصغيرة في العالم الذي تأتي بها في كتاباتها، كالملاحظات أو التعارض أو بعض التأملات الجانبية، كانت تعرف قيمتها، وقالت كمعجبة "إنه يحب كون كتاباتي خارج دائرة الاهتمام، وترسم مسارات عشوائية". بدت عيناهما ورديتى اللون من الجوانب، ولكن ربما يكون هذا انعكاساً لللون منديل الرأس، والذي يمر على شكل خط حاد عبر جبهتها.

دائماً ما كانت تدعى أن لديها القليل من الخيال، وأنها تكتب من وحي حياتها الخاصة، ولكنها كانت دائمة البحث عما تسميه "الخليط"، وكانت تعنى بهذا الشيء الموضوعي والغربي والعادي والهلامي في الحياة اليومية، والذي يقوى لحظاتنا الحقيقة في الوجود، رأيتها على سبيل المثال تقوم بإعادة حياكة الملابس بمهارة، بسبب الطريقة التي يتلقاها على المرايا المائلة وأخرى بها رائحة الرخيصة، وقطعة أخرى رائعة على المرايا المائلة وأخرى بها رائحة بعض السلالم الخشبية منذ طفولتها، ويترافق الشمع والخشب والنظافة الجيدة على جانب القصة ولكنها لا تدعى لنفسها أية أهمية.

بدت حزينة وهي تتناول قهوتها، وبدت أكبر مما أتذكرها، وبمكنتى القول أنها كانت محبطة مني لسبب ما، يمكن للمرء أن يشعر بإحساس عدم التواصل، فكل لقاء يفتح لنا طريقاً للنجاح أو الفشل، فكرت في أن أقدم لجويين قطعة من العجين بأن أخبرها عن الاكتشاف الذي اكتشفته في اليوم السابق، وهو أن التسوق ليس كما كنت أظنه، وأنه يمكن أن يصبح مهمة أو حتى فناً إذا احتفظ الشخص به، كانت لدى بعض الأفكار حول التسوق، وقد يكون هذا ممكناً لإدراك هذا العمل البشري وليس لتخيله فقط.

سألتني وقد عرفت أنني لفت انتباها أخيراً: كم ميلاً

"تفحصته؟"

فقلت: "عشرون أو ما يقرب من ذلك".
"غير معقول".

"ولكن الأمر استحق العناء، لم يكن كذلك عندما بدأت، ولكنه أصبح مستحقا للعناء أكثر وأكثر كلما مر الوقت".

فسألت ببطء: "لماذا؟، يمكنني القول أنها كانت تحاول أن تشعر نحوى بقدر من الامتنان، ولكنها كانت على وشك البكاء.

"لأرى إذا ما كان هذا الشيء الموجود في عقلي موجودا في الواقع أم لا".

"وها هو موجود".
نعم".

ولأثبت وجهة نظرى، وضعت يدى في الجراب وسحبت شنطة المحل شاحبة الألوان والمنتفخة، وبسط المنديل الوردى على الطاولة وجعلتها ترى الوشاح.

رفعته أمام وجهها وترقرقت الدموع في عينيها وقالت: "إنه في غاية الجمال"، ثم قالت: "لقد وجدته، وكأنك من صنعته تقريبا، لقد صنعته، اخترعته من وحي خيالك".

لقد بكيت تقريبا، لم أتوقع أن يفهم أي شخص ما شعرت به

رأيتها تعيد لف الوشاح فى الورقة، وقد أخذت وقتها فى تسيق وضع الأحرف بأطراف أصابعها، ثم وضعته فى حقيبتها البلاستيكية وبدأت الدموع فى الانسياب بحرية، حتى أنها بللت اللون الوردى على وجهها، وقالت: "أشكرك عزيزتى ريتا، أشكرك، أنت لا تعرفين ماذا أعطيتني اليوم".

ولكنى فعلت ذلك، نعم فعلته

ولكن كم يساوى؟ وشاح، نصف أونصة من الحرير وربما أقل، يطير حرا فى العالم ليجعل أحدهم سعيدا، لا يهم. نظرت إلى جوين أو جويندولين صديقتى القديمة ثم نظرت إلى يدى، ورأيت خاتما صغيرا من العقيق الأحمر، وكان هذا الخاتم هدية من توم فى السبعينيات، أعطاه لى بعد أن تقابلنا بأسبوع واحد. فكرت فى بناتى الثلاث وفى حماتى ووالدى المتوفاة وهدوئها الساحر واحتياجها للراحة التى كانت تحصل عليها برسم الصين، لم يكن أى منها ليحصل على ما أردنا، شكت فى هذا الأمر لسنوات، ولكنى الآن أؤمن أن نورا تقريبا تعرف السر الأنثوى الكبير بأن تحتاج المرأة لشيء ولا تحصل عليه. نورا هى الجندي الشجاع، تخيل شخصا يكتب مسرحية تسمى وفاة بائعة، يا للفكاهة. لدينا شفافية فى حاجتنا للدعم لدرجة أتنا نسأل أنفسنا الكثير من الأسئلة التي لا نهاية لها، ولكننا لا نسألها بالقوة الكافية، فهذا العالم ليس مستعدا لنا بعد، ومن الصعب على قول ذلك ولكننا لينون للغاية،

حتى أنت يا دانيال ويسترمان والتي تعتبرين رائدة في الحركة النسوية وناجية من الهولوكوست والساخرة والعبقرية، حتى أنت يا ريتا وينترز بمعرفتك القديمة والجديدة وغير المفيدة وسحرك السابق. إننا طيبون للغاية ولدينا الرغبة، وليس لدينا الرغبة أيضاً في أن نصل دون أن ننظر وبمجرد أن نمد أيدينا إلى ما نريده، ولكننا لا نعرف كيف نطلب ما لا نعرف حتى إننا نريده.

بدلاً من ذلك

أريد أن أتحدث أكثر عن مشكلة المرأة، وكيف أنها منبوذة ومبعدة عن أهم الواقع ولا تأخذ أهم حقوقها.

لكن التفكير السائد يقول: لقد وصلنا لمرحلة متقدمة للغاية، وهذه المرحلة هي مقارنة بخمسين أو مائة سنة ماضية، حسنا، الأمر ليس كذلك، فقد دخلنا في ألفية جديدة ولم "نصل" بعد، وقد تم نبذنا وتنحيتنا جانباً في المجتمع حتى قاربنا على الاختفاء، لا يوجد من هو أعمى كي لا يرى ويدرك سلطة القوى على الضعيف، وبالتالي فاحتمالية الانهزام كبيرة. كان هناك برنامج Literary Lights يوم الأحد الماضي كما أتذكر على القناة الثانية، وكان تستضيف هذا الرجل ذا الرأس الريعة والقوية بأذنيه التي تلتتصق بوضوح بجمجمته، وكانت الثمانين عاماً ظاهرة عليه بقوة، وسئل:

"من يمكنك أن تقول أنه أكثر من أثر عليك؟"

أعتقد أن هذا السؤال يحتاج لبعض التفكير الأدبي، ولكن ليس الكثير من التفكير، فقال: "مم، بالتأكيد تشيكوف"، ثم لأن وجهه بدرجة كبيرة وقال: "وهاردي وبالطبع بروست دون أى تفكير".

ما مشكلة هذا الرجل؟ ألم يسمع أبداً عن فرجينيا وولف؟ أليس شجاعاً بشكل كافٍ يقول اسم: دانيال ويسترمان أو إيريس موردوش؟ ولكن الأمر لا يتعلّق بالشجاعة في حالته هذه، فال فكرة أصلاً لم تخطر على باله.

ولكن لحظة، ها قد أتى سؤال "المرأة"، وسألته المذيعة المتجمعة والمتوترة، بتسرية شعرها وقد تصبّبت عرقاً وكانت تنظر في ورقها وقالت بعينين خائفتين: "ماذا عن (توقفت قليلاً) الكاتبات من النساء؟ من المؤكد أن النساء أعدن تشكيل مسار هذا القرن"، ففكر بعمق وعقد ما بين حاجبيه، ثم نظر بأمل للكاميرا وقال: "مم، كانت هناك كاتبات مهمات في القرن التاسع عشر، نعم ولكن.. انتهى البرنامج في ثلاثين ثانية ولم يكن ليذكر اسم امرأة في هذه الحالة من الضعف.

وقد أعاد المرأة مسؤولياتها التي تتكرّر دائماً، ربما يتحدث هو عن أنه حصل على الوقت أو التشجيع المناسب من رئيسه في العمل، أو هل شعر بالحرج الكافي كي يصنع هذا الفراغ الكبير في العلن، أما النساء فكن مشغولات بتربية الأولاد وجمع الأعشاب الصالحة للأكل وجمع المصابيح. أترون، كان بإمكانه أن يقول وهو

يحرك أصبعه الصغير إن الأمر يتعلق بالتركيبة البيولوجية والقدر، أما النساء فقد أعادتهن التركيبة البيولوجية، فمثل هذا المفهوم المحايد والمخداع، وهو الأمر الذي يعيق اللوم.

أرسلت لى إيمان آلين بريدا إلكترونيا من فاوندلاند بالأمس، وكانت هى وابنتها وزوجة ابنها المتوفى فى إجازة بمنتجع صحي فى عطلة نهاية الأسبوع، كان تتطلع إلى أن تكون "معاققة" تماما كى تقوم بالتغيير.

الإعاقة؛ خطأ مطبعى واضح، فهى ليست من نوع التداخل على المستوى اللغوى أو الثقافى الذى اعتدت أن استخدمه عندما أتحدث مع دانيال ويستerman، والتى سأترجم مذكراتها فى نهاية الأمر والتى كتبتها على أربعة أجزاء، وهى تصر على تسمية هذه العملية Tra-duction أي التحويل من لغة للغة، بالرغم من أنها تعيش فى بيئة تنطق بالإنجليزية لأربعين سنة حتى الآن، وهى تريد أن تعرف عندما أنتهى من ترجمة الفصل الثانى. هذا هو الفصل الذى تعود فيه إلى الخلف وتتحدث عن تعاملها مع الغيرة المجنونة لزوجها السابق بعد نشر ديوانها الأول، والذى أحدث ردة فعل رائعة فى فرنسا عام ١٩٤٩، وكان اسمه "الجزيرة" ونشر فى باريس عن طريق دار نشر جراندمونت. وجدت أن القصائد صعبة الترجمة (الشعر ليس تخصصى)، ولكنى كنت صفيرة السن وقتها ولدى الرغبة فى أن أثبت نفسي وأن أكون صبورة إلى أبعد الحدود فى نقل الكلمات

من مكان آخر، وكنت أغنيها بصوت مرتفع كما علمنا في الترجمة، كنت أحاول أن أصل إلى نية الشاعر الكاملة حتى تظهر في الترجمة، كانت القصائد كلعب صغيرة ذات أجزاء متحركة وكانت مليئة بالتورية والإشارات للحركة النسوية المبكرة، وأسفة لقول إنني تركت معظمها.

قررنا أن نغير العنوان ليصبح العزلة، وترجمتها المباشرة هي الجزيرة، وحتى الآن لم أتمكن من أن التقط حس دانيال الذي كان لديها في هذا الوقت من حياتها، باعتبار أنها كانت النسوية الوحيدة في العالم. أرادتني أيضاً أن أغير في صفحة حقوق النشر اسم ناشرها الأصلي من دار نشر جراندمونت إلى دار نشر الجبل الكبير، يمكنها أن تكون حاسمة وعنيدة كما يعلم الجميع، ولكن في بعض الأحيان يكون هناك بعض المنطق الدفين خلف تعنتها "إن هذه ترجمة، يا إلهي"، وتتنفس من أسفل مكياجها وردّي اللون، "لماذا لا نعطي هؤلاء المحررين الفرنسيين الطموحين أسماء جديدة من العالم الجديد، أسماء بها حياة وتعطى أملاً جديداً في الحياة؟"

قلت لها بهدوء: "بشكل عام، ليس من الجيد في الترجمة أن أغير أسماء المحررين الناشرين الأجانب".

أرادات أن تعرف من وضع هذه القاعدة، ولكن يمكنني الجزم أنها سوف تقتصر بكلامي على المدى البعيد، شخصي محظوظ للحياة مثلها لم يكن له طاقة أن يصبر على المتشددين، لقد عملنا معاً

لسنوات حتى الآن، ولكن حتى في الأيام الأولى كانت تسعى لأن تفهم بعضاً البعض، وكنا ندلّى بمقترحاتنا الصغيرة ونُقْوِمُها بشكل لائق حتى تبتعد عن المواجهة الفعلية بيننا. كنا نختلف على علامات التصريح ولكننا كنا نتفق عندما يتعلق الأمر بمستويات الاستخدام. على سبيل المثال، رفضت استخدام كلمة *ass* عندما تكون هناك إشارة مؤخرة أحدهم، وكنت أتفق معها في هذا، فكلانا يكره هذه الكلمة بشدة، وقد استمررنا ولم يكن هناك ما يمنع ذلك، فكلانا يعرف بطريقته المختلفة مدى الراحة التي تسببها استخدام الكلمة في مكانها الصحيح.

كانت تقول إننا امرأتان رائعتان، وهكذا كانت تعبر دائماً عن الغاز الفكري الذي يحيط ويرتبط بالطاقة المختلفة في كل منا، وكل منا منشغل بداخله بتكوين المرأة والدرج في الحالة النفسية للمرأة، ودورات المرأة غير الرحيمة التي تأتي بهجمات مشابهة من الارتباك الأدبي، بالإضافة إلى ذلك فكلانا تتشاور في حب الصعب من اللغة والتسامح الأنثوي (في رأيي) في اللحظات التي تصبح فيها الكلمات غامضة وغير واضحة، فهي تعرف أهمية الدراسة الصارمة، وهي تعرف في نفس الوقت كيف تحافظ على فكرها سلساً.

لكن حياتها مختلفة عن حياتي، فقد عملت بجد لأنه هذا ما كان يجب أن تفعله، وقد خبأت لفترة طويلة أجندتها السياسية خلف

الاتفاقيات الأدبية التي أبرمتها، وفجأة انتهت فترتها التقليدية وتركتها بالكثير من الأسئلة الصعبة على عاتقها، وكان بعضها يتوجه مباشرة نحوى، كيف أسمح لنفسى بالعيش مع رجل؟ وقد سألتني هذا السؤال أكثر من مرة، لم تفهم أبداً كيف يمكن أن أقبل الاستبداد من شخص يخترق حياتى (الاختراق)، ولسبب ما فإن هذه الكلمة دائماً ما تنطق وكأنها لا توجد فى الإنجليزية أصلاً، فهى تنطقها بحماس، على الرغم من أنها كبرت وهى تحب توم بشدة، ورغم أنها ليست غريبة على هذه الحالة من الاختراق إلا أن لهذا مجالا آخر فى حياتها.

حتى بناتنا الثلاث، هى تعرفهن جيداً وتحبهن بشدة، ولكنها لا تعرف كل شيء حول دورى فى حياتهن، وكيف أن جسدى ووعى لم ينفصل أبداً وفى أي وقت عنهم، إنها قلقة من مكوث نوراً فى الشارع، وتتصل بي هاتفياً كل يوم لتعرف إن كانت قد عادت أم لا، حتى إنها ذات مرة استقلت تاكسي إلى حيث تجلس نوراً فى بلور وباثورت ومعها سلة كبيرة مليئة بالفاكهه، وكانت تتدادى عليها بصوت عالٍ وكأنها تتحدث عبر مكبر صوت وكانت تتدادى بالغبية والمضلل، وتقول إنها فتاة غبية تمنع أمها من الاستمرار فى عملها، رفضت نوراً حتى أن ترفع رأسها، وقالت دانيال باستهجان شديد: ماذا يمكننا أن نفعل؟

على الأقل لا تشير دانيال ويسترمان لحالة نورا ابنتى على أنها "مرحلة نمو"، مثلاً يفعل الكثير من معارفه، فهو تؤمن ببساطة أن نورا لجأت للمكان التقليدي الذي تلجمأ إليه المرأة التي لا تمتلك القوة، لقد قبلت تلك الحالة من الضعف الكامل والسلبية الكاملة وهو نوع من التقوى التي تتصف بالعجز، وقد ادعت كل الشيء في القيام باللا شيء.

فقلت: "فلتقولي هذا مرة أخرى"، فقالته.

فضففت عليها وقلت: "فلتقوليها بالفرنسية"، حتى أتأكد مما قالته.

فقالت مرة واحدة "تركت نورا نفسها بكل بساطة لهذا الملاذ التقليدي للنساء اللائي تفتقدن لأى سلطة. لقد تبنت هذا العجز التام وهذه السلبية المطلقة، وهي لا تفعل أى شيء فقد كانت قد طالبت بكل شيء".

كنت شبه متفقة مع ما قالت، ولكن بدأ اعتقادى ينهار، لم أرد أن أفك أن نورا مهتمة بالقوة أو عدمها، ليس كما نصف نحن جوهر الأمر عادة، إنها فى حالة من النشوة الجنونية، ففى أى دقيقة فى الأسبوع أو الشهر القادم ستطفق أصابعها وتعود للحياة مرة أخرى.. قالت دانيال ويسترمان أن نورا ذكية جداً وخيالها واسع، وخاصة من ناحية الانعكاس الذى قامت به بمهارة شديدة، وهو أنها

ادعت وجودها عن طريق الامتناع عن الوجود، ومع ذلك فلا يمكنها أن تفهم لماذا لا أستمر في ترجمة مذكراتها، أو لماذا أكتب رواية جديدة بدلًا من هذا، لقد ظنت أنها لن تعرف بهذا، نوع من الخيال خاص بالقرن الثامن عشر.

لست متأكدة من أنني أفهم لماذا رأسي مليئة بالخيال الكوميدي بشكل كبير وفي هذا الوقت تحديداً، كان السيد سكريبانو في سكريبانو ولورنس، هو من ألح على للبدء في كتابة رواية أخرى، وكما هو من الصعب تصديقه، فلم يكن يفكر في نشر الأرباح كنتيجة لنجاح الرواية، فكلمة أرباح ليست بالكلمة التي تخرج من فمه المسن البدين، فهو جزء شاذ ابتعد عن عالم مفقود يكرم وربما يقدس عملية الكتابة، فهو ناشر على الطراز القديم ورجل على الطراز القديم. وكان يفكر في أن امرأة لديها ابنة مزعجة، سيكون من الأفضل لها أن تلهي نفسها بمشروع يمكنه أن يشغل ويستهلك جزءاً من وجودها، وقد قال لي عندما هاتفني من نيويورك "عزيزتي سيدة وينترز، شيء خفيف، شيء يأخذك بعيداً عن أحزانك لمدة ساعة يومياً، وربما ساعتين، فالعالم متغطش للتسلية والإمتاع".

أكتب الآن في فترة بعد الظهر وأنا أحمل براد الشاي والمج إلى غرفتي المريعة، أحاول أن ألتزم بهذا قدر الإمكان، ولدى ناتالي وكريس تدريب لكرة السلة بعد الدوام المدرسي وسيأتي بهما توم إلى المنزل حوالي الساعة السادسة، أما بيت فيأخذ قيلولة في

المطبخ تحت أشعة الشمس، فهو يحب الاستلقاء على ظهره مثل سجادة صغير كبيرة وكثيرة الشعر، وقدماه الخلفيتان مفلطحتان، والأماميتان مطويتان بعناية بينما ينظر إليك بابتسامة ماكرة وهادئة. أحياول أن أتنفس بهدوء وأنا أصعد السلم، فالهدوء الذي أشعر به في صدرى ربما يكون متصلا بالنقاط والأفكار العامة التي أحياول أن أجمعها في عقلى، ثم أفتح جهاز الكمبيوتر الخاص بي وأبدأ العمل. لدى شعور أنه لو أني جادة بشأن هذا العمل "أن أكون جيدة"، فهذا هو المكان الوحيد في العالم الذي يمكن أن أبدأ منه، أستكين فوق الكرسى الدوار مثل دجاجة في عشها.

لا أستمتع بالحزن كما يفعل البعض، فلدى نظرتى، ولا يوجد أى شيء في المستقبل يحزننى حاليا، ولن أجيب كما فعلت آنا كارينينا عندما سُئلت عما تفكر به، وقالت: "دائما ما أفكر في سعادتى وتعاستى"، ويؤدى وضوح هذا السطر من التفكير إلى اللاشيء. لا، فالسيدة وينترز من أورانج تاون تفضل أكثر البروتوكولات المحسوبة لتجنب الحزن مع بعض الحيل المتعمدة، فلديها غريزة لتجنب نداء الحزن، وتخرج من الطواف بين الدرجات المختلفة من التعمق في الأشياء. وجاء في أحد التعليقات على روايتها My Thyme Is Up منذ سنتين، أن الكاتبة - أنا - تكون "جيدة" في بعض اللحظات السعيدة، ولكنها لا تكون جيدة في النهاية. حسنا، والآن! ماذا عن الصوت المتمزق خلف عيني، صوت تقطع الأقمشة، النهاية إلى النهاية، وماذا عن احتياجى لأن أثى ركبتي أثناء النوم؟ وأبكي.

إن ترتيب منزلى يشعرنى بالهدوء، والتنظيم والتلميع بعناء، ويساعدنى على هذا أيضا تأمل حياة الآخرين، فهذه الأمور الحياتية تشعل حيزا فى عقلى، مما يخدع الخلايا العصبية بداخلى كى تتجنب الحزن الكامن بداخلى، إن الحياة التى عشتها مليئة بالكثير من الدعاية الجيدة، وبعد الانطواء شيئا مملا بشدة لأنه فارغ من كل شيء، ولكن الأكثر إمتاعا على الأقل بالنسبة لكاتبة قصص خيالية تمر بوقت عصيب، هو الحياة الخيالية القائمة على الآخرين. فاكتشفت أن فجويندولين ريدمان فى بالتيمور شادة جنسيا، وقد وصلنى هذا عبر ملحوظة من مكان للإقامة السريعة فى إنجلينوك، وقد أجلت ردى على هذه الملاحظة، وهناك إيمان آلين التى تقضى أجازتها مع ابنتها وزوجة ابنها فى منتجع سياخى، حيث سقطى كل من السيدتين الصغيرتين جسدها بالطين وسيستسلمان للتدليل وسيتركان إيمانا والتى تبلغ من العمر الرابعة والأربعين مثلى كى تشعر بالذنب لأنها وقعت فى فخ الغرور، وهناك السيدة ماجكين والتى تهمس بوحدتها عبر الأرضية، والتى فى كل الأحوال تهز ممسحتها على نفس درابزين الشرفة التى حطمتهما هذا الصباح وأنا أقوم بجولاتى اليومية، وهناك الأشعة البنفسجية الشفافة للخريف وهى تخترق غرفتى فى وقت متأخر بعد الظهر بكل دقة وبشكل مرير، وصرير جذوع الأشجار العتيقة وهى تتمايل فى مهب

رياح شهر أكتوبر، وفي الدور الثالث من منزل احتدت حواسى . وتتواصل مع ريتا الأخرى، ريتا الصغير والتي لا تبعد عن هنا كثيراً . هناك أمي المتوفاة والتى علمتني الفرنسيه وكذلك التوفير، وتأتينى صورتها كل يوم بصورة أو بأخرى، وهى تقول كلمة أو تعطنى تلميحاً، أو تذكرنى فى بعض الأحيان بوصفه بسيطة: استعملى الليمون والكريم شانتى أو أى شئ لطيف، وأسمعها تقول: استخدمى الشوكة ولا شئ غيرها وكوئى لطيفة وصبوره، وهناك لويس، وهى حماتى التى لا تزال حية وصامتة، وعلى أن أتعامل مع هذا الصمت قريراً، أو سأطلب من توم التعامل معه . وبالطبع هناك حالة وحضور قوى لدانيال ويسترمان بثقافتها الأوروبيه، وذقها الرقيقة والمميزة وملامحها مريرة الشكل وأظافرها الطويلة القرمزية، هل ستتفق دانيال؟ نادراً ما أتزحزح عن موقفى أو وجهة نظرى دون أن يدور هذا السؤال الصارم فى رأسى، ففى الأسبوع الماضى أصببها بخيبة أمل باستخدام كلمة الخضار (استخدام غير رسمي)، ويمكن القول أنها كانت تنتظر منى أفضل من ذلك.

فكل هذه الأساطير البشرية وتنظيف بيتي وتخيل حياة الآخرين، تبقىنى بصحبة شئ ما ومتيقظة دوماً .

ولكن إيقاع الكتابة والتفكير هو ما يهدئ من رووى أكثر من أى شئ آخر، وما أعتبره وكأنه ترفيه رياضى، هو تراكم الجمل خلف بعضها البعض، ومن كان يظن أن عادتى القديمة ستتصبح

استراتيجية للحفاظ على استمرار مظاهر الحياة، هدية لم أطلبها، وفي الوقت الذي لا أدرى أى قدم أضعها أمام الأخرى، يمكننى أن أسير في طريقى لأصبح شخصاً واعياً. وكتابة الرواية مثلاً وصفها السيد سكريبانو: يعتبر تحولاً، ومكاناً جيداً ورائقاً به رطوبة وأشخاص جذابون نراهم عبر ضوء غير واضح ولكنه لطيف، يمكننى أن أغلق عيني وأن أمر من خلال باب صغير في الحائط وأن أقف خارج غياب أطفالى، ويمكننى أن أسكب الصوت الناقد في رأسى الذي يحمل الكثير من الأدب الجاد ضد التسلية البحتة، بالقراءة السريعة وكتاب على الشاطئ والضوء، ببساطة، والاختراع البسيط الذي يحتاجه هذا النوع الأدبي تحديداً هو الشفاء، مثل الشفاء بالزيت المقدس "تحن سطحيون للغاية في أعماقنا" - من قال هذه الجملة؟

أضفت صفحات المخطوطة الجديدة بسرعة، على الرغم من أن تماسك السرد غير مكتمل في الفصول الأولى، وقد أنهيت الأمر بنهاية سعيدة، ولكن الآن على أن أضع بعض العقبات في طريق هذه السعادة. حدد رومان وأليسيما ميعاد الزفاف وأرسل الدعوات لعائلاتهم وأصدقائهم، وكانت الدعوات موضوعة في أظرف جميلة على ورق الأرز، والتي صنعتها أليسيما بنفسها، والتي كانت لديها موهبة الكتابة بخطوط جميلة، ولكن هناك بعض التعقيدات وعلى أن أعمل على بعضها، لا أريد أن أثقل على القراء بالمشاكل

العصيبة، ولكن أريد طرح بعض التعقيدات التي تسبب القلق لنفسيتها، ولدى أليسييا شك أو اثنان بشأن زواجهما من رومان، فقد رأت الطريقة التي يحك نفسه بها والحمدى التي تصيبه عندما يكون موجوداً في نفس المكان المتواجدة به صديقتها سوزان. هذا زواجهما الثاني وقد حذرها الناس من قبل أن الموسيقيين غير مستقررين، ورومأن يلعب الترولمبون في سمفونية ويشوود، ووشاود هي مدینتى الخيالية، وهي ابنة عم تورنتو المهمة والمختالة بنفسها. ولاحظت أليسييا أن رومان غير مهم بنظافته الشخصية، وعليه أن يذكر نفسه أن رائحة المسك كانت جذابة لها في أيامهما الأولى سوياً. كانت ذقنه البارزة تشير إلى غروره، وعندما يكون في حضرة رجال أطول منه يصبح خنوعاً بشكل غريب ويلمس فمه كثيراً، مثل السيدة ماكجين التي في مخيلتي، وهذه هي البداية كي أثير أعصاب أليسييا وهي تفكّر في أن تخبره بالأمر، وفي نفس الوقت ستقوم سوزان بعمل شيء لا يفتر، ولكن نيتها ستكون سليمة، وربما سيلفيا عازفة المزمار بالسيمفونية، يجب أن أعمل على التفاصيل.

في كل الاحتمالات، يفكر رومان ثانية في أمر الزواج أيضاً، ولكن لا أريد الدخول لرأس رومان المزدحمة، فما أتقمه هو دور أليسييا، فأنا أرى من خلال عينيها الأنوثية وأصل من خلال أصحابها الأنوثية لأضرب شعر رومان الكثيف والذي يسرحه للوراء، هل يجب أن يعلق أحدهم على نوع دهان الشعر الذي يستخدمه؟ وكيف

يمكننى أن أصف شقة أليسيا بالتفصيل؟ يتطلب الخيال بعض الشفقة، سأحاول أن أتجنب الحديث عن الأثاث ذى الخشب الخفيف والشبابيك الطويلة والألواح ذات الألوان الساطعة وبعض قطع الكهرمان البولندي المتأثرة هنا وهناك، وسأحاول التركيز على الضوء الطبيعي والسيارات؟ يجب أن أسوى هذه الأمور، فأليسيا لا تمتلك سيارة وتظن أنها غالية الثمن كى تحتفظ بها فى مدينة مثل ويشوود، ولكن رومان يمتلك سيارة ماركة هوندا سيفيك وهى موديل من أوائل التسعينيات وهو يرعاها بعناية شديدة، ومنذ أسبوع واحد استبدل ممسحة الأرجل المتهالكة بواحده مطاطية جديدة.

يمكننى تحليل شخصية حساسية أليسيا الأنثوية الشديدة لمدة ساعة أو أكثر، اعتمادا على إذا كان بإمكانى أن أبتعد عن الدخول فى قصة فرعية، وهى الحالات المتعددة التى تتجمع فى نهاية كل ساعة من الكتابة. خيالى يقول: تمام نورا بالأسفل فى غرفة نومها، وعقلى يقول أنها عادت للمنزل متعبة بعد أن استقلت سيارة للمنزل من تورنتو، وكل إعادة للأحداث تكون مثل التى قبلها، ظهرت فجأة فى حماية جدران بيتنا، وهى محمومة بعض الشئ بسبب الأنفلونزا ولكن الأمر ليس خطيرا، فهى فقط تحتاج للراحة لعدة أيام فى السرير وستصبح بخير، وبعد دقائق سأحضر لها شايا بالليمون، إنها ابنتى، ابنتى المريضة ورغم ذلك لا أريد أن أوقفها، فإيقاظ شخص نائم بالنسبة لي كأنه تصرف عنيف، فهكذا كانوا

يعذبون السجناء السياسيين في الصين، أم كان في الأرجنتين؟ عن طريق نظام إنذار تلقائي يرن كل خمس دقائق بعد بدء النوم، وبالتالي تحدث صدمة للأجسام المعدبة أصلاً عن طريق الحرمان من النوم والتعذيب بعمل اضطراب مزمن لهم.

لا، سأدعها تتمام وسأضغط على زر المسح، فعلى أن أعود لرومان وأليسيا، أولادي التائبين، وفروعهما المنفصلة من الأنانية.

يتحدث توم كثيراً عن غرابة تطور الحيوانات اللافتقارية المنقرضة، فلا أحد يعرف أى شيء عن مخها، أو حتى كيف تتواصل جنسياً، ففسدت كل الأنسجة الناعمة والجميلة التي تعتبر أدلة، تاركة القشرة المكونة من الكلسيوم، ولكن من المعروف أن معظم هذه الكائنات لديها أعين كبيرة ومعقدة على جوانب رأسها. إن بقایا الحفريات واضحة تحت أصفر عدسة، فكل اللافتقاريات لديها أعين ما عدا نوع واحد أعمى، وفي هذه الحالة اعتبر العمى على أنه خطوة نحو التطور، حيث إن تلك الكائنات العميماء عاشت في الطين في أعماق جسم مملوء بالمياه، يبدو أن الطبيعة تفضل التخلص من الأعضاء غير المستخدمة، فهذه الكائنات لم يكن عليها عباء بيولوجي، فعيناه رادار ممتاز وهي تثير في الظلام. عندما أفكرا في هذا التكيف غير العادي، أتسائل لماذا لا يمكنني التكيف أنا أيضاً، فكل ما أردته أن تكون نوراً سعيدة، وكل ما أردته هو كل شيء، وبدلاً من ذلك أتيت لاستريح في أسفل البحيرة، لأعلق هناك في الوحل وأنا أتلوي وأتطلع لأن تقتلع عيناي.

ذهبت منذ عامين إلى واشنطن في رحلة ترويجية لكتابي، كنت شخصاً بريئاً، كنت أبداً لا تقلق حيال أي شيء؛ قدر قلقها على ما إذا كانت ستتمكن ابنتها من الالتحاق بجامعة ماكجيل، وإذا ما كانت ستجد حبيباً، سأله مذيع الراديو في بالتيمور عما هو أسوأ شيء حدث لها على الإطلاق، لابد أنه كان محبطاً عندما سأله، أوقفني هذا السؤال لوبهله، فلم أتمكن من التفكير في أسوأ شيء، وقد أخبرته أنه أياً كان هذا الشيء فهو لم يحدث على الإطلاق، وحينها عرفت ما هي طبيعة "أسوأ شيء"، وفكرة أن هذا السؤال سيتدخل في حياة أطفالي.

هكذا

قالت لين كيلى الثلاثاء الماضى "الخير شء مجرد"، وقالتها عندما تقابلنا نحن الأربعية لتناول القهوة سويا، وأضافت "إنه بناء تخيلى يمثل الإرادة العامة لمجموعة معينة من الناس"، ودائما ما تتحدث بقوة باستخدام لكتتها الولزرية القوية كى تنطق كل كلمة بوضوح، ثم قالت "الخير رفاهية من أجل الحظ الجيد". دائمًا ما نجلس على الطاولة التى تقع بجانب الشباك فى غرفة تناول الشاي بأورانج بلوسوم على الشارع الرئيسي، حدث مرة أو مرتين أن جئنا ووجدنا أحدهم على طاولتنا "نحن"، ولهذا السبب قررنا منذ عدة سنوات أن نتجمع فى التاسعة والنصف تحديدا، لأنه فى العاشرة يمتلىء المكان.

قلت لأنينا وسالى ولين جملة من مذكرات دانييل ويسترمان تقول:
"الخير وليس العظمة"

ودائماً ما تتراهى هذه الكلمات المشهورة أمامي في أي مكان أتواجد فيه ولأى سبب، وأشعر أن نفسي علق في صدري وكأنني ابتلعت ثعبان بحر بأكمله.

كيف يمكن لهذه المرأة أن تعيش حياتها وهي تعرف ما تعرفه، وهو أن النساء لديهن استثناء من العظمة، ولماذا يخترن في معظم الوقت أن يكن استثناء؟

يسرين في رحلاتهن الصغيرة بدلاً من خوض رحلة كاملة.

نعم، الخروج في رحلة.

فقالت لين "بعد كل المجهود الذي بذلته دانييل كى تحدث تغييراً، فهى ليست ضمن العظماء بعد".

ماعدا ما لدى النساء.

إن التضمين ليس كافياً، فيجب أن تجد النساء من يستمع لهن ويتفهمهن.

فقالت لين: "الرجال غير مهتمين بحياة النساء، وقد سألت هيرب وضغطت عليه في هذا الأمر، هو يحبني ولكنه لا يريد أن يعرف ما يدور برأسى وبكيفية تفكيري وغير ذلك ...".

فقلت "لقد خضت الكثير من الحوارات مع الرجال، والكثيرين غير توم".

تحدثت مع رجلين، أجريت حوارين مع رجلين لم يهتما بأن يفزوا
في الحوار".

فقالت سالي: "لم يحدث وتحدثت مع رجل، وكأنى فقدت
السلطة الأخلاقية كي أدخل في الحوار، فأنا خارج دائرة الخير
والشر".

"ماذا تعنى؟"

"أعنى أن أغلبنا لم يتم التحدث معهن حول الاختيارات
الأخلاقية، ولا يوجد من يستشيرنا، فهم يظنون أنتا غير قادرات".

فقالت أنيتا: "ربما نحن لسنا كذلك، هل تتذكرين المرأة التي
ولدت في الشجرة؟ في أفريقيا بموزمبيق على ما أتذكر، كان هناك
فيضان السنة الماضية، أليس كذلك؟ وكانت هي هناك في العمل،
فكري فيها، بينما كانت فوق الشجرة وهي تنتظر عند أحد أفرعها".

"ولكن هل هذا يعني...؟"

فأكملت أنيتا: "كل ما أقوله هو ماذا فعلنا حيال ذلك؟، ياله من
أمر مزعج، وهل أرسلنا أموالا لمساعدة ضحايا الفيضان في
موزمبيق؟ هل حولنا صدمتنا إلى عمل الخير، هل قمنا بأى شيء
يمثل الخير الكامن في مشاعرنا؟ أنا شخصيا لم أفعل".

فقلت: "لا لم أفعل شيئاً"

وقالت سالي: "ولا أنا، ولكننا لا يمكننا أن نعمم أفعال الخير على كل حالة..."

فقالت لين ببطء: "أتذكر هذا الآن، أتذكر أنني استيقظت في الصباح وسمعت في الراديو أن امرأة ولدت داخل شجرة، وأعتقد أن الطفل ظل حيا، أليس كذلك؟"

فقالت أنيتا: "نعم لقد ظل حيا"

ثم قالت سالي: "هل تذكرون المرأة التي أشعلت في نفسها النار في الربع الماضي؟ كان هذا في بلدنا وفي وسط تورنتو."

"في ميدان ناثان فيليبس؟"

"لا، لا أعتقد أنه كان هناك، كان هذا أمام..."

كانت امرأة سعودية، ترتدي حجاباً أسود كبيراً، تضحيه بالنفس".

"هل كانت سعودية؟ هل هذا مؤكد؟"

"هي مسلمة على أي حال، وترتدي رداء تقليدياً، ولم يكتشفوا نهائياً من كانت".

فأضافت أنيتا: "كانت ترتدي نقاباً، أليس كذلك؟ "الحجاب".

"أو برقع".

فقلت: "شيء مريع، كنت ألعب بزهور بلاستيكية وسط الطاولة،
وكلت أنقحص شعر الكلب الملتصق بكم ردائى الأزرق".

فقالت أنيتا: "لقد ماتت ولا داعى لذكر ذلك".

"قرأت أن أحدهم حاول مساعدتها، وحاول أحدهم أن يطفئ
النيران، كانت امرأة".

فقلت: "لم أعرف ذلك".

"ذكرت فى إحدى الصحف".

"وماذا عن الشابة النيجيرية الأخرى التى حملت وتم جلدتها فى
العلن؟ ماذا فعلنا لها؟"

كنت سأكتب خطابا إلى "Star".

"الكثير من الكنديون كتبوا، وتحمسوا لهذا الأمر ولكنها جلت
فى النهاية".

"يا إلهى، يا له من عالم قاس"

ولدت أنيتا ونشأت فى جامايكا وهى شاعرة وخبيرة اقتصادية
ومطلقة، وطلقها زوجها بعد أن أصبح عنيفا بعد إفلاسه، وتعيش
وحدها فى بيت يشبه الكوخ بأورانج تاون، وتعمل بدوام غير كامل
فى dot-com، وهى تقوم بوضع الإحصائيات على شاشتها.

تعيش لين مع زوجها هيرب وهو رجل جيد، ولديها طفلاً ويعيشان في منزل جديد على أطراف المدينة، وهي تمارس القانون، ولكنها ما زالت تأخذ قبلة الساعتين صباح كل ثلاثة كي تأتي للمقهى.

أما سالي فهي تمكث في بيتها منذ عام مع ابنها الرضيع، وقد ولدته في عامها الأربعين. وقد جاء هذا الطفل بمعجزة، بعد إجراء عملية زراعة طفل أنابيب ناجحة، واعتادت أن تأتي ومعها جيلس في شيء يشبه حقيبة ظهر، ولكنها فطمته ويمكنها أن تتركه مع جلسة أطفال صبيحة الثلاثاء، وقد فكرت في مقاضاة طبيبها، كما نصحتها لين، لأنه لم يسمح لها بارتداء نظاراتها أثناء الولادة وبالتالي لم تتمكن من رؤية معظم ما حدث. قال الطبيب أن ارتداء النظارة لم يكن آمناً، ولكنها أقنعت نفسها أن الموضوع أمر جمالي، وأنها ونظاراتها أزعجاً رؤيته التصويرية مما يجب أن تكون عليه ولادة طفل.

نتقابل نحن الأربع بهذه الطريقة منذ عشر سنوات حتى الآن، نطلب الكابوتشنينو، وثلاث منا يطلبون قهوة منزوعة الكافيين، وكل فترة يمكن أن نطلب معجنات أو كرواسون.

ليس لدينا أسماء، نحن لسنا نادياً وليس لدينا جدول أعمال، ونفضل عدم التفكير في أنفسنا ك أصحاب آراء، وليس لدينا "أحاديث مطولة" حول آرائنا، لأن هذه الآراء تعسفية ومصطنعة في

عالم غير حقيقي بالمشاركة بنسبة ٥٠٪. نعرف تقريبا كل شيء عن بعضنا البعض ونتحدث في كل شيء، ولكننا لا نتحدث عن حياتنا الجنسية، وأعتقد أننا نتجنب هذا الأمر بسبب محظورات قديمة سببها الحاجة لحماية الآخرين، ولا نتحدث أيضاً عن الأطفال لأننيا ليس لديها أطفال، ولو حدث وأن سافرت أنيتا كما تفعل في بعض الأحيان، نأتى أنا وسالي ولين بحاجيات أطفالنا من هناك.

في بعض الأحيان نتحدث عن بعض الاكتشافات الخاصة بالجنسين: مثل أن الرجال يحبون الريح ولكن النساء لسن كذلك، فهن يجدنهما مقلقة، وملاحظة أن الرجال لن يجلسوا وسط الكتبة إذا كان بمكانتهم هذا، ولكن النساء لا يهتممن، ويظنون في فرنسا أن المرأة الحائض غير قادرة على عمل مايونيز جيد، ولكن هذا غير صحيح بالتأكيد. ناقشنا أزمة المكتبة العامة حيث إن أنا وأنيتا في مجلس إدارتها، هل كانت صديقتنا جوين، جويندولين ريدمان الآن، تمارس السحاق دائماً، أم أن هذا بسبب منتصف العمر؟ وهل ستتزوج شيريل باتريسون العاملة في المكتبة من سام سوندى طبيب الأسنان بالمول التجارى؟ تقول أنيتا إن الفن أداة للمغازلة، أو الشعر على الأقل، ونتساءل إذا ما كانت البراءة التي ولدنا بها حقيقة، ونحاول أن نتخيل إذا لم يكن مقدر لها أن تنمحي، ماذا كان سيحدث حينها؟

سألنى توم مرة أو اثنين عما نتحدث فيه صباح الثلاثاء، فهززت رأسي فقط ولم أرد، فالامر أكبر من أن يوصف وغير عادي،

فالبعض يسميه ثرثرة، إننا نتكلم عن أجسادنا وعن تفاهتنا ورغباتنا الملحقة، وبالطبع ثلاثهن يعرفن كل شيء عن نورا وكونها تجلس في الشارع، فهن يرحنى ويهتممن بالأمر، وتؤمن آنيتا أنها مرحلة وستمر أما سالى فتظن أنه انهيار، ولين متأكدة من أنها مشكلة نفسية ولها علاقة بالغدد والهرمون، وجميعهن يخبرننى لا أعتبر هجر نورا للمنزل علامه على فشلى كأم، ورغم أننى لم أتعرب بهذا من قبل، إلا أنه أمر متعمق بداخلى ويبعث على الخوف، وأنا أؤمن به أكثر مما أخافه، وأخبرننى أنه من الطبيعي أن أغضب من نورا لأنها استسلمت، ولكن يبدو أنه لا طاقة لدى كى أغضب.

نحن نعرف كى نبدو: أربع نساء فى منتصف العمر يجلسن على طاولة صفيرة بمقهى صغير فى وسط المدينة، يملن للأمام، جميعنا نفعل ذلك، وهى الطريقة التى تجلس بها المرأة عندما تريد أن تستمع لكل كلمة تُقال؛ عندما ذهبت إلى نيويورك منذ عامين كى أستلم جائزة أوفيندن، أعطونى جميعا هدية عبارة عن سروال داخلى بنفسجى مصنوع من الحرير الصافى، وارتديته فى الحفل تحت بذلتى الصوف، ومن حين لآخر أخطو خطوة هنا أو هناك وأهتز يدى قائلة "أشكركم على القدوم" وأقول "أليس هذا رائعا"، وكنت أشعر باحتكاك الحرير بين قدمى، وشعرت أنى محظوظة بأنى أمتلك مثل هؤلاء الأصدقاء المحبين. إن لين من ويلز فى الأصل وهى تسمى السروال الداخلى بالكلسون وأصبحنا نسميه بهذه التسمية أيضا، فنحن نحب طريقة نطق الاسم.

كنت حريصة أن أجعل لأليسيا أصدقاء، إنه أمر فضولي أن أعرف كيف يتم استثناء الأصدقاء من الروايات، ولكن يمكنني أن أعرف كيف يتم الأمر، فليقع اللوم على هيمنجواي وكونراد وإيديث وارتون، لكن التقاليد الحديثة وضعـت الفرد والنفس المتضاربة ضد العالم، فالآباء (المحبون والغافلون) يعترفون بالروايات الخيالية، والأشقاء (الضعفـاء والحسـدون والذين يدمرون أنفسـهم) لـديـهم دور ما يلعبـونـه، ولكن عدم وجود الأصدقاء يـبـدو وكـأنـه اتفـاقـيةـ، فلا يـبـدوـ أنـهـنـاكـ مكانـاـ لـلـأـصـدـقـاءـ وـسـطـ السـرـدـ المشـوشـ بـالـأـحـدـاثـ وـالـأـشـيـاءـ المـعـقدـةـ بـدـاخـلـ الإـنـسـانـ، وـمـعـ ذـلـكـ فـأـنـاـ أـحـبـ أـضـعـ فـيـ الـرـوـاـيـةـ بـعـضـ الـأـصـدـقـاءـ عـلـىـ أـمـلـ أـنـهـمـ سـيـوـفـرـونـ بـعـضـ التـحـرـرـ مـنـ الـانـعـزـالـ الـرـوـائـيـ المـتـعـمـقـ، الـذـىـ قـدـ يـبـدوـ فـيـ غـيرـ ذـلـكـ المـوـضـعـ وـكـأنـهـ فـارـغـ وـمـثـيرـ لـلـشـكـوكـ.

أقرب أصدقاء أليسيا هي ليندا ماكبـيثـ وهي مستشارـةـ فـنـيـةـ والـتـىـ تـعـمـلـ فـيـ نـفـسـ الـمـجـلـةـ الـتـىـ تـعـمـلـ بـهـاـ أـلـيـسـيـاـ، ولـهـاـ دـورـ فـيـ روـايـتـىـ My Thyme Is Upـ، وبـالـتـالـىـ فـهـىـ تـظـهـرـ فـيـ الـرـوـاـيـةـ الـمـكـملـةـ. تـجـلـسـ الـمـرـأـتـانـ بـجـوارـ بـعـضـهـمـاـ فـيـ الـعـمـلـ، وـتـذـهـبـانـ مـعـاـ لـحـضـورـ فـصـولـ الـيـوـجـاـ مـسـاءـ كـلـ خـمـيسـ ثـمـ تـذـهـبـانـ لـتـقـاـولـ الـشـرـابـ وـتـحـدـثـانـ كـثـيرـاـ، وـقـدـ تـسـكـرـانـ فـيـ بـعـضـ الـأـحـيـانـ، وـلـدـىـ لـينـدـاـ مـشـكـلـةـ الـوزـنـ الـزـائـدـ وـلـدـيـهـاـ مـشـكـلـةـ مـعـ الـرـجـالـ أـيـضاـ، وـهـىـ مـشـكـلـةـ أـنـهـاـ تـفـتـقـدـ لـوـجـودـ رـجـلـ، وـتـطـلـبـ مـنـ أـلـيـسـيـاـ أـنـ تـجـعـلـهـاـ تـعـزـزـ ثـقـتهاـ بـنـفـسـهـاـ، وـلـكـنـ

ليندا مرحة وموهوبة فيما يختص بعملها، ولديها بصيرة عندما يتعلق الأمر بالآخرين. ”وقالت أليسيما مرة: “أنا لا أعرف الكثير عن رومان، ولكنه شخص رائع ولكن في بعض الأحيان يضخم الأمور الصغيرة”.

فسألتها أليسيما: ”أتقصدين أنه في بعض الأحيان يبدو وكأنه يجلس على عرش؟“

فأجابت ليندا قائلة: ”نعم، فدائماً ما يبدو وكأنه يبحث عن نطاقه الواسع إذا كنت تفهمين ما أعني، وهو ينظر للأعلى دائماً حتى أن حاجياته تبدو وكأنها ترکع أمامه“.

فقالت أليسيما: ”ممم، نعم“.

لدى رومان صديق جيد أيضاً، وهو مايكل هاميش وسيصبح أفضل رجل موجود في عرس رومان وأليسيما والذى سيحدث قريباً، إلا إذا قمت بعمل شيء سريع لمنعه، فكان زميل رومان في الغرفة في برينستون، وهو سمسار بالبورصة وأعماله كانت مهددة، ولاعب كرة قدم في عطلة الأسبوع، ومتزوج من جريتشن الشقراء والرزينة والتي تقوم بعمل الدعاية لشركة ويشود للرقص. لدى مايكل هاميش فخذان مثل الخنزير وركبتان رجوليتان كبيرتان على شكل مربع، وقد تتحى برومأن جانبها وحذره من هذه الزيجة قائلاً: ”إذا كنت تريد القيام بأى شيء فلتقم به الآن، لأنه بمجرد أن تتزوج لن

يكون لديك أمل فى أى شئ حتى لو تزوجت امرأة عظيمة مثل أليسيا، هكذا تسير الأمور مع الأزواج وسترى، وهذا يحدث طوال الوقت وقد حدث مع جريتش ومعنى إلى حد معين، ولكن أنت لديك الفرصة لتفكير فى الأمر، لقد أردت لشهر أن تعرف من أين جاءت عائلتك، وقد لاحظت ذلك جيدا، وعرفت أنهم منألبانيا وهذا كل ما كنت تتحدث عنه، اسمع نصيحتى يا صديقى وافعل هذا الآن، لن تجد فرصة أخرى".

حتى الآن

تم قبول نورا في جامعة ماكجيل عام ١٩٩٨، وبالطبع قبلوها بسبب درجاتها ولم يكن لدينا أدنى شك في أنها ستقبل، ولم يكن فلقنا إلا اختبارا ليقيينا، وتلقينا خطاب القبول بالترحيب الحار، ولكن ظهر حينها "حبيبها" وهو شاب في الثانية والعشرين من العمر واسمه "بين أبوت"، وكان طالبا في السنة الثانية بكلية الفلسفة في جامعة تورنتو، ومما لاشك فيه أن هذا الأمر غير كل شيء، فألفت نورا أمر جامعة ماكجيل، والتحقت بتورنتو وانتقلت لتعيش في شقة بالطابق السفلي في باثورست مع بين، واختارت فرعا في اللغات الحديثة لتدرس فيه، إنها فتاة جيدة، ولها قلب مثل قلب أمها.

ولكنني كنت قلقة لأنها لم تكن تعيش معنا بنفس البيت مثل ناتالي وكريستين، ولأنني لم أكن أعرف إذا ما كانت تتناول فطورا صحيا في الصباح أم لا، ولأنها كانت تمارس الجنس طوال الوقت مع شخص غريب منذ مدة قصيرة، وهو الآن أصبح قريبا وعلى

درائية تامة بكل جزء فى جسدها، ومجرد التفكير فى هذا يشعرنى بالذعر. فى البداية كانا معاً لمدة شهر ثم ستة أشهر ثم عام ونصف، وبدأت اعتاد الأمر، ولكن ليس بشكل فعلى وليس بالكامل أيضاً، وأدركت أننى من الأمهات اللاتى لديهن مشكلة فى التعامل مع أن تصبح طفلتها امرأة.

وتقريباً خلال عامها الثانى فى أول أيام شهر أبريل جاءت المنزل فى عطلة نهاية الأسبوع وكانت تتناول كوبياً من القهوة على طاولة المطبخ، بينما كنت أرتدى رداءى الدافئ وأقوم بعمل البيض من أجل الإفطار، الهواء جيد فى هذا المطبخ العتيق وهو مشرق أيضاً، وتذكرت كل صباح كانت فيه نوراً هنا أيام طفولتها، عندما كانت تجلس بجوار الشباك لتطل على غابة الشتاء بنية اللون والعارية، وهى تأكل الخبز المحمر بالزيادة وترثثر حول يومها. استيقظت فى هذا اليوم على صوت منبهها الصغير وكان هدية عيد ميلادها العاشر، كانت قد طلبته بشكل خاص، أن يستيقظ أحدhem على منبه طلبه بنفسه فهو علامة على النضج، وكانت مؤمنة بهذا وقلقة بشأن أمر النضج، ربما لأنها أكبر أطفال العائلة وهى الأخت الكبرى لناتالى وكريستين، وكانت قلقة مما تعنيه هذه الكلمة وكيف تصل إليها بسرعة. والأكثر أهمية من أن تصبح جيدة ومرضية ورائعة، هى الرغبة فى أن تصبح ناضجة فى فترة مبكرة من حياتها، وأصبح هذا المنبه البلاستيكي الصغير جزءاً منها ومذهباً لها، مثل

الكنيسة تماماً، وهي حالة من الديمومة، وقد أخذته معها عندما ذهبت للمخيم وهي طفلة، وكانت تحمله معها ذهاباً وإياباً في حقيبة الظهر للشقة السفلية في تورنتو حيث كانت تعيش مع حبيبها، هل ضبطت منبهما الليلة الماضية؟

ربما تكون قد عادت للمنزل في أورانج تاون فقط لعطلة نهاية الأسبوع، وهو هو مستيقظة، بينما كان توم والفتيا في الأعلى وبالكاد متحسن لها، لم يطلب منها أحد أن تكون بهذا الانفعال، لم يطلب منها أحد أبداً أي طلب مثل هذا غير نفسها.

استمتعت بوجود أحدهم معى في المطبخ في الصباح الباكر، أحب شكلها وهو نائم وهو تثاءب وغير مرتبة، ويتدخل هذا الأمر مع ما أظن أنه عدم اهتمام بنفسها، شقة باثورست غير المرتبة وبين وحب فلوبيرت، وكل ما لم أفهمه يوماً بشكل كامل لأنه خارج نطاق الزمن الخاص بي، فأنا من جيل الستيزنيات وهي من جيل التسعينيات. في اللحظة الحالية هي معى في المنزل، وهي معى الآن، وكانت ترتدي رداء من عندي ولكنه مهلهل ومفتوح من الأمام، ولونه عنابي ردىء، وجسدها له شكل أنيق، ولكن طرأ تغير ما في حضورها، وهو أن وجهها كان باهتاً بشكل غريب، وعينيها منتفختان ومليتان بالدموع على ما أعتقد، ما رأيته في عينيها كان صعباً وثابتًا وقوياً، ماذا كان هذا؟ ومن قال "نحن حقيقةيون فقط في لحظات إدراكنا"؟ فقد كنت أدرك شيئاً ما الآن، فوضعت نظارة

القراءة ونظرت لابنها مرة أخرى عن قرب، وجعلتها تستدير ناحية الشباك حتى يأتى الضوء على عينيها وبالذات على شفتها العليا، وفي النهاية تراجعت وأغلقت عينيها أمام الضوء وأمامي.

"هل هو بن؟"

"جزئياً".

"إنك لا تحببته بالشكل الكافي".

"أحبه ولا أحبه، ليس بالشكل الكافي".

"ماذا تعنين أنه ليس بالشكل الكافي؟"

هزت كتفها وشدتني من خصرى، وشبكت إصبعها فى حزامى وتعلقت به ثم ضغطت على بطني بجبينها، أنا مستعدة لدفع أى ثمن كى أستعيد هذه اللحظة مرة أخرى.

"فقلت: "حاولى أن تشرحى"

"لا يمكننى أن أحب أى شخص بشكل كاف"

"لماذا؟"

فقالت وهى تتهجد: "أحب العالم أكثر"

"ماذا تعنين بالعالم؟"

"أعنيه بأكمله، الوجود كله"

فقلت شيئاً قد يبدو غبياً: "هل تعنين الجبال والمحيطات
والأشجار وما شابه؟"

كل هذه الأشياء، ولكن الأشياء الأخرى أيضاً.

استرخيت في الكرسي وكانت أقوم بعملية تدليك للمكان اللطيف
بين كتفيها، أصبعي يناسبها تماماً ويقوم بحركته الدائرية الصغيرة،
ولم يكن لدى طريقة لمعرفة أن هذه ستكون آخر زيارة لها للمنزل،
وأنها ستختفي. "هيا"

فقالت: "هناك أدب ولغة، حسناً أنت تعرفي هذا، وهناك أفرع
لللغات ولغات ميتة ولغات ميتة ومنسية وهناك ماتيس وهاملت،
فالأمر كبير وأنا أحبه كله".

"ولكن ماذا...؟"

"وهناك قارات بأكملها والهند، وخاصة أماكن لم أزرتها من قبل
مثل الهند، فكل درب صغير يخرج من طريق ترابي مختلف متفرع
أيضاً من طريق رئيسى، والشجيرات وممرات المشاة وميادين المدينة
الصغرى، ويجب أن يكون هناك الملايين من ميادين المدينة، ولن
أراهم كلهم بالطبع، فما الهدف من كل هذا إذا؟"

"يمكنك أن تقضي سنة كاملة في السفر، أنت تعرفي نوراً
يمكنني أن أستمع لصوت ناتالي وكريستين يتحركان أعلى الدرج
ويصرخان من غرفة النوم للغرفة الأخرى، ويضبطان الراديو على
المحطة المحلية التي تذيع موسيقى الروك.

فقالت نورا: "وماذا عن المد، فكروا فيه، فهم لا ينسون أن يأتوا
ويذهبوا، والأرض تتمايل في الفضاء، ونادراً ما يفهمهم أحد".

"هل غادر بن المنزل؟"

"لا".

"ماذا إذا".

"لا أعرف".

"أين تعيشين؟"

"مازلت هناك، للوقت الراهن على الأقل، ولكنني أفكر في أن
أستقل بنفسي".

"وماذا عن فصولك ودوراتك التدريبية في الربيع؟"

"ماذا عنها؟"

"لقد تركت الجامعة" لم يكن بإمكانني تصديق أن هذا التفكير هو
ما جاء في عقلي فجأة، وكان على أن أكرر الجملة مرة أخرى، "لقد
تركت الجامعة".

"أفكر في الأمر، أفكر ألا أحضر امتحاناتي".

"لماذا؟"

"نوع من عدم معرفة هدفي بالتحديد".

"وماذا عن منحتك؟"

"لا أحتاج لأية أموال، وهذا هو الغريب في الأمر، فيمكنني أن
أتنازل عن المنحة ..."

"هل يعرف بن بما تفكرين فيه؟"

"بشأن ترك المنزل أم الامتحانات؟"
كلاهما".

"لا".

"ولا تتوين إخباره".
لا".

"هل ستحدثين مع والدك؟"
يا إلهي، لا لن أفعل".

"من فضلك يا نورا، لقد مر بمراحل صعبة في حياته عندما كان
شابا، أرجوك، تحدي إلى".

"لا يمكنني".

"أرجوك يا نورا".
حسنا".

عندما يصيب أحدهنا جرح ما، فإنه يأتي من اتجاهات كثيرة ومتشعبة، وهي اتجاهات لم أحاول حتى أن أسلكها، مثل أن تأتيك أخبار من إندونيسيا أو القدس، وأخبار عن استعدادات بوشن لخوض الانتخابات والتقدم المفاجئ في أبحاث السرطان، لكن كل هذه الأخبار ليس لها أدنى علاقة بابنتي الأولى الجميلة ذات الشعر المضيء والرائع، التي كانت فتاة جيدة للغاية وذكية، والتي كانت تتحدث بصوت موسيقى هادئ غير معتمد في مثل سنها، والتي كانت مطيبة للغاية وتقرأ لفروبيلت ولم تكن تستثير غضب أي شخص قد يسبب لها ضررا.

شعرت أن جدران المطبخ تقفز للخارج وكل شيء به انحناءات مثلما يحدث في أفلام الكارتون، ثم ينكحش كل شيء للداخل وكأنها تضفت علينا، فقلت لها "أنت تدركين أن هذا أمر خطير، فأنت في حالة نفسية خطيرة وتحتاجين إلى المساعدة، ومن الطبيعي أن تكوني محبطة، ربما يكون لديك نقص في المعادن أو الفيتامينات، ربما يكون شيئاً بسيطاً".

"إن الأمر ليس خطيراً، وأنا أدرك ذلك جيداً، ولكنها الكثير من الأمور الصغيرة مجتمعة معاً، وأنا أحاول أن أجوازها، ولكنني غير قادرة على ذلك".

فحاولت أن أتحدث قائلة: "نورا، يبدو العالم في الكثير من الأحيان وكأنه يمنع شيئاً ما عنا، وجميعنا نشعر بهذا في بعض أوقات ما، وخاصة في سنك، وعليك أن تواجهي الأمر...".

"وهذا هو ما أحياول القيام به بالضبط، هو أن أواجه الأمر، ولكنه كبير للغاية".

"هل حدث شيء ولم تخبرينا عنه؟"

"لا، لكن كل شيء ليس على ما يرام".

وبعدها سمعت نفسي وأنا أصرخ فيها وشعرت أنى قمت بعمل فجوة قاسية في منتصف الكون، كانت فجوة عنيفة وخارج السيطرة، قلت: "يجب أن تتحدثي مع والدكاليوم،اليوم".

"لقد قلت حسنا سأفعل".

"ولكن عليك التحدث مع شخص آخر أيضا، شخص يمكنه تقديم المشورة، وعليك فعل هذا اليوم".

هل قلت هذا بالفعل: "شخص يمكنه تقديم المشورة"^٥، لا عجب أنها بحلفت في وجهي.

فقالت: "اليوم هو الأحد".

"حسنا اذهبى للمستشفى، فخدمة الطوارئ تعملاليوم".

"ولكن الأمر ليس طارئا".

"نورا، أنت بحاجة للمساعدة".

"أحاول أن أجد ما يناسبنى".

نظرت إلى ياحباط شديد، وكنت أفكّر بسرعة، ربما هي تتناول المخدرات، أو خلطيًا بشعا من المخدرات، أو تمارس طقوسا دينية معينة، فحاولت أن تخيل صورة لجماعة دينية رأيت أعضاءها يمشون حول الجامعة، وهم يرتدون أثوابا رمادية اللون وصنادل، أو المسيحيين الجدد الذي لا يسمحون للمرأة أن تضع المكياج ويقصون شعرها إذا تحدثت، ففظرت إلى فم نورا ووجدت أنها لا تضع أحمر الشفاه، وإنه وقت تناول الإفطار ولن تضع إحداهن مكياجا في هذا الوقت، ولكن لازلت أحتج لتفسير منطقى إذا كان بإمكانى أن أفكّر في الأمر بمفردى، هناك شيء تستعيده نورا في وعيها، مما يضع في وعيها حقيقة ساذجة عن حياتها يمكن تطويرها إلى حالة من الكمال، بالرغم من أننا نعرف أن هذا لا يمكن أن يحدث، أو ربما كان عدم اضطراباً مؤقتاً في الأذن الداخلية، وقد قرأت عن هذا مؤخراً، ربما يكون لديها اللحمة الفدية وهو مصدر الخوف القديم وهذا المرض عدو للطلاب بشكل خاص، وكان الناس يظنون أنه ينتشر عن طريق التقبيل، أو ربما بسبب ورم كبير في المخ، ولكن يمكن إزالته بعملية جراحية، وقد يسبب هذا خللاً في العمود الفقري، مما قد يتطلب تدخلًا بسيطاً من أحد خبراء بوستون، ويمكننا السفر إلى هناك في أقل من ساعتين، أريد أن أتنفس.

كانت هذه أفكاراً حساسة، وأمثلة على التفكير الجانبي الذي تعلمه من توم، ورغم ذلك كانت دقات قلبي تخترق توقعاتي الهدئة،

أعرف ذلك، وكنت أعلم يقيناً أن هذا بداية الحزن، وضى الحقيقة، لم تمض ساعة حتى رحلت نورا عن المنزل، خرجت خلسة من الباب الأمامي بحقيقة الظهر البرتقالية وذهبت إلى تورنتو غالباً، لم أصدق أنها رحلت دون أن تودعنا، نظرت في أرجاء المنزل بحثاً عنها وعن أشيائها، فلم أجدها ولم أجد شيئاً يتعلّق بها، وبعدها عرفت كيف كانت خارج السيطرة وكيف أصبحت خطيرة على نفسها، لقد ضاعت.

ضاعت! انفتح جزء منوعي، مثل انصاف سحابة فوق بعض المشاهد بشكل مفاجئ، وتشرق الشمس على الشوارع التي لن تسير فيها نوراً أبداً في صمت، في الأول من مايو منذ عشرة أيام، منذ عشر سنوات من الآن أو عشرين، لقد واجهت نوراً قدرًا كبيرًا مما قدمه العالم لها، أخذت جرعة زائدة لن تتمكن من النجاة منها.

ربما ليس قدرًا كبيرًا، ولكن على العكس كما فهمت دانيال ويستerman، وربما تكون نوراً قد خدعها فهمها للحياة وظننت أن الحياة مليئة بالكثير كي نعيشها وجميلة كي نتحملها، ولكن الحقيقة مختلفة تماماً عن ذلك، وأحاول أن أعرف ماذا يمكن أن تكون الحقيقة، وفي بعض الأوقات أكون قريبة من معرفتها.

وفي أحيان أخرىأشعر أنني مجرد أم قلقلة تتعارك مع ابنتها، ابنة محبطه للغاية، وفاض بها الكيل بعد نهاية شتاء طويل، وغالباً قلقلة بشأن علاقة الحب الأولى التي مرت بها وانتهت، أنا متاثرة

بشكل كبير لا شيء أكثر من ذلك، وأصب جام غضبي وقلقي على نورا فما الأدلة التي أملكها كي أفعل هذا؟ لا شيء، ستكون بخير خلال عدة أيام، وستعود للمنزل مرة أخرى وهي تشعر بأنها حمقاء وستعتذر.

أذهب جيئةً وذهاباً بين الرضا والقلق ولا يوجد من يمر بهذه الفترة في حياته في هدوء، فهذا درب من الخيال، وعلى العكس تماماً أتذكر نظرة عينيها، وهي تجلس على كرسي المطبخ، وبالتالي تصبح أفكارى أكثر تهوراً، وفي بعض الأحيان يحدث إلا يكون لدى تجاه نورا إلا القليل جداً، ففيابها ترك فجوة بيني وبينها، وقد افترت من نهايتها، فهناك شيء كبير مثل الوجبة السخية مع الموسيقى والثراء وأناقة اللغة ولكنها غير مدعومة، فهي تراها للمرة الأولى، ولكنها الآن لن تتمكن من رؤيتها أبداً، وقد حدث تدهور في نسيج العالم، العالم الذي لا ينتمي لها كما قيل لها، مراراً وتكراراً، فقد أصبح دخولها محظوراً، ومن الآن فصاعداً فالحياة لن تبدو كما كانت.

لست مستعدة لتصديق ذلك الآن.

بقدر ما

٢٠٠٠ أكتوبر ٨

ساداتي؛

كنتأشعر بالإحباط الشديد بالأمس بسبب بعض الأمور الشخصية، وحدث أن جلست على كرسي كبير بذراعين وأتصفح سريعا آخر عدد من مجلتكم، والذي اشتراه لى زوجى بعد تفكير من محل ماجس وفاجس (نحن لا نشارك لأننا نشعر أن منزلنا مليء بالورق، ونحاول أن نكون مواطنين جيدين وأن نعيش فى سلام).

لم أتمكن من عدم ملاحظة أنكم قد بعثتم واحدة من أغلى إعلاناتكم، لمؤسسة مزيفة أو شئ من هذا القبيل على ما أعتقد، إن كثافة الطباعة والخط البنى هى محاولة لتجنب الإعلان ذات الألوان الأربع الفاقعة، ولكن دون جدوى، إن هذه الصفحة مزدحمة فى الواقع، والمنتج فى كل الأحوال هو عقول عظيمة فى العالم

الغربي المفكر: غاليليو وكانت وهيجل وباكون ونيوتن وبلاطو ولوك وديكارت، وهناك أشكال نقوش رؤوس هؤلاء السادة تطل بحجم صغير من شريط ضيق في أعلى الصفحة، وما تم اقتراحه هو استمرار التعلم وهو حزام متحرك لا يتوقف من التفكير النبيل، وهناك مقتطفات مسجلة كلما نظرت في أسفل الصفحة، وفي شريط أربع وثمانين ساعة من المحاضرات المسجلة على شرائط، والتي قد يستمع إليها الشخص بينما "هو" (يفترض أنه ضمير) يمشي أو يهروء، أو وهو مسافر أو يقوم بواجب منزلي (هي النقطة التي أريد التشدد عليها).

هذا عدد كبير من أنصاف الساعات للتوقف عن التعليم، وستوافقني الرأى، ولكن على الأقل س يتم الحفاظ على مشترك، وطبقاً لنسخة الإعلان "أعوام من القراءة المكتفة والمذاكرة" والأسوأ أيضاً "الانسحاب الكامل من الحياة النشطة"، يمكنك أن توقف عقلك "دون أن تحتاج إلى أن تستقيل من عملك أو أن تصبح ناسكاً". ناسكاً! س يتم توجيه الدارس في دراسته بالكلية، وسأذكر أسماء: دارين (سأتجاوز الاسم الأخير) وآلن ودينيس وفيليب وجيرمي وروبرت وروبرت آخر وكاثلين (كاثلين؟) ولويس ومارك ودوجلas، وسؤالى الآن هو: كيف تمكنت كاثلين من أن تخوض هذا السباق؟

قد أعتبر أيضاً أنني مضطربة هذه الأيام (والليالي أيضاً) بهذه الأسئلة، لدى ابنة في التاسعة عشرة من عمرها تمر بمرحلة يمكن أن تكون نوعاً من الغرق في الاكتئاب، ولا يمكن أن أقول أن حالتها تم تشخيصها، وتشك إحدى صديقاتي أن هذه الحالة أنت بسبب عروض مثل عقول عظيمة في العالم الغربي المفكري، وليس بالتحديد إعلان شهر أكتوبر، ولكنه تراكم طويل من الطباعة بنية اللون والمظللة التي يعاد إنتاجها عاماً بعد عام، وكل هذا يضفي بمكر ويعبر عن افتقاد قوي للإحساس بالفضول لمعرفة عقول أعظم النساء وفي الواقع هذا عدموعي كامل.

ستردين على تعليقاتي بقائمة طويلة من حقوق اكتسبتها النساء، وستصررين أن أرض الكفاح لها قوانين واحدة، ولكن يجب إلا ترينـه هكذا، ولا يمكن أن أكون فقط من يرى هذا.

أدرك تماماً أنه لا يمكنني التأثير على سياستك الإعلانية، ولكن أملـي هو إلا تقع بين يدي ابنتـي نورا نسخـة من هذه المجلـة، أقرأـ هذه الصفحة وحاـولـ أن تفهمـ كما فعلـتـ فيـ المـرةـ الأولىـ، وستـرىـ كـيفـ أنهاـ لاـ تـنـتمـ لـعـالـمـناـ إـطـلاـقاـ وـبـشـكـلـ كـامـلـ، لـدىـ اـبـنـاتـ غـيرـ نـورـاـ، وـتـدـعـيـانـ كـريـسـتـيـنـ وـنـاتـالـيـ وـأـنـاـ قـلـقةـ بـشـأنـهـماـ طـوـالـ الـوقـتـ.

ريـتاـ وـينـترـزـ

الناسـكـةـ

أورـانـجـ تـاـونـ، كـنـداـ

من ذلك

هناك مشكلة يجب أن يواجهها كل كتاب الخيال، إذا أرادوا أن يخلقوا شخصيات فريدة وجوهرية، عن هذه الشخصيات التي تحتاج لسياق ما، خاصة الشخصيات المهمة لتطور السرد في الرواية، لا يمكن لتلك الشخصيات أن تظهر فجأة على الورق كأنها تحولت أو خرجت من الطين الدافئ. وقد وضع داروين حدا لهذا الأمر وكذلك فرويد. إن التوالت العذري لا يصلح للبشر، على الأقل حتى وقتنا هذا وقد لا يصلح على الإطلاق، إلا إذا أصبح البشر كائنات غير تلك التي نعرفها، فالشخصيات في الكتب تحتاج إلى أن يتم دعمها بنوع من الطفولة، مع وجود آباء على أقل تقدير، وأجداد في بعض الأحيان، إن هذه الأحداث السابقة المتعلقة بعلم الأنساب ربما تكون ميتة أو مفقودة، وفي هذه الحالة لن يكون ضروريًا أن يتم تقديمها في السرد الجارى، ولكن يكفى التلميح إليها بكل بساطة. فمثلاً الجد بارنى مع ميداليات الحرب الخاصة به، والجدة

فوستر وتركيزها على الوظائف الجسدية، والتتممة القديمة المتوارثة تضفي مباشرة أو بمهارة على الشخصية المعاصرة وكيف تستجيب أو يستجيب للتقلبات الحياة. يمكن أن يتم تظليل هذه الفروق ببعض الجرافيت، سواء WASP أو اليهودي أو المال القديم أو الجديد، وعلى الروائى أن يدرك أن الجينات جزء من الحبكة الروائية، وأنه حتى أليسيا الرومانسية هى مجموعة من الكروموسومات المصنوعة بدقة بالغة. إن الآباء يؤثرون على الأطفال سواء بتقوية أو إضعاف عزيمتهم، ولا يوجد روائى له مصداقية سيقول عكس هذا الافتراض، حتى فى معظم الخيالات الدرامية، هناك عناصر محددة لا يمكن استخراجها من المواد والجغرافيا والأسرة والدم. فكل شخص هو ابن شخص آخر، والرواية هى أكثر المصطلحات فظاظة وهى قصة عن مصير الأطفال، هناك دائماً الكثير من DNA يضغط بادعاءاته، والسؤال الآن هو: كم يلزم الكاتب أن يعود للوراء من أجل أن يحقق الاستقرار لشخصية وأن يحقق صلابة وقوة هذه الشخصية؟

من وجهة نظرى، ليس مهماً أن تقدم تخطيطاً كاملاً بالأنساب، ولن تجد لدى القراء الصبر لقراءة هذا الكم الهائل من المعلومات إلا نادراً، وليس هناك إلا بعض الأسر التي تحتاج لأن تتبع نسبها، وهذا يعطى إحساساً أن التخطيط ليس اختراعاً ذاتياً أو تعسفياً، وعادة ما تعود جين أوستون إلى الجيل السابق على الأقل، وفي

بعض الأحيان تعود لجيلىن، رغم أنها كانت فى عصر ما قبل داروين، فهى تعرف أهمية هذه المعلومات الأساسية.

أعمل على إكمال روايتى My Thyme Is Up (والتي أسميتها Autumn Thyme in Bloom) بتحفظ على الحدث الذى قررت الذهاب إليه لحضور الثلاثية)، وها أنا أكافح مع كم العادات الموروثة التى أحتاجها كى أحمى أليسيا ورومان فى نفس الوقت، وقد اتجهت فى الكتابة إلى البساطة والاتزان، وكل منهما هو الابن الوحيد لوالدين متحابين. أسرة أليسيا غنية بعض الشئ، ورومان من الجيل الثانى للطبقة العاملة الألبانية ولكنها فى تصاعد (فكل الرجال لديهم رأس بشعر مموج والنساء ذوات صوت حاد ومثير). فى بداية روايتى كنت سأجعل الآباء ميتين، ولكننى أريدهم الآن أن يكون لهم دور فى تحضيرات الزفاف، وأن يكون لهم دور فى مشهد المطعم الذى لا فائدة منه، عندما يتجمعون معاً للمرة الأولى. والد أليسيا (هل أجعله محامياً؟ لا لقد كتبت بالفعل أنه مهندس ميكانيكى فى الرواية السابقة، هذا سيء للغاية) لا يصدق أن هناك رجلاً أعزب على وجه الأرض يستحق ابنته العزيزة، وب مجرد أن يسمع أن هناك من يريد خطبتها يفصب بشدة، ويتجهم وجهه ويتمتن بالرفض. وفى نفس الوقت، نجد أن والدة رومان (مفكرة من طراز فريد وهى تعمل لدى مركز أبحاث فى ويشود) فهى تعلن وتعترف أنه لا توجد امرأة على وجه الأرض قادرة على تقدير ابنها

العزيز، وقد تبسمت ولكن بحذر، وضغطت على شفتيها بقوة، وفرحها الشديد ينفي أى مشاعر حقيقة لديها، وهى تؤمن بداخلها أن السعى خلف السعادة تصرف أنانى، وهو أمر لا يأخذه على محمل الجد إلا الأطفال، وفي رأيها أن الأطفال كائنات غير مروضة، ينتظرون أن يتم تشكيلهم من قبل أشخاص متحضرين.

لم أعرف توم كطفل، ودائماً ما أعتبر هذا خسارة لا تعوض، وعندما أصبح بالغاً أصبح صبوراً وقلقاً، وعادة ما يكون حزيناً وساعياً خلف المتعة، وعادة ما يكون غاضباً وعصبياً وغير منظم. وعندما كان طالباً في كلية الطب في السبعينيات، كان يفضّب بسرعة وتم القبض عليه مرتين بسبب مظاهرات سياسية، وسُجن مع زملائه لأنّه ضمّد تماثيل أبطال كنديين لهم قدرهم حول كوبنز بارك، ووضع جبيرة على لوحة رئيس الوزراء الأسبق والملونة بلون الدم، وقد وضعها على الصدور البرونزية ذات العضلات، ولكن الذي كان يحبه حقاً هذا الفتى النحيف الذي يجري بعد العشاء وهو يحمل كرته بين يديه، هو صوت الباب القوى عندما يغلقه خلفه، والخشيش الأخضر الذي ينمو ذو الظلال الطويلة والذي تنمو فيه أوراق صفراء مبلولة في الخريف ومنقطة! فهذا المشهد الخيالي يبدى أمناً، والرائحة النابعة من حرق الخشب وضوء الشمس، وأعتقد أن هذه اللحظات المزدحمة والمحددة سُرقت مني، وأنها خُطِفت من قبل الخط الأصلى للوقت.

لكن ليس توم وحده كذلك، فبнтای الاشتنان تفتقدان نفس نوع المحتوى المحدد، وقالت دانيال ويسترمان ذات مرة "المشكلة مع الأطفال هي أنهم غير مهتمين بالطفولة" ("Autoreflections" حوار خاص عام ١٩٧٧)، وعندما يثيرون فضولك بالدرجة الكافية، يكون الوقت قد مر (إنها ترفض طفولتها بالكامل في لاروش فينوس حيث يوجد أبوها وأمها، فكلاهما تجاهل طفلته وهي تعترف بذلك، ولكن أشك أن الأمر يتعدى ذلك، فهناك شيء أكثر قسوة جرحاها بقوه وأثر فيها).

إن أكثر ما أتذكره في سنواتي الأولى هو تجاهلي الزائد عن الحد، وكنت أرى العالم بشكل جزئي، فما أعرفه هو صف من المنازل في منطقة كينجسواي بتورونتو، وكان على أن أتظاهر بمعرفة البقية، ومثلى مثل جميع الأطفال كنت مجبرة على أن أنتقل من معرفة خاطئة لأخرى، وفي كل مرة كنت أوشك على اقتراف فعل مشين، إن الأمر ليس عما نعرفه، بل ما لا نعرفه ونفع فيه، فالخجل وأحمرار الوجه والتسرع والتردد، هي تعبيرات سطحية تعبّر عن الألم عميق بالداخل، فإحساس الخجل بسبب التجاهل قاتل "لقد مت تقريباً" هكذا يقول البالغون عن عدم فهمه، وهم يعنون أن التعبير عن التجاهل يجعل الشخص يشعر وكأن قلبه توقف.

على الأقل هذا هو ما شعرت به ريتا وهي طفلة، وهي تبحث في عقل الأطفال الأصغر سنا، وترى لا شيء غير دوامة من الصور قبل

الكلمات وقبل النحو والقواعد اللغوية، وكأنه نوع من الرسم، أو ألوان رطبة وحية ممسوحة تشير في أغلبها إلى الغضب. أدركت من البداية أنني منفصلة تماماً عما أفترض أن كل من في العالم يعرفه، كنت مجبرة على تنظيم العالم ولكن في صمت ودون أن يعلم أحد، لماذا تبدو السماء زرقاء اللون عندما تنظر للأعلى، وليس عندما تنظر لها من الجانب، لماذا لو سقط القمر في حديقتنا أو صعد للسطح؟ إن هذه الأسئلة مثل المعجزات لأنها تعتبر ظاهرة، وكأنها تجمعت حولي وصنعت الأكسجين الذي أتنفسه، وما همسوا به إلى كان: من المحتمل جداً أن يقتلك تجاهلك، ويمكن لهذا أن يحدث في أي لحظة.

دخل البعض إلى حديقتي عندما كنت طفلاً، وحملوا كل الزهور من شجيرات أمي الثلاث المزهريات، وكان رد فعل أمي على هذا الاعتداء هو التعليق بفكاهة، وكأنها لم تكن تعرف الخطير الحقيقي الذي يحيط بنا. أعرف أنه تم اختيار عائلتنا، وأن الزهور الضائعة تدل على شر عظيم، وأنها جزء من تصميم أكبر قد يؤدي في النهاية للموت، ولكن كنت غير قادرة على أن أحول مخاوفى إلى كلمات، حيث إنني عرفت على مستوى آخر أنني كنت سخيفة للغاية.

يجب أن نعيش لحظات الفجوة في الحديث وعدم اكتمالها في صمت، ويبدو أن هذا هو القانون الطبيعي، فالطفل يعلق في خزانة

مقلقة للمجهول داخل حدود الأجسام في هذا المكان المظلم، وإذا أطلقت على الحيرة اسمًا فكأنك تضخم منها، وفي نفس الوقت أدركت افتراء ما، وهو أن الأغلبية تظن أن ملاحظات الأطفال الطبيعية غريبة الأطوار ومثيرة للإعجاب، وأن أقوالهم واستفساراتهم خفيفة الظل تدعوا للابتسام، ولكن لا يوجد ضمان لوجود الإجابة، لماذا يخاطر الأطفال بفضح الأسرار بشكل عام؟ ربما يكون بسبب اليأس أو الخوف، ولا عجب أنهم لا يلقون بأنفسهم من النافذة في لحظات الارتباك.

دائماً ما تفيظنا ابنتنا المشرقة نوراً بـ ملاحظاتها الفضولية، فهناك أصوات كثيرة في رأسها كما تقول وطوال الوقت، ولكننا فهمنا ذات مرة أن هذا لا يعني أي شيء، غير أنها أصبحت واعية بالحوار الطويل الذي يستمر مدى الحياة في رأس الشخص منا، وهو أطول حوار قد يخوضه أي منا. أهلا بك .. إنه أنا مرة أخرى، إنه أكثر حوار ممتع يمكن أن نعرفه في حياتنا، وأكثر الحوارات التي تعيد نفسها مرة تلو الأخرى بجنون. أرجوك لا تأتيني بهذه المرأة مرة أخرى ألن تصمت أبداً (لهذا السبب أقرأ الروايات كى أتمكن من الهرب من حواري الفردي الذي لا ينتهي)

أشك أن ريتا سامرز الصغيرة كانت أبطأ في تقبل حقيقة الأمور الدينية والظاهرة، أو أنها كانت خائفة من أن يسخر الآخرون منها، حاولت أن أحل الأمور بالنسبة لى، فعلى سبيل المثال، كانت هناك

معركة وكان الجميع يتحدث عنها، وكيف أنها كانت بشعة مع كل هذا العدد من القتلى، حتى الأطفال الذين تم حرقهم ببشاشة، ولكن ما هي الحرب بالتحديد؟ وماذا كان الناتالي؟ وكم تبعد فيتنام؟ لم يخبرني أحد، ولكنني اكتشفت أنها ربما تكون في الممر خلف الدكان في شارع بلور، لأننى ذات مرة سمعت ضجيجاً يأتي من خلف هذا المتجر، وبكيت عندما أخذوني إلى هذا المكان بالرغم من أن والدى ووالدى كانوا يمسكان بيدي، لم يسألانى عن سبب بكائى، أعتقد أنهما ظنا أن بكائى لأننى خائفة من السيد هوبكينز الذى كان لديه شارب وقطع فى اللحم وشفرة سوداء بطول ذراعه.

فهمت أن الشخص قد يكون له اسمان أو ثلاثة، اسمى الحقيقى هو ريتا روث سامر، وقبل ذهابي للمدرسة تعلمت أن أقول عنوانى: ٥٥٥ ستارات أفينو، وكذلك هاتفي وكان الجميع يظن أن هذا شيئاً رائعاً لطفلة فى عمري، وكان يسمح لي كل فترة أن أمسك سماعة الهاتف كى أتحدث لجدتى أو عمتى جودى، وأخبرتني أمى بحرص أن "العمة جودى ليست عمة حقيقية"، هكذا أخبرتني أمى بحرص، كنت أعرف معنى كلمة "حقيقية"، يمكنك أن تلمس الشيء الحقيقى وتراه، لم يكن الأمر مثل القصص التى اخترعتها.

إن الملائكة تحرك أناثها، هكذا قالوا لي عندما دوى صوت البرق فى ليلة صيفية، وهمست أمى فى أذنِى بجدية قائلة بالفرنسية "الرعد"، وكانت عيناهَا كبيرتين، مما جعلنى أفهم أن هذا الأمر

جليل ولا يوجد ما يغيفنى منه، ولكن الجزء الخاص بالملائكة لم يكن مقنعاً للغاية، ورغم أنهم يعرفون أنه هراء، إلا أن الطريقة التي قالوا بها هذه الكلمات، كانت تدل على أنهم يحبون ما يجعلهم يشعرون بنزوة، ولابد أنى أحببته أيضاً، وعندما أفكر بهذه الطريقة، أستطيع أن أتقبل الأمر بسهولة.

دائماً ما تتحدث إلى أمي بالفرنسية وأبى بالإنجليزية، وكان مسموماً لى أن أجيب باللغتين، وهذا جزء من اتفاق أبرمه الاثنان قبل مولدي، وهو أن أى مولود لهما سيكبر وهو يعرف اللغتين، وأنهما سيتحملان مسؤولية هذه الخطة. أمي أصلاً من مونتريال وتتكلم الفرنسية بموسيقية في النطق، وأبى إنجليزى من أيدنبرج، إلا أن سنواته في كندا أخذت من إنجليزيته بعض الشيء.

الغريب هو أن الارتباك في سنواتي المبكرة لم يكن مسبباً، ولكن خفف من حدته الانغماس في اللغتين، فالازدواجية تجعل العالم أوضاع، فهناك كلمات مثل الكرسى والستارة والكلب، وكل شيء وكل فعل له صدى وشرح. المعنى له قدمان وله جذران يمكن الاعتماد عليهما، أنا أصبح في الإنجليزية، وكأنني أصبح على ظهرى بارتياح، ولكن في الفرنسية أشرع وكأنني أقف على الوركين، وكان الكتاب المقدس لعائلتنا هو القاموس الفرنسي الإنجليزى ذو الغلاف الأزرق، حيث إننا عائلة لا تنتمي لأى جهة دينية رسمية.

ومع ذلك، فقد علمونى أن أتلوا الأدعية وقت النوم "يا يسوع، بارك أمى وأبى وجدتى وجدى والعمه جودى واجعلنى فتاة طيبة"، ما أعرفه عن المسيح هو ما التقطه من الهواء، فالمسيح كان غير مرئى ولكن يمكنه أن يسمع كل شيء أفكر فيه أو أقوله، يمكنه حتى أن يراني وأنا فى الحمام وهو شيء مهين. كان مثل الإله ولكنه ليس بقدم الإله، ولم يتوقف عن حبى عندما كنت فتاة سيئة، ولم أصدق ذلك أبداً للحظة، كان يرتدى ثوباً بنى اللون، وكان يحب أن يكون لديه أطفال ليلعب معهم ويتسلقون على حجره، لم يكن ليكون مختفياً حينها، دقوا المسامير من خلال يديه وقدميه، ولم أتحمل التفكير فى هذا الأمر، تمزق الجسد.

تعلمت أن أتلوا الصلوات بدقة "الطريقة التى تتنطق"، وأخبرنى أبي رجل الدين السابق أن صوته ملئ بالمعادن الدافئة، وكانت هذه مجرد خدعة وقد تعلمتها، وبهذه الطريقة جعلتهم يحبوننى أكثر، وكانتا يقولون "الليست ماهرة فى القيام بهذا"، وفي كل مرة يقولون هذا أشعر وكأنهم يهدوننى وردة، وقالت لى أمى إنى جيدة؛ وهى التى لم تدخل كنيسة كاثوليكية منذ زواجها، أتذكر كيف كانت تحرك رأسها فى إعجاب، الأم الشابة الفخورة، وكانت تقف بخفة دم فى الشرفة الأمامية بين طالها القصير ذى اللون الجيري والصندل المكسيكى الحاد، هناك مسمى لهذا الحذاء الجلدى: يسمونه Huaraches، كانت أمى تحب أيام زواجهما الأولى، وبيتها فى

تورنتو الذى كان يشبه منازل العصر الإليزابيثى والحدائق مستطيلة الشكل، هى تحب هذا الوقت من حياتها قبل أن تصاب بالإحباط.

أحببت الورود بسبب أمى، فأشكالها تجتمع داخل حبوب صغيرة الحجم، صفيرة، لدرجة أن خمسين واحدة منها تملأ قعر كيس مسطح للبذور، إن هذه الورود لها دلالة إعجازية من البداية، فبقيع صفيرة من الأشياء المعتمة نهضها فى أيدينا، ثم نضعها فى تربة الورود، تبدأ فى النمو ثم تخرج بترتيب مدروس، ثم نأتى للجزء المثير للدهشة، وهذه الأوراق المفلقة والمضغوطة تبدأ فى البزوغ، ولكن لا يوجد من يقول لنا هذا، لا يهتم أى شخص أثناء تكون البذور: البراعم، الجذع الطويل وأخيراً الأزهار. أحب أن أقطع حرير البطلة بين أصابعى، وأن أفرك حبوب اللقاح بين يدى، وكانت أمى تقول "هذا ليس جيداً يا ريتا، لماذا تودين أن تجرحى وردة جميلة؟" لم أكن أصدق هذا، فهل تجرح هذه الزهور ولكن فى كل الأحوال لن أفعلها ثانية، فقد كنت الطفلة غير الكفاء التى تبحث عن لحظات الهدوء عندما كنت أجدد تأكيدات من الكبار أو أرتاح من حيرتى اللانهائية.

خدشت الدرابزين ذات مرة بملعقة، ودمعكته أمى بالزيادة وانمحى الخدش، لم تكن تعلم أنى من فعلت هذا، فطفلتها الصفيرة لن تفعل هذا أبداً، وانفجروا فى الضحك ذات مرة عندما قلت إن غطاء البيض مصنوع من البلاستيك، وعندما سألت أبي أيضاً إذا

كان يمكننا شراء بعض رفقات الثلج كى نعلقها فى السقف..،
فجيراننا عائلة مكандروز لديهم منها، أصابع طويلة منحوتة من
الجليد قضية اللون الذى يظل كما هو طوال الشتاء، ويقولون
ضاحكين «ريتا الصغيرة، عزيزتنا الصغيرة»، و كنت خائفة من الفرق
فى هذا الاستحسان، لم يكن هناك أى شيء ثابت اتشبث به، فقد
أفقد توازنى فى أية لحظة و وقتها لن أكون ريتا الصغيرة بعدها،
مثلى مثل نورا، لن أكون أى شيء..».

لم يكن لدى أشقاء، ولكننى لاحظت بعض الأطفال الصغار الذين
دخلوا بيتنا، وهم أولاد أصدقاء والدى، وها هم يرقدون، صغار
الحجم وفى مجموعات، ورائحتهم مثل اللبن التالف وموضوعون فى
بطانيات من الصوف، رأيت من البداية أنهم يمتلكون قدرًا متساويا
من الفضول مما قلل وبساطة من الفموض الذى يحيط بأسرتنا، لم
يكونوا قلقين من الهالة التى توجد حول رأس الطفل يسوع مثلما
كنت قلقة، مم كانت مصنوعة، ما الذى يجعلها تحوم فوق رأسه
وتدھب معه أينما ذهب، كانوا يضعون أيديهم الصغيرة على الوجه
البلاستيكى المضلع للراديو فى المطبخ ويضحكون على الاهتزازات
التي تتنج عنه، يمكننى رؤية أنهم قبلوا تدفقات كهربائية بسيطة لما
كانت عليه، فى حين أنه كان لدى معلومات متاحة: كنت أعرف أن
هناك القليل من الناس يعيشون داخل الراديو، المواطنين الملزمون
للقرية المصغرة التى تتشبث بجبل حاد ومظلم، لا أحد غيرى يعرف
هذا ولا يوجد من أثق به بالشكل الكافى كى أخبره.

لم يكن الإهمال هو ما أدى إلى حالة التجاهل التي انتابتني، فكان الكبار مشغولين بتقديم تفسيرات معقدة، في الواقع كان انشغال والدى هو ما يخيفنى جزئياً، والمسؤولية الجسيمة التى يتحملانها، فكان عملهما هو أن يبقونا أحياء، لم يشعرا يوماً أنى قلقة، لأنى يمكننى أن أراهم من خلال أنفى عندما أنظر لليسار أو اليمين، ما عدا الخطوط العريضة للجسد الواضحة، ولم يتوقف أحدهما للتعبير عن استغرابه من العالم الذى يعيشان فيه، وأنهما يمكن أن يكونا قد أغرقا بالمفاهيم القليلة التى اكتسبوها. أبي نحيل وله قدمان طويتان، وكان يتتجول فى الحديقة وتتراجع سيجارته فى يده ويميل كى يتحقق من القرزحية، كان أبي يمتلك يقظة البستانى، ولم يبد أنه تعجب من وجود هذه الزهرة الرائعة، والتى تفتحت رأسها أوانها لتبدو وكأنها ضوء تفتح، فكل جزء منها مصنوع سلفاً وموضوع فى مكانه باتفاقان، كان أبي يعمل تاجراً فى مكان لبيع الأثاث المصنوع من شجر الصنوبر الكندى، وكان يعمل أيضاً فى مجال الكتب كعمل جانبي، فكان يأخذ طبعات الكتب الحديثة ويحول صفحاتها وحوافها إلى صفحات قديمة كى يعطيها عبق ورائحة التاريخ.

كان القمر يتبعنى، عندما كنت أترنح وأنا فى السابعة من عمرى على الحشيش فى حديقتنا الخلفية، وكانت رأسى ترجع للخلف، وكأنى أشعر بدوار، كان بإمكانى وقتها أن أرى كيف يتحرك القمر

بشكل مفاجئ مع كل خطوة أخطوها، كان يصطحبنى كلما تقدمت تجاه السرير الفاوانيا، لماذا اختارنى القمر دونا عن العالم كله كى أكون رفيقته؟ ما يعنى هذا؟ هل يعنى تكريما أم مسئولية أم عتابا؟ أخبرت صديقتي شارلوت بشأن موضوع القمر، ولكنها أصرت أن القمر يتبعها، ولذلك ذهبتنا معا، وفي نهاية المر توقفنا عن المشي وسلك كل منا طريقا، وعرفت فورا أن القمر يتبع كل منا، غالبا ما تريحنى هذه الرؤية ولكنها لا تخلي من القليل من خيبة الأمل.

شارلوت هي ابنة أسرة دانمركية كندية والتي تدير مشروع ا عمليات الموقعة في شارع بلور، كان سرها الأكبر والذي تخبيه في قلبها هو اسم والدها الأول: أدولف، فهي تعرف الشر المرتبط بهذا الاسم، أدولف القاسي (لم يكن أى من هذا واضحا بالنسبة لي)، وكنا نناديه كريس كريستيانسن. وعدتها ألا أخبر أحدا باسمه الحقيقي، كان لشارلوت شعر أصفر اللون ومربع الشكل بشدة، كانت تنساع للأوامر ومحظوظة بشكل استثنائي، وأخبرني بعض الأطفال الآخرين، أن الأشخاص الطيبين يموتون في سن صغيرة، وكانوا يتعدثون عن شارلوت، وأن هذا سيكون قدرها، قال الأطفال هذه الكلمات بنبرة سلطوية ولا مبالاة، لدرجة أنى صدقتهم دون أى دليل عن جوهر شارلوت الطيب أو عن الموت المبكر الذي قد تتشرف به. إن الطيبة بداخل شارلوت وعقوبتها المفترضة دخلوا في

حيز الحيرة والتى كونت افتراضاتى، فما هى مشكلة الطيبة؟ من أين تأتى؟ ما زال الأمر يستحوذ عن تفكيرى.

منعنتى الحيرة من أن أنظر للخلف فى أيام طفولتى من خلال الانجراف للحنين، وقد ذكرت دانيال ويستerman شيئاً شبهاً بها فى الفقرة التى كتبتها بعنوان "عاطفية"، فهى الصوت الآخر فى رأسي ودائماً ما تكون موجودة، فهى مثل صدى الصوت وأحياناً تعزف منفردة فى تفكيرى، الذى يتمنى أن الدكتورة ويستerman المعروفة تقول - عودة لهذا الفهم مرة أخرى - أننا جميعاً نحارب كى نظل أقوىاء، ونحن نتصنع أننا نعرف كيف يعمل العالم؟ الحقيقة هى أننى لا أحتاج لمعرفة كل شيء، ولم ينطر منى أحدهم مثل هذا.

يبدو أن لدى القدرة على أن أسماح نفسي، وهذه إحدى الوسائل التى تسبب لى الراحة فى سن ٤٤، وهو أنه لا يوجد أى داعٍ للمعاناة من الخوف والتجاهل، لقد كنت أراقب بناتى وهن يكبرن و كنت أحاول أن ألاحظ علامات تشتبث مماثل، كما حدث معى وأأمل أن أتجاوز الأمر وأنقذهم بثقة وبعلم، وبالطبع فإن نوراً قد ضاعت بشكل مؤقت، لقد أصيّبت بنفس مرضى، ولكن حالتها أسوأ منى، لقد كانت تستمع بلهفة وجدية وباهتمام كبير، إلى أن جاء ما أذاها رغمما عنها وعلى حين غرة. أما بالنسبة لناتالى وكريس فيبدو أنهما بعيدتان تماماً وفي حالة من الهدوء على الرغم مما يحدث لأختهما، ولكنى لا أستبعد رغم ذلك أن تكونا تخدعانى.

كل

قالت لى ابنتى الوسطى كريستين فى الثانى عشر من أكتوبر "شكرا لأنك أنقذتني من أسودك" وهو يوم عيد ميلادها السابع عشر.

أسود؟ من أين أنت بكلمة مثل أسود؟ وقد قالت لى إنها من رواية "توم ولفز"، وهى تعنى الرحم للجنبين أو الرحم .

كانت تقف فى المطبخ وهى تتناول فطورها من بقايا البيتزا ثم تناولت كوبا من عصير التفاح.

قلت مرحبة "أهلا بك" وكى يستمر الحوار بينما على نفس المنوال، أضفت "لقد سعدت للغاية".

فقالت: "أنت لا تقصدين ذلك" كان لديها دقيقتان حتى ترتدى الجاكيت وتجرى حتى تلحق بأتوبيس المدرسة وقالت: "لا يمكن اعتبار الولادة من متع الحياة".

فقلت بلهجة حاسمة "حسنا، كيف تعرفين هذا يا كريس؟ كيف بالتحديد؟" ونظرت للساعة الموجودة فوق الموقف، ورأيتى هى وأنا أحدق في الساعة وشاهدتها وهي تنظر إلى، كان فمها به قطعة بيتسا نصف ممضوغة وكان تقضمها بأسنانها القوية، ولم يكن المنظر لطيفاً إطلاقاً، ولكنى أحب هذه الابنة المكتنزة قليلاً وأحاول يومياً أن أجعلها ودودة وقريبة منا.

فقالت باستحياء "لقد شاهد الفيديو الذى يتحدث عن الولادة فى المنزل وأنت كذلك وزوجك أيضاً".

عندما كانت تتحدث عن والدها مؤخراً لم تكن تشير إليه بكلمة "أبى" بل "زوجك" وفى بعض الأوقات تقول "الزوج السابق" وتقولها باستخدام لغة انجليزية فخمة ومبالغ فيها، وعندما تتحدث معه عنى تقول "زوجتك"، وقد قالت له الليلة الماضية وأنا أكل بقايا الكعكة "زوجتك تضعف أمام الشوكولاتة" " وعدتى زوجتك أن تنظر فى مقالتى فى الليلة الثانية عشرة" "تحتاج زوجتك إلى بعض الأحذية الجميلة بدلاً من تلك الأحذية البالية التى ترتديها منذ مائة عام" أتفهم أنا وتوم أن هذا التحول البلاغى فى الحديث قد يكون ساخراً، وأن أسماءنا العادية القديمة هى أمى وأبى، ولا يمكن أن يخرجنا منها دون حرج.

وقالت "أردت أنأشكرك"، قالت هذا وهى ترتدى الجاكيت وقفازها وكان تتحرك تجاه الباب "يا إلهى، عشرون ساعة من العمل

كى تخرجينى من رحمك" ونطقت كلمة رحم بطريقة مختلفة، وكان صوتها مضحكا.

"اثنتا عشرة ساعة"

"لقد نسيت"

"أليس من المفترض أن أتذكر؟ لكل الناس؟"

فقالت "لديك كتب تراجعين منها التاريخ، وتریدين إقناعى أنت وزوجك أننا كفتیات جئنا العالم دون أن نسبب إزعاجا كبيرا، لماذا تبتسمين هكذا"

"جملتك عن الازعاج جعلتني أفكر في جدتك، الجدة وينترز، أنت تعرفين كيف كانت ترید أن تخلى العالم من الضجيج"

"ولكنها كانت ترغب فيها في نفس الوقت، أليس كذلك؟"

ولكنها كانت خارج المنزل هذه المرة وتنزل الدرج وقالت بعد ذلك "شكرا على أية حال"

لقد قالت شakra مرتين في يوم واحد، وفي هذا الصبح فقط اصطدمت بناatali ابنتا الصغيرة وهي على مقربة من باب الحمام ونطقت الكلمات الآتية "أشكرك لأنك لم تسمى أوفيليا"

"أوفيليا"

"لدينا هذه الفتاة الجديدة في المدرسة، جاءت من بريسكوت"

"واسمها

"أوفيليا"

قلت وأنا أبحث عن الكلمات المناسبة "هذا هو، وهو غريب كى يكون اسمًا"

"اسم غريب"

"ربما ليس الاسم الذى قد يختاره أى شخص، أظن أنهم يرونـه موسيقى، أقصد الأبوين" لماذا أضطر لاستخدام الدبلوماسية حتى فى أدق التفاصيل.

"الكثير من الأطفال لا يعرفون، لا يربطون الأمور ببعضها جيدا، حتى إننا لا ندرس هامـلت حتى العام القادم"
"لا أتذكر أنى قابلـت شخصا يدعى ..."

"أوفيليا؟ طلب منى السيد فوسديك أن أرعاها لمدة يوم أو يومين، وأن آخذـها فى جولة بالمدرسة كـى تتعرف علىـها، هل يمكنـك أن تصوـرـيها؟ أحبـ أن أقابلـ أوفيلـيا، وحاـولـ أن تـبـقـى وجهـكـ غير مـتجـهمـ".

ابتسمـت لنـاتـاليـ التي تـبلغـ الخامـسـةـ عـشـرـةـ منـ عمرـهاـ، فـكـانـتـ إـحدـىـ عـيـنـىـ تـنـظـرـ لـرـقةـ فـكـهاـ وـأـنـاـ مـعـجـبـةـ بـشـكـلـهـ، وـالـعـيـنـ الـآخـرـىـ تـنـظـرـ بـقـلـقـ، وـهـىـ عـيـنـ الـأـمـ، هـلـ هـىـ نـجـيـفـةـ لـلـغـاـيـةـ؟ـ ماـ هـوـ نـوعـ الـعـرـفـةـ إـلـىـ تـنـفـجـرـ دـاخـلـ خـلـاـيـاـ جـسـدـهـاـ الـبـرـئـ؟ـ

"ولكن أعتقد رغم ذلك أنك تحبين أو فيلياً"

"أحبها؟ أعتقد ذلك"

"هل تزیدین دعوتها لتناول العشاء معنا بالمنزل؟ ليس اليوم، ولكن يمكن أن ندعوها غداً."

"أعتقد ذلك، سوف أسألها"

"حسناً"

"هل تذکرین نیستیاً من السنة الرابعة؟ اسمها غريب أيضاً، نیستیا. لكننا كنا صغاراً للغاية، وكنا في عمر التاسعة، ولم نفكّر أبداً في أن اسم نیستیا غريب، ولم نثر غضبها أو نغيظها بسبب اسمها أبداً".

انتظرت وهلة قبل أن أجيب، فناتالي من بين أطفالى الثلاث هى أكثرهن سهولة في الإقناع، ودائماً ما تريد إيجاد سبب للاستياء، وفي النهاية قلت لها "أعتقد أنها تعلمنا العيش مع أسمائنا".

والآن جاء دورها كى تصمت قليلاً، ثم قالت بنفس التأثير الذي بدأت به "فأنت لم تمانع أن يكون اسمك ريتا، أقصد أن أباك وأمك فعلًا هذا وأنت كنت طفلة وقتها، أقصد أن جدّي وجدّتي أسمياك ريتا".

"كان يمكن أن يكون الأمر أسوأ"

"كان يمكنهما على الأقل أن ينطقاه بشكل صحيح
"لقد أحبنا نطقه هكذا"

"وأسماينا كلبنا بيت، وهو ليس اسمًا معتمدا لدينا"
"تورا هي من"

"كان عمرها ١٢ عاما، أتذكر ذلك جيدا وكانت تريد حيوانا
أليفا"

"لقد أسميناها حيوانا أليفا لعدة أيام، ثم أسميناها بيت واعتدى
على ذلك بعدها، إنه اسم عام للغاية، بدلاً من أن نسميها اسم آخر"
نظرت إلى باحتراف وظننت أنها ستقول "سمعت هذه القصة
ملايين المرات" ولكنها تراجعت وابتسمت ابتسامة خفيفة، كانت هي
وكريس لا يريدان أى حزن، ولا حتى أى قلق ولو بسيط في عائلتنا
الضعيفة.

حسنا سأقول لأوفيليا أن تأتى مساء الغد، ولن تنفجرى ضاحكة
"عندما أقدمها؟"
"أعدك بذلك".

"حسنا"
عندما تعيid ناتالى النظر لحياتها عندما تبلغ الخمسين من
عمرها، فى مرحلة ما بعد انقطاع الطمث ستكون حادة وعنيفة،
وتلعب الجولف وتعمل فى صفقات العقارات أو عندما تصبح فى

الثمانين من عمرها وعظامها متهاكلة وتجلس على كرسى متحرك، أيا كان ما ستكونه فلن تذكر أبدا هذا التبادل بينما خارج الحمام، وحرجها تجاه فتاة ذات اسم غريب، ومحاولتها لأن تتحدى وأننا أمها حول اسمى وما يعنيه اسمى لى. إن حياتها تسير تصاعدياً إلى الخارج وكذلك حياة كريس، إنهم لا يدركان ذلك ولكنهم فى وسط مرحلة الطفولة التى يريدان أن يتذكراها ولديهما استعداد أن يعيشها كما ينبغي علينا أن نفعل، دون أمهاتنا. إن ثلاثة أرباع وزنهم يتمثل فى ذاكرتهم فى هذه اللحظة، ليس لدى أدنى فكرة عما سيتجاهله أو ما سيقرران أن يحتفظا به أو يجملاه، ولست متأكدة على قدرتهم على اتخاذ قرارات دائمة.

تحاول كل من ناتالى وكريس بقوة أن تبقى البيت فى حالة من الحياة، وهو ما آلمنى بشدة حتى فى تصرفاتهما ومحاولتهما أن يجذبا انتباھي أنا وتوم، كى يؤكدا لنا أنهما هنا، يريدان أن تكونا فتاتين منظمتين وأن تقوما بواجباتهما كفتاتين من عمل واجب المدرسة والأصدقاء، وعشاء العائلة وتدريب كرة السلة وفريق السباحة. لماذا يكون من المطمئن أن يكون لديك أطفال فى فريق السباحة بالمدرسة، لأن رؤية هذه الجلود الرطبة وهى ترتجف على طرف حمام السباحة ورائحة الكلور فى شعورهم يجتمع مع العدوى الذى تتال منهم.

ما تركته الفتاتان هي الكرة الطائرة التى كانتا تمارسانها فى مدرسة أورانج تاون الثانوية صباح السبت.

وبدلاً من ذلك كان توم يأخذ كريس وناتالي صباح السبت لأورانج تاون قبل الفجر، ومن هناك يستقلون الحافلة لتورنتو وينزلون في محطة الحافلات القديمة بوسط المدينة، ومن هناك يسيرون مسافة مبني حتى يركبوا مترو الأنفاق إلى بلور وباثورست ويقضون اليوم مع نورا على الرصيف في تورنتو بوسط المدينة ثم يعودون لأورانج تاون في آخر اليوم، وبدأوا في فعل هذا عندما اكتشفنا أول مرة مكان نورا.

ذهبتا المرة الأولى دون أن تخبرانا، وخفنا ألا تعودا ولن نهتم أنهمما في فترة المراهقة، وصممنا على أن تعطيانا شرحاً لما حدث وكانتا محرجتين للغاية وقالت كريس بتrepid "لقد فكرنا فقط في أن نراها".

أخذتا معهما حصيراً كى يجلسا عليه وبطانيات حيث إن الطقس الآن متقلب، وأخذتا معهما ساندوتشات وزجاجات مياه وترمس شاي وكومة من المجالات والكتب والمناديل وسدادات قطنية، لقد فكرتا في كل شيء وأخذتا الجوارب والملابس الداخلية والسترات من درج نورا، حاولتا أن تأخذا بيت بكل الطرق ولكن لم يكن مسموها للحيوانات أن تستقل الشاحنات، وعرفتا أن مجرد النظر لبيت كفيل بأن تعودا للمنزل، لعابه ونفسه وحركة ذيله، ترددت أنا وتوم، ولم نكن نريد أن نضغط عليهم أو نبتزهما.

لم أكن أنا وتوم على دراية كاملة بما تفعلانه طوال هذه الساعات في بلور وباثورست، لم يكن لدينا إلا مؤشرات فقط.

قالت ناتالى "لقد تمشينا"

وقالت كريس "لقد كنا مثل الزائرين"

أمسكت لسانى، لأن الكثير من الأسئلة قد تفسد الأمور غير المستحبة.

لدى السلبية قدرة على إثارة العنف، وهذا أكثر ما يقلقنى وهو أن نورا لن تكون قادرة على الدفاع عن نفسها، وأنا مخدوعة بشكل كافٍ أصدق أن رحلة كريس وناتالى يوم السبت كفيلة بحمايتها على الرغم من المخاطرة بسلامتهما، جاريت البنتين بشأن زيارة يوم السبت ولوحت لهما وودعهما، ظنا مني أن هذا الروتين الجديد قد ينجح، حاولت فعلياً أن أنقذ جزءاً مما فقد.

في الزيارة الأولى احتضنها بشدة وبكين جميعاً، وقالت كريس أن نورا تبسم لها وجلست وابتسمت ابتسامة مريعة وقالت إنها سعيدة برؤيتها.

قالت ناتالى إن راحتها كانت كريهة، وأنهن يستحممن في كرونك سيتي في النزل، وأتمنى أن تتذكر كيف تستحم".

وقالت كريس أن راحتها ليست كريهة وأكدت لي أن هذه مجرد رائحة الشارع.

قالت ناتالى "لم تتكلم معنا فعليا"
"فى البداية جلسنا بعيدا عنها بمسافة عشرة أقدام، لم نكن
نريد إغضابها"

"وكأنها لم تكن مستعدة"

"والآن جلسنا بالقرب منها، تجلس ناتالى على جانب وأنا على
الجانب الآخر"

"لم تكن تمانع، كانت تتبسم فقط وكانت الناس تعطيها أموالا"
"وفي أوقات لم يكونوا يعطونها"

"إنها تحصل على أموال أكثر من أي شخص آخر فى هذا الركن
وهناك حوالى أربعة أشخاص آخرين، يبدو أن المارة يحبونها"

"لم يعطنا أي شخص أموالا لأننا لم نكن نحمل لوحة أو علامة"
"هناك رجل أعطانى دولارا، أسقطه فى حجرى ولكنه كان
غريبا"

"كان الأمر مملا للغاية ولكن يبدو أنها اعتادت عليه"
"وكأنها فى حالة سبات، كل شيء فيها يتباطأ"
"إنها لا تفعل شيء إلا الجلوس، فعلا هى تقرأ شيئا ولا حتى
تشاهد شيئا"

"أخذنا لها فرشاة أسنان في حالة لم يكن لديها واحدة"
"ومعطفا قدما وضعناء بجوارها قبل أن نتركها"
"وضعناء في حقيبة بلاستيكية"
"قلنا إننا سنعود في الأسبوع القادم، وكان هذا آخر ما قلناه لها"
"لم نحتضنها، وكأنها لم تكن تريد ذلك"
"ولكن بدأ أنها لم تهتم بنا على الإطلاق، وكأنها تفكر أن من
حقنا أن تكون معها إذا ما أردنا ذلك".

إن ناتالي لا تنام جيدا، وكريس غير جيدة في الرياضيات، ولكن
لن تعرف أى منها بشيء، فهما تريدان أن تصدقان، وأن نصدق أنهم
لم يحدث أى شيء إضافي عن القصة التي روياها، فهما متآمرين
في هذا الأمر.

لم تكن قصص الطفولة تهم نورا مثلما تهم كريس وناتالي
وكذلك بالنسبة للشخصية المزدوجة المنبثقة من خيالى وهى أليسيا،
ويبدو أن نورا علقت في آخر أيام الطفولة التي لم تكن تتحمل فيها
أى مسئولية، حيث إنها اكتوت بنار الظلم وهى في سن التاسعة
عشرة، بينما هناك شيء عنيف يتردد في عقلها، إنه مثل الورم
الحميد العدواني بعض الشيء. إن مخالبها توغلت في جميع أنحاء
ذكريتها، حدث هذا الفزو سريعا بينما لم يكن هناك من يهتم بها.

بخصوص

٢٠٠٠ أكتوبر

عزيزي ألكسندر فالنر

بدأتأشعر بالقنوط فى الأشهر الأخيرة (توعك بشكل عام وقلق
حيال بناتى المراهقات وما إلى ذلك) وكان من المريح أن أقرأ مقالك،
وهو رائع للغاية والذى كان فى العدد الأخير لمجلة Comment،
وكان بعنوان "تاريخ القواميس"، بدت المواد استثنائية وجديدة وتمت
صياغتها دون أي إثقال على القارئ، فأنا أيضاً أعشق الكلمات
وأقضى يومى بحثاً عن المترادفات، فالتحويل الخاص كان طريقتك
التي قفزت بها صعوداً وهبوطاً من على منصة المحاضرة، فكنت
تتحدثين في بعض الأوقات بطريقة المؤرخين المثيرة للاهتمام، وفي
بعض الأحيان كنت تهمسين مثل الرجل ذى اللحية المجندة الذى
يجلس في مكتبة عامة ويحاول أن يكتب روايات وفي يده قاموس

المترادفات. وقد انتقلت من الحميمية إلى الرقى ذهابا وإيابا، وكذلك بندول إيقاع رائع متحكم في سرعته. أحببت الطريقة التي بنى موضوعك نفسه عليها بعنابة، والطريقة التي قلته بها وسهولة فهمه، وأخيرا الميل للأعتراف، وأدركت أيضا وبشكل جيد اللحظة التي رغبت فيها من الاقتراب من بعض كتابنا العظام لترى إذا ما كانوا منغمسيين في الأمر أم لا، وإذا ما كانوا يحتفظون بقاموس للمترادفات في أدراج مكاتبهم أو ما يعادل ميكي جن. جون آبديك وساول بيلو وريتشارد فورد وتوم وولف وأنتونين لان، هذه بعض الأسماء التي اقترحتها، ألن نتساءل إذا ما كان كل هذا العدد يستخدم القاموس أم لا تخيلي فقط تزاحمهم المخجل كى يخفوا المجلد عن الأنظار، ومن أيضا؟ - كالفين تريلين وويليام إف باكل رووبرت لويل وأنطونى بورجيس وجولييان برانس.

هذه مجرد قائمة، وهناك قائمة عليا وقائمة سفلی وأنا أعرف أنك ستتفقيني في هذا، وأنا واثقة أنك قد أدركت أثناء قراءتك لإثباتاتك أنك تجاهلت ذكر دانيال ويسترمان أو جويس كارول أو أليس مونرو، ولكن ربما كان الوقت قد مضى حينها، وأنا متأكدة أنك شعرت بدغدغة في الرأس، وأن هناك شكلا صغيرا يشير بإصبعه إليك ويقول: يوجد هنا شيء مفقود سيد فالنر، ربما تكون قد أسقطت اسم سيلفيا بلايث؟ كانت معروفة بأنها تستخدم قاموس المترادفات في صياغة شعرها، وهو أمر صادم عندما تفكرين فيه. لا

تتخيل أن الشعراء يقفزون من أماكنهم ويطلبون نصيحة آلة ميكانيكية، وهو قاموس المترافقات.

ربما كنت مرهقاً وأنت تبحث عن الأسماء الأدبية الكبيرة، وربما تكون محاولة إخراج الأرقام نفسها صعبة المنال، أو واضحة للغاية في صحتها، ولكن هل لاحظت شيئاً أكثر أهمية وهو أنك لم تذكر أى امرأة إطلاقاً في مقالك الطويل بأكمله (١٦ صفحة بعمودين) ولا في أى سياق ولو حتى لمرة واحدة فقط؟ وكأن هؤلاء الرجال العظام أتوا إلى الدنيا من تلقاء أنفسهم. من المرهق أن تعدد كل هذه الأسماء، ولكن نبرة صوتك وعرضك للموضوع (تعليق) بهما نوع من التسلط، وأنت تعرف جيداً أن المرأة التي تقع تحت تأثيرك ولو بالصدفة يكون مقدراً لها أن تخدم شخصاً متمراً في تحقيير الذات.

سيفسر هذا يأسى ولماذا أتحدث معك عن مشاعرى، فأنا امرأة تبلغ من العمر أربعة وأربعين عاماً، وكانت تحت تأثير أن المجتمع يتقدم، وأنه من يحمل ذاكرة الإيمان بشكلها الكامل. والآن وبشكل مفاجئ أرى الأمر من وجهة نظر فتاة في التاسعة عشرة من عمرها، تحاول جمِيعاً أن نفهم ما خطب نوراً، فهي لن تعمل بوظيفة ثابتة وخرجت من الجامعة وتركَت منحتها الدراسية وتجلس على الرصيف وتشحذ من الناس، كانت من عشاق القراءة ولكنها تركت القراءة ومؤمنة أنها تفعل ما تفعله الآن تحت اسم الخير، وهي لا

تهتم إطلاقا بالطوائف، ولا بالمعتقدات التي تخص الطوائف، أو حتى بتلك الطبيعة الخاصة بالانتماء للطائفة أو القبيلة بشكل خاص، وهي مشغولة للغاية بمشروعها الخاص بانقراض النفس، وهذا يحدث ببطء شديد وبأسى. ولكن بدأ مؤخراً أتفهم الموقف. تقرّض ابنتي كريستين أسنانها بالليل وهذا علامة على التوتر، وناتالي تعصّب بعض أظافرها، إن المرأة تجبر على أن تشتكى وبعدها تحتاج للراحة، ما تريده نورا هو أن تنتهي للعالم أجمع، أو أن تتمكن من تذوق طعم العالم في فمها ولو لدقيقة، ولكنها لا تتمكن من هذا ولذلك لن تقوم به.

عزيزيك

ريناتا وينترز

أورنجري، مدينة وويشود

لذلك

تعيش ابنتى كالمتشردين فى شوارع تورنتو، ورغم ذلك على أن
أمتلك أربعة ياردات من نشارة اللحام كى أنشرها فى المنزل هذا
الصباح، وتتكلفتها ١٤١,٩١ دولارا متضمنة الشحن. قمت بعمل
إزالة للحشائش فى الحديقة وسننشر الآن هذه النشارة بين
الشجيرات والنباتات المعمرة وسنضعها بالتساوى قدر المستطاع
وسنشم الروائح غير الطبيعية الضعيفة والتى وضعت فى منتصف
الطريق بين العفن والنضارة، وبحلول الربيع ستسلك طريقها داخل
التربة، وبعدها تتحول جميعها إلى غبار ناعم.

استحضر فى ذهنى مجموعة كبيرة من الاستعارات ستفلق
رأسى لنصفين، ولذلك تخلصت منها بطريقتى المعتادة، يجب أن
أفكر فى شى آخر وأن أفعل شيئا آخر وعلى الفور. كتبت شيئا
لصدى توصيل الطلبات وكان وجهه جميلا ولديه أسنان مستوية،
لقد كنت مشغولة للغاية كى أنتبه للتقويم مؤخرا، وكان على أن
اطلب منه أن يذكرنى بالتاريخ.

فقال "إنه عيد مولدى وأتممت عامى الثامن والعشرون"

فقلت "هذه سن جيدة"، لم أجد غير هذا لأقوله.

فقال متفقا معى "أعتقد ذلك وأتمنى أن يثبتونى فى عملى" وأشار على شاحنته وأكمل قائلا: "وقتها يمكننى أن استقيل من عملى المسائى فى توصيل البريد الوطنى، مما سيجعل من السهل على أن أرى صديقنى والتى تقطن عند بحيرة "إن ليت" ويمكنا بعدها التفكير فى الزواج وتكوين عائلة"

يمكننى أن أرى أنه يمكن أن يقول لى كل شيء إذا ما أومأت أو ابتسمت، كل فكرة صغيرة يمكن أن تقفز إلى رأسه وتجعله حيا، ما تلك القوة التى أمتلكها للسيطرة عليه، يمكننى أن أجعله يعمل أو يتوقف عن العمل مثل الراديو، شعرت بالعار لبعض الوقت، وقف ووضع يديه على صدره، وبدا وكأنه يفكر فى حياته وأهمية يومه بشكل شخصى للغاية وكيف أنه تمنى الكثير، ولم يكن هذا الكثير غير أشياء قليلة للغاية، لملاحظ أن هناك شيئا ما بقدمه إلا وهو فى طريق عودته للشاحنة فكانت تلتوى للداخل وكانت الركبة تتحرك بشكل غريب وينتزع عن ذلك ارتداد بدلًا من السير بسلامة. "بعدها وجدته ينادى على بصوته السعيد وقال "تمتعى بيومك أيضا"

وضعت أنا وتوم السماد في آخر النهار، كان شكله النظيف ممتعاً، ولكننا قمنا بالعمل في الأرض جيداً، وبعدها توقفنا ولاحظنا صراع الظلام والنهار على الأوراق القليلة الباقية، ثم ذهبنا سوياً إلى المطبخ الدافئ والمنظم والذي يبدو وكأنه توبيخ نوعاً ما. لقد فشلنا في جهودنا كى نعيش سعداء، لم نهتم أبداً بالترتيبات الدقيقة، وكدنا ننهزم، بالرغم من رائحة الطماطم المشوية للازانيا الآتية من الفرن. كانت كريس تلعب باليانو في غرفة المعيشة وتعزف لموزارت، وقد تهت للحظة في التكرار العميق للموسيقى، كانت ناتالى ممددة على الأرض أمام التلفاز وهي ترتدى الجينز، أما توم فجلس على الكرسى بجوارها، وبينما يتطلع بالعمل كمسند للقدم فبدأ وكأنه يريد أن يقول: أليس هذا بالنعيم! لماذا لا يكون الأمر كذلك طوال الوقت؟ كنا نشاهد أخبار الساعة السادسة ولكن ليس بلهفة وحرص ولكن باهتمام كافاً، كانوا لطافاً ومتربحين قليلاً. نظرت ناتالى في الشاشة وتساءلت أين ذهبت كل هذه الأزهار؟ بينما كان توم يسجل ما يذاع، فقد تم عقد انتخابات فيدرالية بعد إصرار من رئيس الوزراء، وكانت أخبار الانتخابات الضئيلة هذه لا تساوى شيئاً كما هو متوقع بجانب ضخامة خبر رقص جورج بوش في الولايات المتحدة، فقالت ناتالى بكسيل وهي على الأرض "لم أعد أحبه"، وكانت تقصد جين شيريتين، وتحديث بقسوة والتي بدت

غريبة وقالت عنه "مغورو"، بينما كانت كريس فى الغرفة المجاورة تبدأ مقطوعة جديدة لموزارت، وهى تعرف جيداً أنى قد أناديها فى أى دقيقة لتجلس معنا على طاولة الطعام، كانت تريد إعلامى أنها تحضر جيداً لدرسها فى الفد، تحققت من الفرن ووضعت الطاولة.

وفى السابعة ذهبت للفرن ونزلت الفوبل من اللازانيا، وبعدها أغلقت ستائر المطبخ الحمراء وهى علامتى لحماتى فى الباب المجاور كى تضع معطفها وتسير فوق التل ومن خلال أوراق العشب كى تتناول الغداء، فهى تتناول وجبتها المسائية معنا، وقد استخدمنا علامة الستارة لما يقرب من عشرين عاماً، ستشاهدنا من غرفتها المظلمة وهى تنتظر بشفف وأنفها عليها مسحوق بالفعل، وتضع أحمر الشفاه ومثانتها فارغة ومفاتيح منزلها فى جيبها، وسيستفرق الأمر منها أربع دقائق كى تسافر المائة ياردة حتى بابنا الخلفى والذى أتركه مفتوحاً، لماذا امتلك ستائر حمراء فى مطبخى؟ لأن سيمون دى بوفوار تحب الستائر الحمراء ولأن دانيال ويسترمان تحب الستائر الحمراء بسبب احترامها بوفوار، وأنا أحبها بسبب دانيال، فهم يعملون كعلامة على أنك فى المنزل وعلامة على الراحة والهدوء والرفقة والطعام والشراب والعائلة.

وضعت اللازانيا الساخنة على الطاولة مع السلطة الخضراء فى الطبق الماهوجنى القديم الخاص بوالدى الذى أتاهها من البرازيل، وفي هذا الوقت حضرت هى وأبى مؤتمراً فى ساو باولو، متى كان

ذلك؟ في بداية السبعينيات عندما كنت صغيرة، تركاني وحدى مع العمة جودى. ناديت عليهم "العشاء"، ثم ناديت بصوت أعلى "العشاء"!.

إنهم مدربون جيدا. تلاشى موزارت مرة واحدة مع سقوط لوحة المفاتيح، جاءت الجدة وينترز من خلال الباب وهى تحمل التفاح كتحلية، علقت معطفها جيدا وتنهدت، وكالعادة فى الآونة الأخيرة لم تقل كلمة تحية واحدة. أغلق التلفاز وجلسنا جميعا معا، كريس مع قبعة بيسبول إلى الوراء كما لو أنها كانت عازمة على أن توصل جدتها للجنة.

كنا في خضم حب هذه الأسرة، وتنفست هذا الحب بامتنان، على الرغم من خليط الفوضى والاضطراب، وفي هذه الليلة الخريفية أضأت الشموع في غرفة الطعام، وكنا نجلس كما لو كنا عائلة عادية، كما لو كان كوكينا الصغير في مساره الطبيعي، وكأن الموسم ستستمر، وسينتقل الخريف إلى الشتاء وكأنه يضع في الخارج سماذا جديدا للحدائق، مثل معطف من الصوف يحمى ويدهن الأرض. ومن المتوقع أن تساقط الثلوج على الرغم من أننا في أكتوبر.

دائما ما تتحمل ناتالى المسؤلية عن الصمت وقت العشاء على الرغم من أنها الأصغر، كانوا يتجادلون أطراف الحديث حول مدرس التاريخ الخاص بها، وهو السيد جالفين الذى أعلن في

الفصل اليوم أنه شاذ. وقالت إنها مفاجأة كبيرة، كما لو لم يكن لدينا ما نعانيه. فقالت كريس آه هو، وقالت الجدة وينترز كنا نعرف أنه شاذ قبل عامين، ثم سحبت اللازانيا الخاصة بها، وأخذت الطعام بسلامة تجاه فمها مباشرة، إنها فخورة بشهيتها ولكنها لن تتقول ذلك. ماذا أكلت اليوم؟ عيش محمص وقهوة للإفطار وشاي على الغداء، فلا عجب أن شهيتها مفتوحة في آخر اليوم، وأخيرا خدم توم نفسه بنفسه وكانت يداه ترتعشان، متى بدأ ذلك؟ أشكر الله على كريس وناتالي على ثرثرتهما الفارغة حول المدرسة الثانوية، ورغبتهم الساذجة في الاندفاع للأمام والتغلب والتوسيع في تفاصيل صفيحة يومية. السيد جالفين الذي شوهد في تورونتو في بار لمثلي الجنس في عطلة نهاية الأسبوع، وهو يمسك يد رجل آخر ويقبله على شفتيه، وقالت كريس لا، ليس على الشفاه». لقد توترتا بعض الشيء بسبب الرغبة في تعويض غياب نورا، فيحاولان الثرثرة ولكن دون انعكاس تذمر نورا أو وقفاتها المحكومة في الكلام عندما يتم سؤالها. قلت لهما مذكرة إياهما «لا تسيبا السلطة» وفي الحقيقة كان هذا إسهامي الحقيقي الوحيد في المحادثة على العشاء، وجزءا لا يتجزأ من رد فعل بصفتي أم، مقدمة التقديمة، ومن أقوم بوزن وجبات الطعام.

كنت أفكر في أليسيا، في روایتی والتي اتبعت نظاما غذائيا خاليا من الكربوهيدرات حتى تناسب فستان الزفاف مقاس ٨ والذي طلبته خصيصا، يا لها من امرأة تافهة. ماذا يرى رومان فيها

حقاً؟ هذا الغرور القاتل مثل عدم وجود معاناة - إما هذا أو أن المعاناة لم تصل إليها بدرجة كافية. كان لديها انسداد في النخاع، ولم يصل أبداً من لحمها إلى جذع الدماغ.

وفجأة أصبح واضحاً لي أنه يجب تأجيل زواج أليسي娅 ورومان، والآن يمكنني أن أفهم إلى أين تتجه الرواية، لم يكن مخططاً لها أن تكون شريكة، فكونها وحدها في العالم هو الجنون بالنسبة لها، لقد ظل الأمر لفترة طويلة، واقتربت من التضحية به، أو بالأحرى، أنا كروائية كنت على وشك أن أنتزعه بعيداً عنها، لابد من تنبيه المدعين في حفل زفاف، وإعادة الهدايا، جميعهم، أليسي娅 ورومان وأسرهم وأصدقاؤهم، هذا غباء.. غباء. وكى تتوج الرواية لا بد من إعادة صياغتها، ستتقدم أليسي娅 في فهمها لنفسها، وستتمدد الصفحات سأبدأ في الغد، شعرت بالنبض في حلقي.. غداً.

رن الهاتف في هذه اللحظة، وكانت المكالمة من نيويورك وكان الخبر أن محرر السيد سكريبانو قد توفي بعد الظهر.

التالى

توفى السيد العزيز Scribano فى المستشفى بعد سقوطه من على الدرج فى اليوم السابق. وستعقد جنازة خاصة صفيرة خلال ثلاثة أيام، وستكون هناك تعازى خاصة فى New York Times Book Review. اتصل بي شخص ما من الجريدة فى المنزل فى أورانج تاون وسألنى كيف عرفته كمحرر؟

لم أكن فى أفضل أحوالى ولبقة، وشرحت قائلة: السيد سكريبانو كان محرراً لـ *لادانيال*، ودانيال عرفتني عليه فى روايتي الأولى وكان هذا من حسن حظى، سمح لى هذا بالمرور فى طريق مختصر، ونشر روايتي الأولى فى الأربعينات من عمري. كيف وجدته كى أعمل معه؟ التقينا مرتين فقط وتحدثنا على الهاتف ربما عشرات المرات، كنا نتقابل بالصدفة وبشكل متقطع ووافقت عقداً فى وجوده وفي مكتبه الكبير، قليل الأثاث والشرق، فى الطابق ٦٢ فى وسط مانهاتن. اعتذر السيد سكريبانو عن عدم دعوتى لتناول

الغداء، وهو أمر متوقع أن يفعله الناشرون، لكنه كان معتاداً على تناول شطيرة ترسل إليه من الطابق الأرضي في الثانية عشرة تماماً. إنه وقت الظهر الآن. هل ستتاسبني شطيرة يومية؟ قلت إنها تناسبني، وخلال دقائق قليلة كنا نستمتع بأكل الخبز من حبوب الجادوار والجبنة، والخس. كان يأكل بكمامة، وكان حريصاً على ألا يتقطط الفتايات بشاربه، وكان يرتفع الشاي الساخن بتأنٍ. كانت ضحكته قصيرة وعميقة وغير مصنوعة، واستطاعت أن أرى أنه قد يكون جذاباً للنساء، جلست على كرسى صغير وجلس هو على آخر كبير.

بعد ذلك بكثير، أثار موضوع كتابة الرواية الثانية، وهي تتمة، على الرغم من أننى أتذكر أنه لم يستخدم هذه الكلمة، والآن أرى فجأة أنه ميت. سمعت نفسى أقول فى الهاتف "أنا معجبة به كثيراً، وقلت بعدها دون فهم "ليس لدى أى فكرة".

توم يقول إن الناس الذين يقعون من على الدرج لا يموتون عادة، وتحدث لهم كدمات وقد يكسرون أذرعهم أو أرجلهم، تحدث الوفاة فقط إذا ارتطمت الرأس بجسم صلب بقوة معينة أو زاوية معينة، وكنت أفكر طوال اليوم فى كيف أنه قد يكون على قيد الحياة فى هذه اللحظة إلا إذا، إلا إذا لم يكن قد انزلق دون أن يساعدته أحد، لو لم يكن قد أصر على الدرج العارية غير المفروشة، إذا لم تكن رأسه قد ارتطمت بالجزء الكبير من الجرانيت التى احتفظ بها

للهبوط، وهو هدية تذكارية من جولة محاضرات في إيطاليا في الخمسينيات.

وقالت سكريترته أدريانى أنه توفى في غضون ساعات من دون معاناة، فقد اتصلت هاتفياً لتقديم تقرير كامل، وكانت هذه المعلومات لي فقط باعتباري واحدة من الروائيين الذين في خطته للنشر. قالت إن كل كتاب سكريبانو ولورانس سيتم الاتصال بهم وإعلامهم بالوفاة تماماً كما تمنى السيد سكريبانو. وقالت أدريان إن جميع المتغيرات كانت في مكانها: الارتباك على درج مظلم وسقوط بتهور والسلاح حجري الذي في انتظاره. كان على الأرجح في طرقه للمطبخ لعمل الشاي، بعض الأعشاب لمساعدته على النوم.

لم أكن أعرف أنه انزعج، وأنه عاش وحيداً، وأنه حاضر في إيطاليا، وأن لديه مشاكل كامنة، لم أكن حتى أعرف سنه، ولكن قيل لي ورأته في وقت لاحق في نعيه، كان في سن السابعة والسبعين. لا ينبغي أن يكون خبر له نفس تأثير الصدمة التي حدثت لي. بدا لي عندما وصلني الخبر أننى لن أكمل روايتى، وأن السيد سكريبانو هو من بدأ المشروع وهو من أبقياه على قيد الحياة. (كنت أعرف أنه لم يكن هناك السيد لورانس، وأنه مات منذ عقود، وأن اسمه بقى فقط من أجل الشكل العام الجيد ونطق الكلمة).

كانت أنباء السيد سكريبيانو سيئة التأثير على دانيال ويسترمان والتى كانت تعرفه لأكثر من أربعين عاما، وهى من قادتني إلى الاعتقاد بأنه لم يكن فقط محررها لفترة وجيزة فى مطلع السنتين بل وحبيبها. كانت تتداديه باسمه الأول، أندرياس، استقبلت الخبر بقسوة، مات الكثير من أصدقائها الجيدين فى العام أو العامين الماضيين وأخبرتني على الهاتف أن موت المحرر يجعلنا نفهم ماهية البراعة فى الكتابة. وأضافت "بدون المحررين فإن الكتاب لا شيء سوى صانعى أخرام للأحزن".

لم أكن أتفق مع هذه الفكرة، وليس للحظة واحدة ولكن لم تكن لدى طاقة على المشاجرة. إذا كانت الحقيقة معروفة، فإن القلق على نورا أخذ الكثير من اهتمامي، وكان من الصعب أن نشعر بحزن حقيقي على وفاة رجل فى عمر الـ 77 عاما مات بسبب الإهمال. كان حزنى على سكريبيانو قصير المدى، حدادا متواضعا، وكان الأمر قد انتهى بالنسبة لى فى غضون أيام، أرسلت الزهور للمشاركة فى الجنازة التى عقدت فى كاتدرائية سانت باتريك وهو ما أدهشنى، وكتبت مذكرة الى السكرتيرة ولم يكن لديه عائلة وبعدها نسيت كل شيء عنه، وأبعدته عن ذهنى. كان لدى الكثير من التركيز فقط للحزن.

بدت الحيرة على دانيال بسبب هذا التسلسل الهرمى من القلق أو ما اعتبرته هي صلابة قلب. "مثل هذه الحياة الكبرى، مثل هذا

الوجود، مثل هذه المساهمة الكبيرة، سيكون من المستحيل استبدال مثل هذا الشخص بأخر".

نعم، لقد قلت، ولكن كانت لديه حياة طويلة. ما قصدته هو أنه لديه أكثر مما ستحصل عليه نورا.

أكره هذا الوقت من السنة في مطلع نوفمبر، الصباح المظلم والمصابيح المكسورة على الطريق، وقصبة فصل الشتاء، ولكن أظل أفكرا أقسى من ماذَا؟ ونسمات الثلوج في المصابيح الأمامية، فالأشجار العارية كلها قسمت السماء إلى قطع. كان يوم أربعاء قصيرا بدون ضوء الشمس وكان الهواء يمتد في كل جانب مثل ورقة الشاش.

ذهبت إلى تورنتو يوم الأربعاء، ليس الأمر سهلا كما يبدو فقد كنت مستيقظة منذ السادسة صباحا. استحممت وارتديت ملابسي، وسرحت شعري إلى الخلف. أيقظت كريس وناتالي ونبهت توم إلى بقعة على سترته. كان الفطور قهوة لتوم ولـي، وشايا للفتيات وخبزا محمصا وزبدة ومربي، وفتات حول الخبز محمص، وهناك أطباق وفناجين في غسالة الصحون، كنت أحث الفتيات على الإسراع حتى لا تفوتهم حافلة المدرسة. لم تأكل ناتالي شيئا، كم من الوقت تستطيع أن تعيش على الشاي بالحليب؟ عانقت الفتيات، وتمنيت لهن التوفيق في كل شئ: اختبار الرياضيات ومخابر الكيمياء، وكرة السلة. فصلت الكهرباء عن صانع القهوة وساعدت توم في العثور

على التقويم والذى كان تحت بريد الأمس. عانقته ورحل بعدها، سمحت للكلب بالخروج لبعض دقائق وهاتفت والدة توم لمعرفة ما إذا كانت قد نامت بشكل جيد، وفحصت درجة الحرارة بالخارج ووجدتها ١٠ تحت الصفر. وأخيراً، أخرجت السيارة من المأرب، وذهبت إلى تورنتو.

هذه الرحلة لا تنتهى ومتكررة، حتى لون الأسمنت. تستغرق الرحلة ساعة واحدة والساعة الآن العاشرة والنصف، وركنت السيارة بجوار الركن الذى تجلس فيه نوراً.

مشيت حول المكان الذى تجلس فيه، محاولة الحفاظ على مسافة صغيرة، لم أرد أن أخيفها بأى شكل من الأشكال، حبيبتي، ماذا فعلوا بك؟ لم أجرب على الاقتراب بدرجة كافية لرؤيتها وجهها بوضوح، ولكن ما أتصوره هو إحباط واضح، اختلاط من الاحتقار واللامبالاة التى تدعوا إلى الصمت ولكن على استعداد لحرق كل ما يقدم لها. وفي هذا الجو القاس: الثلوج فى الهواء، والرياح المتحركة، أجدها منعزلة عن أى وقت مضى، إن هذه الزاوية تثير الأعصاب محمومة، وصاخبة ورخيصة ووحيدة، يوجد عبر الشارع Honest Ed'، محل متعدد الأقسام وكبير، وبه خصومات وأرضياته متفاوتة وكل شيء للبيع بأسعار منخفضة، بدءاً من مشابك الغسيل لأجهزة التلفزيون، لكن وضع نوراً أبعد كل شيء من حولها، وكأن ليس هناك ما هو حقيقي باستثناء رأسها ورقبتها المنحنين، وحقيقة أننى غير

مرئية وأستطيع أن أبقى غير مرئية، هو شعور مريح بشكل غريب، كما لو أنتي أعطيها شيئاً ذا قيمة، وهو في الحقيقة مجرد ثباتي وحزمي وقلقي عديم الفائدة. ظللت أتجول في المتاجر المحلية و كنت أراقبها من خلال النوافذ، لففت حول الشارع وأحصيت عدد الأشخاص الذين يمرون بها، كم منهم يعطيها قطعة نقود أو اثنين، أحياناً أشعر أنها على علم بوجودي، وعندما اقترب منها أخيراً بقطعة من الطعام، لا تنظر حتى إلى أعلى.

وعند الظهر ذهبت إلى دانيال ويسترمان في شقة روزيدال وأكلت السندوتشات الصغيرة على المائدة التي تضعها في الغرفة التي تدخلها الشمس، ساندوتشات رائعة، لحم القبقب والخرسوف والدجاج بالكارى، في هذه الأيام أعتبر تقريباً زائرتها الوحيدة، هناك قطعة قماش جميلة تغطي الطاولة الصغيرة، مناديل أنيقة وصغيرة مغسولة باحترافية وموضوعة كأشكال المثلثات الهندسية، نشرب شايا قوياً جداً في أكواب روسية، هذه إحدى تصرفات دانيال المتكلفة كانت تصبغ شعرها في الكثير من الأحيان، حتى أصبح مثل الصداً الناعم وغطاء رأس للهندود ذات اللون البنفسجي، إحدى يديها تلامس شعرها، والذى كان غير مثبت بدبابيس ويقاد يسقط على عينيها. منذ عدة سنوات ارتدت على رأسها من أول جبهتها وأذنها وربطتها بالتوكة، وهى نفس الطريقة التي عليها شعرى الآن، ولم أكن على دراية بهذا إطلاقاً لأن هذا ثناء

على دانيال الصغيرة، دانيال فى وقت مبكر من حياتها ، امرأة تتبض بالحياة وأعادت اختراع نظرية المساواة بين الجنسين. فى هذه الأيام ترتدى القطع الذهبية الصغيرة، والأحذية البيضاء التى تشبه أحذية غرفة النوم، وقدماتها العاريتان يتميزان بالكثير من الكدمات والبقع. وتتورتها الرمادية المطوية وسترتها الصوف جزء من زيها اليومى، كما هو الحال منذ سنوات. أين وجدت هذه السترة الصوف الفظيع؟ أتعجب من عدد السنوات التى حبس جسدها فيها، فكل ما رأت وفكرت فيه، وكل الكلمات التى صاغتها على الورق، والطقوس الذى تحملته، والعشاق الذين واجهتهم والمعاناة خلال الحرب. نحن نتحدث عن النسخة الرابعة من الترجمة We والتي لا أقوم بها لأنها تركز كثيرا على العمل بها وبعد فترة ناقشنا مشاكل أليسيا ورومأن فى روایتى الجديدة والتي أصبحت أخيرا فى المسار الذى ينبغى أن تكون عليه، رفعتنا أ��اب الشاي كنخب لذكرى السيد سكريبيانو، وتساءلت دانيال آلاف المرات إذا ما كان سكريبيانو يمكن أن يكون اسمه الحقيقي أو اسمًا أطلقه على نفسه عندما امتهن هذه المهنة، وأخيرا قمت كى احتضن جسدها الضعيف وأصررت أنى سأخرج بمفردى من الباب، يمكننى أن أرى النوم فى عينيها .

بعد ذلك قدت ببطء أكثر إلى بلو وبيورست قبل أن أتوجه إلى الطريق السريع والمنزل، بحثا عن النفس الباسلة المألوفة فى

معطفها الذى يشبه زى القوات البحرية، هذه الرأس داخل الوشاح الآن، وأمنح نفسى المتعة السهلة التى يستدعىها الناس، عندما لا يتحسن أى شئ ولكن على الأقل لا شئ قد تغير، لا يزال هناك.. لا يزال هناك. هناك طمأنينة متربدة تشتد ضد خطورة الحداد، لم أبال بالسيارة خلفى التى تزمر بفارغ الصبر، وأننا آخذ وقتى.

ومع ذلك

مازلت أنا وتوم نمارس الجنس، هل ذكرت هذا؟ – على الرغم من أن ابنتنا الكبرى تعيش في الشوارع ومهملة، حدث ويحدث هذا مرة أو مرتين في الأسبوع، وفي الواقع نحن نستلقى على سريرنا الكبير معاً في منتصف الليل، ويكون المنزل هادئاً ووجوهنا قريبة من بعضها البعض.. أشعر بالدفء النابع من أنفاس توم على خدي، خصوصية جسده تبقيني بلا حراك، كما لو أنني أستمع للإشارة. يصل توم إلى وأستجيب، وأحياناً أستجيب ببطء، وفي الآونة الأخيرة ببطء شديد.....، دائمًا ما يرتفع التركيز هو أهم شيء، نعم، فالتركيز يساعد كثيراً، وبعدها بوقت قصير نصبح شيئاً واحداً ونمارس الجنس بقوه كزوجين من المجانين يتنفسان بصعوبة، وبعدها واحد منا سوف يبكي وأحياناً نبكي معاً. حاجتنا المستمرة للجنس تكمن بيننا، وكأنه شيء لا نجرؤ على التقاطه، كما لو أننا ناضلنا للدخول

لغرفة نوم داخلية حيث تتلاشى فيها القدرة على المعاناة، إن الهميمة التي نسمعها بأذاننا هي تاريخنا، ولا تخفي أبداً.

هل ما زلنا نحب بعضنا البعض؟ يجب علينا إذا ما كنا نمارس الجنس بعد الأربعين، بالطبع لدينا خلافاتنا، ولكن ليس هناك ما لم نجد له حل، مسألة الحب ليست ذات صلة بحالتنا، وليس في الوقت الراهن. يمكن تأجيل هذه المسألة فنحن نعيش في مأوى بعضنا البعض، فتحن ناسب بعضنا البعض. نحن معاً بعد كل هذا الوقت وهذا هو ما يهم. عندما نذهب للنزهة معاً، ينشب ذراعي بذراعي، ويده في يدي، وبما أنني أقصر بعده بوصات، يتطلب هذا أن رفع كتفي وأن أنحن قليلاً تجاهه. نحن نتناسب بعضنا البعض بهذه الطريقة. وجزء الجنس في حياتنا هو أيضاً مسألة تكيف دقيقة ومسألة تتعلق بالإقامة، عاداتنا متشابهة، إنهم مثل الدخلاء على منزل ليس به ستائر بالليل، ووتد للطمأنة من ضوء مصباح، وهو ركن من إفريز مألف في السقف، وجدار من الكتب، والجزء العلوي من كرسى بأذرع، دائمًا ما يكون هناك، فهو نفس الترتيبات. قلت له بعد أن مارسنا الجنس بعنف "يا لغرابة،" (منتصف نوفمبر، ليلة أول عاصفة ثلجية حقيقة في الموسم).

"غرابة؟"

"هذا ما فعلناه"

"أعرف"

"نفس الطريقة التي نهتم بها بالحديقة"
"دفع الفواتير"

هل يمكن أن تنسى يا توم؟ أخبرنى، هل يمكنك أن تنسى
ب شأنها؟"

وتبعها سكون، ثم قال "لا أعتقد ذلك، ليس بشكل كامل أبداً،
وأنت؟ (لا أحبه أن يرد على السؤال بسؤال).
"لا"

يبدو أننا نمنا بعد هذه المحادثة (إذن هذا هو: نمارس الجنس
باتظام ونحن قادران على النوم، غالباً هذا إهمال منا، فتحن أبوان
مكسوراً القلب، ويظهر بوضوح أننا قادران على استكمال حياتنا".

الكثير من عناصر الثقافة هذه الأيام تشير غضبي، ولا سيما
استسهال عدم التفكير والذى يسميه الناس "الروحانية"، ولكنى لا
أزال ممتة وإلى الأبد للأيام الجيدة والتحررية التي نشأت فيها أنا
وتوم وهى السبعينيات. وقد قال وردسورث الصغير "أن تكون شاباً
هو المتعة كلها"، وقد تمعتنا بهذه الأيام وتذوقنا طعمها حتى آخر
قطرة، مارستنا الجنس فى أول ليلة تقابلنا فيها، كان توم وأنا طالبين
يسيران جنباً إلى جنب فى مسيرة حقوق الإنسان فى ناثان فيليبس،
وهي ساحة فى وسط مدينة تورونتو، وبعدنا نزلنا المدينة لنتحدث
ثم تمشينا فى شوارع وسط المدينة، ثم عدنا إلى شقة توم فى

دافنبروت، كان يمتلك أريكة بنية اللون مع وسائل قصيرة ذات رائحة بشعة، وكل واحدة منها ترتكز على زر بني مثبت، لم أهاتف المنزل ولم أهاتف السكن الجامعي، وكان ذلك خلال فترة زمنية بدا لي أنى أمتلك القليل فى طريقى للحياة الحقيقية، وهنا كنت نائمة بجانب رجل التقى به للتو، غريبان يحتضنان بعضهما فى عصر الحفاظ على الأرض. كانت يد توم تحت ستربتى طوال الطريق من وسط تورونتو، كنت آخذ حبوب منع الحمل، ولم يكن هناك شيء لمناقشته، ولا يوجد ما يمكن أن يوقفنا، كنتأشعر أنى أحلق فى السماء. أتذكر بعد ذلك أنى تأملت وجهه فى محاولة لمعرفة ما العاطفة التى يحتويها، وحزنت للحظة فقط أنه لن يكون ولم يكن هناك حدث آخر على قدم المساواة مع هذا الحدث إلا إذا عشت حتى سن المائة.

إن حياتنا لا "تحدث" لنا حقا، ونميل إلى إثارة أنفسنا حتى نخترع شيئاً ما وحتى نجد السكن، كنا فى الربيع عندما وقعت فى الحب، ولكننى واصلت دراستى، وكنت أدرس لغة الفرنجة القديم فى هذا التوقيت، وفي خضم حروف العلة والحرروف الساكنة الغريبة وغير الواضحة، نقلت جزءاً كبيراً من حياتى لهذا الشخص، المدعو توم وينتر، فصوت أيام الستينيات كان هو صوت موسيقى "دو ووب"، ولكن فى السبعينيات يبدأ الحديث عن المنزل وعن عمل منزل جديد وإنشاء منزل خاص بك، وأن تلبس نفسك ملابس ذات ألوان دافئة، ثم تعود للواقع وتبدأ الانغماس فى حياتك وقد بدأ الناس فى إنجاب الأطفال مرة أخرى.

تحدثت مع بناتي في أوقات مختلفة حول تحديد النسل، كانت نورا في سن ١٧ ووضعت يدها على مucchini وقال مبتسمة: أنا أعرف ذلك بالفعل، بينما ضحكت كريس وقالت بغموض: حسنا، حسنا .. فهمت، أما ناتالي فقالت - كان هذا قبل عام فقط عندما كان عمرها ١٤ سنة - وهي تسند ذقنها: لا تقلقى سأهتم بهذا الأمر عندما يحين الوقت.

ولكن ينبغي على أن أبدأ التفكير جديا في الحياة الجنسية لأليسيا ورومان، يجب أن أكون شجاعة حيال ذلك هذه المرة، وأجد بين صفحات روايتها جوا عذريا فظيعا، وعفة ليس لها أى علاقة بالجنس في القرن الواحد والعشرين، نام رومان وأليسيا معا وذايا في أذرع بعضهما البعض، كان الأمر ممتعا وجميلا، كان الأمر يتحول لشيء حسي كلما غاصا للأسفل، نعم حدث هذا في لقائهما الأول، لم يسبب الواقع الذكرى مشكلة سواء لديه أو لديها، ولم يكن هناك شعور بالذنب ولا بالمحاسبة الاكتوارية، لا توجد أى أوضاع أخرى، فقط جسدان يهيeman صعودا وهبوطا مع الموسيقى النابعة عنهما وعن احتكاك الجلد والعظم والشقوق في الجسم معا، ولكن كان الشراب الحقيقي وشهوة الجنس غائبة، يمكنك أن تقول ألا شيء من هذا سيكلف الكثير، يمكنك بالكاد أن تسمع أليسيا ورومان يتنفسان، كانت قبلاتهما لها طعم الأرض المشجرة، مثل الصابون والمياه العذبة، أمر سهل المنال ولائق وعلى استعداد للنشوة، ولكنه

صعب المنال، كان الأمر حماسياً، وكانت الرغبة موجودة عند أليسيبا ورومان. ربما افتقدا للنسىان الذاتى بأن ممارسة الجنس بشكل جيد مطلوب، فالامر يتعلق بالرغبة ثم التراجع عنها.

يعرف الكتاب الآخرون كيف يصفون المشاهد الجنسية الحية. فهم يأخذون الأمر بشكل زمنى تسلسلى للخلف، ففى البداية إزالة الملابس بهدوء وربما بعض الرقص البطئ على تسجيل قديم لسيناترا، وبعد ذلك القضم والفرك والمص ثم التشمم وتذوق الآخر ثم إعطاء الأوامر والصرارخ النابع من الاستسلام، نعم .. نعم وفي النهاية "يدخل عضوه فيها" حسنا فلتأتى إلى عزيزى ولتستمتع وكأنك فى بيتك.

لدى ثلاث بنات، وأنا بطبعي عن أنكمش بداخلى من فكرة إحراجهن فيما أنشر، فسيتحقق الناس فى توم فى مدينة أورانج تاون إذا ما أخطأت، وكتبت عن السياط والجلد وغيرها؛ وقد يذهب مرضاه لطبيب آخر بدافع الشك. وعلاوة على ذلك، أنا لا أعرف الكثير عن أن جميع مكامن كينكس وجينكس، لم ترد مخيلتي أن تذهب فى هذا الاتجاه.

فلتهدئى سيدة وينترز.

إن الحديث عن الجنس مهلك وهذه هي المشكلة، فكلنا تعلمناه من التلفزيون والسينما هى من قدمه لنا، فلاتفعل أى شيء بي،

خذنى أو اضغط على فأنا آتية .. كيف كان الأمر؟

لا يمكن، لا أستطيع، فقد ملأني الاشمئزاز، ليس من الجنس ولكن من مصطلحات الجنس نفسها ، فقصص الخيال الكوميدى خفيفة، لا تعطينا خطوات بالصور لمن الحلمة والقضيب والفرج والبظر، فأليسيا امرأة حساسة وتفهم جسدها جيدا ولكنها لا تطيل الحديث عن موضوع شعر العانة، فشعر العانة ليس له أى اعتبار فى هذا الموضوع، كان مسماً لرومان أن يظهر جسده الرياضى فى السرير، فهو رجل يعزف على الترومباون، وبعد كل شيء هو يعرف عن اللجة واللعق باللسان بشكل ثلاثي، وكل من أليسيا ورومان يريدان ولديهما الرغبة، إن كلمة الرغبة كلمة سخيفة، هل تريد شيئاً؟ احذف هذا.

إنهم يريدون الحنان كما يريدون العاطفة تماماً، هم يتوقفون للمسة ناعمة وجميلة. فهم يتوقفون أن يكونوا مولعين ببعضهم البعض، وهذا ما لا أستطيع أن أقبله في قاموس مصطلحاتي، أن يكون رحيمًا ومعتملاً، أن يكون كل منهم جميلاً في عين الآخر كما هو وعلى طبيعته.

والآن نحن في أحد أيام نوفمبر، يوم مليء بالرياح والقلق، والأشجار ترمي فروعها العارية خارج نافذتي، أغلقت جهاز الكمبيوتر الخاص بي لهذا اليوم، غير راغبة في هذه الساعة، كانت الساعة الخامسة، أن أعطيهم ما لم يكتشفوه وحدهم.

وحياتها

في بداية كل شهر الآن، أنا أجلس في مكتب توم وأكتب شيئاً
لبيوت بروميس في تورنتو، أسمع لنفسي بأن أبي قليلاً وأنا أضع
الشيك في الغلاف وأختمه، وأكتب العنوان في شارع باثورست،
أستمر في البكاء بينما أنا أصدق الطابع، وأبكي وأنا أسير في
الطريق إلى البريد، إن هذه الدموع تقدير للخير الشديد لبناء
الطائفية الإنجيلية في تورنتو، والذين حولوا منذ عدة سنوات
المدرسة في الحي إلى ملجأ للمشردين. من أين يأتى مصل هذا
الخير؟ أعرف أن هناك اجتماعات لا نهاية لها ودعوات للمتطوعين،
ومجلس إدارة رسمي ولجنة للتمويل ومواجهات مع مجلس المدينة
ومع السكان المحليين، وكل هذه الأمور البيروقراطية والأعمال
الورقية التي تصاحب المشاريع الحماسية العامة؛ ولكن من أين يبدأ
الخير، ومن أى تأتي بذرة الخير وال فكرة المبدئية لتوفير الغذاء
والماوى للغرياء؟

يمكن أن تقول الطائفة الانجيلية إنهم يفعلون هذا اقتداء بال المسيح، على الرغم من أننى أشك فى ذلك، ليس فى هذه الأوقات الكنسية. إن المسؤولية الاجتماعية هى نوع قوى من الفضيلة تتدفق فى عروق الرجال والنساء الذين لن تم مكافأتهم ولن يُعرفوا على أنهم أصحاب هذه المجهودات. فرانسيس كوين المدير هو من يحصل على مرتب، ولكن مهاجع بروميس قد اجتاحتها الكثير من الناس الذين يأتون ويدهبون من مكاتبهم وهى عناوين أعمالهم المهنية، ومن منازلهم التى تساوى أكثر من مليون دولار فى فورست هيل أو روزيدال أو آنيكس. نفس الأشخاص الذين يقومون بالابتهاالت الكنسية، هم أيضاً من يقومون بأعمال الفسل ويفسلون الشبابيك وينظفون البول والقىء، يقومون بعمل مئات من فطير الدجاج فى الطابق الس资料 الكبیر بالمطبخ.

حالما اكتشفنا أن نورا تقضى لياليها فى مكان ما ذهبنا لنرى هذا المكان مع توم و كريس وناتالى، اتصلنا قبلها وكان يوم السبت بعد الظهر فى أوائل مايو الماضى، كانت الأمطار تهطل بغزارة لمدة أسبوع، وعندما وصلنا إلى وسط المدينة، كان هناك رجال يجلسان القرفصاء على سقف الطابق الثانى وكانا يحاولان ترقيق فتحة فى السقف، فى الداخل كانت فرانسيس كوين مشغولة بالهاتف، ولكنها أشارت إلى أحد المتطوعين كى يرشدنا، وهو رجل فى الخمسينيات كما خمننا، وفى هدوء تام أرانا كنيسة صغيرة فى الطابق الأرضى،

وعنبرا للنوم لأكثر من عشرين امرأة، وكان به تشكيلة من أسرة المخيم والتي كانت موضوعة بدقة، وكانت الجدران بها خزائن وهناك حمام مشترك. قلت لنفسي إن نورا تعيش هنا وتنام في هذه الغرفة، كانت هناك منشفة نظيفة مطوية في نهاية كل سرير، كانت الغرفة نظيفة، ولكن ذرات التراب كانت تسбег في ضوء النهار القادم من الشباك، وهو هذا الغبار الذي لا يمكن إزالته، كانت الأرضية الخشبية العارية تصدر صوتا تحت الأقدام. هناك أربعون رجلا ينامون في عنبر نوم مشابه في الطابق العلوي، أما في الطابق السفلي فتوجد قاعة الطعام والمطبخ، حيث يتم جمع أربع نساء حول طاولة من الخشب والصلب وهن يتعاونن معا، كن رقيقات ومرحات ويتعاملن بيسرا، وكل منهن ترتدى مريلة الشواء مطبوع عليها كلمة "بروميس". أخبرنا أحدهم أن التبرعات الغذائية يتم تسليمها عند المدخل الخلفي، وأنهم تسلموا اليوم طماطم معلبة ودائما ما يرحبون بالتلبرعات، وهناك الكثير من الهبات المقدمة من فنادق ومطاعم وسط المدينة، على الرغم من أن هذه تميل إلى أن تأتى في اللحظة الأخيرة، والإبداع مطلوب من ناحية الطهاة المتطوعين الذين قد يتسلمون المطبخ في الرابعة، وبقيت قائمة البطاطس والعنف في زوايا الغرفة، ولكن كل سطح كان نظيفا، ربما تكون هذه قائمة منظفات الأطباقي أو شيئاً أقوى انتشر في الهواء. تحدث النساء عن كيفية قضاء الكثير من الوقت في معرفة طرق إعادة الحياة

للبذور القديم ، وكانت لديهن العديد من الحيل، وهذا سبب ذكر إعادة الحياة للبذور المرسل من أشخاص مجهولين. وأشاروا إلى شاشة التلفزيون الضخمة التي حصلوا عليها مؤخرا في قاعة الطعام، وهي هدية من تاجر عقارات كبير في المدينة. في الساعة السادسة يتم فتح أبواب النزل حتى المساء، وفي الشتاء من الساعة الخامسة، ويتم إطفاء الأنوار في الحادية عشرة، ويتوقع أن يكون الجميع في الشارع في الثامنة والنصف بعد وجبة الإفطار الساخنة. لم يكن مسموها بالكحول أو المخدرات، ولكن بطبيعة الحال كان هناك من يكسرن القواعد، وفي الطابق العلوي توجد امرأة تعزف على البيانو وتغنى بزهو، وكانت تكرر نفس السطرين عدة مرات لتتدرج وكانت توقف نفسها وتبدأ من جديد، وعند هذه النقطة سحب كريستين يدها من يدي، على الرغم من أنها كانت فتاة صغيرة.

بعد الجولة تمشينا حيث تركنا سيارتنا وركبناها وانطلقنا، كانت السماء لا تزال تمطر، وجلست الفتاتان في المقعد الخلفي في صمت، لم أحتمل أن أدير رأسى كى أنظر إليهما، جلس توم خلف عجلة القيادة وهو يربط حزام الأمان، ولكنه لم يتحرك بالسيارة على الفور. جلسنا نشاهد الأمطار المتدفق على الزجاج الأمامي، ونظرنا إلى الشارع الطويل الضيق الملىء بالمنازل بأفنيتها الأمامية الصغيرة وصناديق إعادة التدوير الزرقاء، كانت أشجار عارية من

أوراقها، أحب هذه الأشجار الخضراء الشاحبة الضبابية كثيرا،
وضعت أطراف أصابعى على ركبة توم برفق، وفجأة تحرك وهو
يفطم وجهه بيديه، بدأت ناتالى فى المهدى الخلفى بالبكاء وبعدها
بكتينا جميرا.

بالرغم من ذلك

على الرغم من كل شيء، استمررت في العمل على الرواية، فدائماً ما نأخذ بعض القرارات، هل لدى أليسيا كلب أو قطة أو أي شيء؟ اتخذت قراراً بأن تمتلك قطاً يدعى "كستنائي". قط عجوز يرى بعين واحد فقط. أليسيا ليست مفرمة بالقطط، ومع ذلك فهي تهمل كستنائي وهو يعرف ذلك.

اتصلت بي سكرتيرة السيد سكريبانو، وقالت بلهجة جادة للغاية كيف يتطلعون إلى رؤية مخطط روایتي، وكم أن السيد سكريبانو كان يعول عليها كي تكون على قمة قائمة كتب العام المقبل، ويودون لو يكونوا قادرين على ذكرها في كتالوج الربيع، كانوا يريدون فقط العنوان ووصفاً موجزاً، ووصفت الأمر بالدعاية، لم يكن هناك أى سبب للخوف من أن وفاة السيد سكريبانو من شأنه أن يعرض شركته القديمة والراسخة للخطر، كانوا على وشك تعيين محرر جديد على، ووعدتني بأن تبقىنى على اطلاع بالجديد.

استمررنا في الاستماع إلى الأخبار، لدى توم وأنا آراؤنا بشأن الأخبار والتي نعبر عنها، على الرغم من أننا نعرف كيف تسير الأحداث السياسية الواضحة بشكل غير منطقي، فالناس يدخلون ويخرجون من العالم، وهذه هي الأخبار الحقيقة، أما باقي الأخبار فهي غير مهمة مثل القشرة التي تترك في طوبيات العين أو الفم. أربكت نتائج الانتخابات الأمريكية الجميع، ففي هذه الأمة العظيمة قد حسم القرار الرئاسي بفارق ٢٠٠ شخص في ولاية فلوريدا، مائتا شخص يمكن أن يتجمعوا معاً في المكتبة العامة بأورانج تاون كيف يمكن أن يكون الأمر؟ ماذا عن الدستور الأمريكي القديم الذي يفخرون به، بنظامه التي بشرَّ كثيراً بالضوابط والتوازنات؟ ظهرت جانبيت رينو على شاشة التلفزيون، وكانت تقول شيئاً عن أن كل صوت مهم وهذا يثبت أن الديمقراطية مطبقة. ولكن مهلا، إنها غير مطبقة سيدة رينو، إنها شيء نتحدث عنه مثل الجروح البسيطة والدمامل في الجسد، بحثت ناتالي عن كلمة *chads* في القاموس ووجدها، فلطالما كانت هناك طوال الوقت، وقالت كريس أنها كلمة تعنى الخريشة.

كل منهما تذاكر لامتحانات، ليس مجرد أن شقيقتهما الكبرى تعيش حياة مهجورة، فهذا يعني أنه لن يكون هناك امتحانات، فهم يدرسان الفرنسية والتاريخ والرياضيات وفنون اللغة، هذه وحشية: فجدول الامتحانات تم وضعه، وجورج دبليو بوش أصبح موجوداً،

والسيد سكريبانو سقط من على الدرج للأسفل، والناس يحجزون الرحلات الجوية لقضاء عطلة عيد الميلاد، وDaniyal ويسترمان تتهمنى بعدم الحزن الكافى، وأنا أمسح بهدوء المطبخ بعد العشاء بفطيرة شيبيرد (فطير الراعى) وسلطنة السبانخ، وفي نفس الوقت أحبك ما ستقوله Alisiaa لرومان حول الحاجة إلى إلغاء حفل الزفاف، ومراقبة الجو فى الخارج والثلوج المتتساقطة والانحرافات التى تبنى جدرانا منحوتة بشكل كثيف أمام الجانب الشمالى الجانب من منزلنا، أما Tom فيجلس فى كرسيه المفضل وهو يقرأ كتابا جديدا وصله بالبريد حول التريلوبيت، لا تزال الرياح تهب، وأنا ما زلت أنا، وأعتقد أنه من الصعب والأصعب أن تنطق هذا الضمير البسيط وأن تحافظ على رباطة الجأش.

فى هذه الأثناء

فى وقت مبكر كنا نظن أن مشكلة نورا هى مشكلة مع حبيبها، وبن أبوت فتى حقا، وله وجه فتى وطويل ونحيف، كان هو من أحبته نورا فى البداية، وكنت أشك فى هذا وكتفاه كانا نحيفين ورقبته نحيفة، وأضلاعه تبرز من سرواله الجينز، بالكاد يغطيه اللحم، وإذا كان لديه حالة ستكون ملونة باللون الطوبى، وعندما يبلغ الثلاثين سيكون قد اكتسب مرونة وجسدا أكبر لممارسة الجنس، ولكنه الآن متسرع وسريع التعصب، ويبدو دائما على استعداد لينزعج بسبب جسده، وهو يعتبر غرابته جزءا من شبابه، لم أره قط حتى الآن وهو يجلس على كرسى فى حالة استرخاء، هو طويل ويمكنه الرؤية من أعلى وعيناه متيقظتان وفمه له فتحة صفيرة، هو فتى شديد الانتباه وله فم جشع.

نحن نعيش فى عصر الطفولة الطويلة، ولا أحد يتوقع بطوله من طفل فى سن ٢٣ لا يزال طالبا، والذى لا يزال يتلقى مبالغ شهرية

من والديه فى سادباري، ولا يزال يعيش فى شقة طالب غير مرتبة، درجاته فى الفلسفة دائمًا عالية وهو يعمل بكد، ولكنه أعمى بسبب هذا الظلام الذى يمثله العمل حقا، وعلى استعداد أن يؤخره لأطول وقت ممكن وهو يفكر بالعمل على درجة الدكتوراه، ثم ربما مرحلة ما بعد الدكتوراه.

تقابل هو ونورا فى حفلة لصديق بعد وقت قصير من الوصول لسن ١٨، وانجذب لها على الفور، كانت نورا ذكية وجميلة وجذابة، وبمجرد أن تنظر إلى وجهها مرة واحدة ستعرف أنها من الناس المحظوظة، هكذا تعيش الناس المحظوظة، جزء مع حب العائلة، تتعلم تعليما جيدا وهى ممتنة وليس شخصية سيئة، وهذه الناس المحظوظة قادرة على أن تفرد رغباتها بطريقتها، وبهذه الطريقة يمكنهم تجنب العصبية، ويمكنها أن تقرأ أو تركب الخيل أو تلعب كرة السلة أو تعزف على البيانو أو أن تطهو، الناس المحظوظة ليست ملزمة بأن يكون لديها دهاء، فهم يمتلكون حسا سليما وتوازنا بشكل طبيعي، وعندما يأتون في النهاية في مواجهة الحياة الجنسية، فهم يقبلون بها كابتازاج أجسامهم، وهم يفهمون في أن واحد أنه قريان وأنه أحد أعظم الهدايا التي سُتعطى لهم.

بن ونورا رأيا بعضهما البعض مرتين أو ثلاثة ولم يفترقا بعدها. بعد أن اختفت نورا، في تلك الأيام المخيفة في أبريل بعد أن اكتشفنا أنها ذهبت لتقيم بشكل يومي في باثورست وبلور، ذهبت

لرؤيه بن، كان توم وأنا مضطربين من القلق، وبدأ أن بن هو الشخص الأكثر منطقية كى نسألها، لم أهاتفه فوراً، ولكن ذهبت ببساطة إلى تورنتو، وأوقفت السيارة في شارع جانبي، وقرعت جرس الشقة في الطابق السفلي.

لماذا سيتوارد شاب في سن ٢٣ في المنزل في منتصف ما بعد الظهر، إنها الساعة الثالثة بعد الظهر؟ من يدرى لماذا، ولكنه كان موجوداً، جاء إلى الباب وهو أشعث، وبدأ وكأنه كان نائماً. لم نتصافح أو نتبادل الأحضان، نظرنا فقط إلى وجوه بعضنا البعض، ثم أنحنى برعونة وهو يومئ إلى بأن أدخل.

كان الهواء ضبابياً ودخل فقط القليل من الضوء الطبيعي من النوافذ الصغيرة التي في مستوى الشارع. كانت الغرفة قديمة للغاية، كان يمكن أن تكون شقة طالب من الجيل الذي أنتمى إليه، مكاناً به بلاستيك ممزق، وقماش أثاث بال، وملصقات على الحوائط، ورزم من الكتب والأوراق، وهناك غبار في الجو. غرق هو في أريكة قديمة لجيش الخلاص، وأراح مرفقيه على ركبتيه، وضم أطراف أصابعه معاً، تلك الأصابع الحادة والمشدبة التي فاجئتني بها في الاجتماع الأول، كان شخصاً ذا جسد شهوانى غريب.

أمسكت نفسي على حافة الرفض مع بن، وكانت لدى رغبة في اختيار مشاعره الرقيقة، ثم فكرت: إنه شاب ولقد ذاق طعم الخيبة، ولديه صديقة قد يكون يحبها أو لا، وتركته لتعيش في الشارع، لقد

استثمرا أكثر من عام فى الشعور ببعضهما، عام من استيعاب هذا الأمر الخيالى، هذه أمور لمن وصلوا سن الشيخوخة وليس لشاب لديه شوق للرضا وإيمان بأنه سيحصل على ما يستحقه. لقد اقترب من الحب بطبيعته كشاب يشعر بالعجب مما حوله والامتنان، فقط ليجد أنسحابها المفاجئ.

قال لي: "لقد تغيرت، فخلال بضعة أسابيع فى أواخر يناير وفبراير ومارس، كانت سريعة الغضب وبعدها كانت تهدأ، كانت تكره أستاذها الدكتور هاميلتون لبعض الأسباب، وسألتها عما فعله الرجل وإذا ما كان حاول أن يقترب منها أو يغريها، وكانت غاضبة لأننى فكرت فى شيء من هذا القبيل، وأن هذا هو ما كان يمكن أن يحدث لي، أذى جنسى مثلاً. وبدأت تنظر لى تلك النظارات الطويلة الحادة، وأنتِ تعرفينها، نظارات دققة للغاية وكأنها اكتشفت فجأة أننى أحمق أو شيء من هذا القبيل، وبعدها رحلت، فى أحد أيام الأسبوع الماضى بعد الظهر، ظننت أنها ذاهبة إلى Honest Ed's، ولكنها لم تعد، ومعظم حاجاتها لا تزال هنا وتوقفت عن الذهاب للمحاضرات منذ مارس، كانت تتوجول فقط حول الشقة وهى تقرأ أو تتحقق فى الفضاء، كنت لأهانفك بعد أن رحلت، ولكننى ظننت أنها ذهبت للمنزل وأنها معك، كانت تفكر فى الخير والشر والأذى الذى تتعرض له الأرض وأمور من هذا القبيل، وبعدها بيومين جاءت فتاة أعرفها وقالت إنها رأت نورا تستجدى الناس فى

باثورست وببور ولم أصدق ما قالت، فذهبت بنفسي لأنقذ نظرة عليها وكانت هناك تحمل تلك العالمة وتجلس على جانب الطريق، فذهبت إليها وقلت "ماذا تفعلين يا نورا، ولماذا كل هذا؟"

شاهدته يتكئ على وسائل الأريكة الممزقة، وبدأ في التنهد بارتياح، وبعدها صرخ صرخة طويلة وقوية لن أنساها ما حبيت، انهمرت الدموع على وجهه ولم يبذل أي جهد لمسحها، وضع يديه دون جدوى على بنطاله الجينز، أردت أن أذهب إليه وأضريه على يديه، ولكن لم أستطع ولم أفعل، أعلم أن الأمر ليس ذنبه، فهو طفل فقير، ولكن شعرت بأننى قاسية للغاية، شعرت بالرغبة القوية فى اللوم، جلست هناك فقط وشاهدته يبكي، شعرت أن آمالى تتلاشى وتتسحقنى بثقلها، عرفت الآن أنه كان صحيحاً، لم يعد هناك أي شيء يمكن أن أفعله لإنقاذ نورا من نفسها.

بعد ذلك

كم عمر أليسيبا بطلة روايتي؟ هذه المسألة بالغة الأهمية، فهى تعيش فى مدينة ويشود الكبير، وهى محررة لمجلة موضة ومن المفترض أن تتزوج من رومان، الذى يبلغ من العمر ثمانية وثلاثين عاما، وحفل الزفاف على بُعد أسابيع وهذا هو زواجهما الثانى، وقد عاشت لفترات قصيرة من الوقت مع رجلين آخرين، أردت لها أن تظل رزينه وذكية، رغم أنها صفيحة كى تستثار حماستها، فهى مفعمة بالحيوية والنشاط أكثر منها مرحة، وامرأة يقطة تفهم بالفعل أن الكون غير كاف، لقد كانت سنها أربعة وثلاثين عاما فى الرواية الأولى قبل عامين، والآن سأجعل عمرها ستة وثلاثين، وسن الأربعين ينتظرها، وهى على وعى جيد بذلك ولكنها ليست خائفة منه، ربما تنفق الكثير من المال على المنتجات الجلدية ذات الجودة العالية، على الرغم من أنها تعرف الفش فى صناعة مستحضرات التجميل، هناك شيء محكم فى تصرفاتها، ولكنها حتى الآن لا تعرف هذا.

هل تتحدث عن قصتها الشخصية؟ أو بعبارة أخرى، هل سيكون السرد من البطل نفسه؟ نعم ولسبب واحد، وهو أن روایتی My Thyme Is UP بها سرد البطل نفسه، ويجب أن تكون التتمة متسقة في مثل هذه الأمور، صوتها المثير للسخرية والتساؤل فضفاض وبه حميمية، فضفاض صوتها، ولكن به حميمية قوية للغاية، إنها ليست خجولة من أنها بعيدة عن شرائح واسعة من الثقافة الشعبية، ربما تقول "سحقاً" إذا تعثرت وجرحت ركبتها، ولكنها لن تصف شخصاً أو شيئاً بأنه "مقرف" تحت أى ظرف من الظروف، وهنا حيث تظهر رقتها في مفرداتها، ربما يسمى بعض الناس هذا تشدداً، وهي شخصية محبة للموسيقى وتعزف على البيانو قليلاً، وذات مرة عزفت على الناي بشكل معقول، وحصلت على شهادتها في الصحافة من كولومبيا وكان متوسط درجاتها A-. (ربما كانت لتحصل على درجات أفضل إذا ما أحببت الرجال أقل)، وهي ترتدي ملابس تشبه الشال وسترات فضفاضة، وتنانير طويلة وحريراً ثقيلاً وجواهر فضية نحيفة وأقراطاً جميلة.

هي لا تستطيع أن تكون جميلة بشكل مذهل، وأن تمتلك شخصية متكاملة، وكان هذا واضحاً في الرواية الأولى، فأدب الخيال يستبعد الكمال الجسدي، فغير مسموح لنا أن نمدح في رجالنا ونسائنا بشكل استثنائي، أما الروايات الرومانسية من ناحية أخرى قادرة على ملء صفحاتها بعشرات النساء الجميلات

اللافتات للنظر، وتسمح الروايات الأدبية بوجود بطلة واحدة ذات جمال نادر، واحدة فقط. عن الأدب الساخر قريب من الحياة الواقعية، حينما يختلط الواقع بالخيال قد يشوبه بعض التفاصيل، وربما كانت دائماً تلك طبيعة من يملكون أنفاً طويلاً إلى حد ما، وذقناً أصفر من المعتاد وربما ليس من الضروري التطرق إلى عيوب أخرى مثل المؤخرة الضخمة أو الكتفين ذوي المظهر الرجولي، أو حقيقة امتلاكها عيناً أكبر من الأخرى، بالرغم من أن الصدر قد يكون بهذا الحجم الصغير أو أكبر قليلاً من المعتاد، ما كنت أريده لأليسيا أن تمتلك مسحة من الجمال، أريد أن أنقل هذا الجمال دون الكثير من التفاصيل.

هل تؤمن بالله؟ لا، على الرغم من تربيتها الدينية، إن الله وابنه مجرد استعارات، ربما يمثلان الخلق والتجديد، وصلت هذه الدرجة من اليقين إلى ذروتها، عندما كان عمرها اقترب من العشرين، كانت تجلس في مقعد بالكنيسة مع والديها ويقرؤون عقيدة نيسين، إنها لا تتحدث عنها تقريباً فهو شئ غير مهم في حياتها إطلاقاً، وهنا تراودنا قضية الإيمان أو الكفر، ولم تكن قد تطرقت هي ورومان للموضوع، فهناك موضوع مهم لم يتحدثا عنه، وقد بدأ هذا يقلقها قليلاً.

هل تريد طفلاً منه لها؟ نعم ولكن بيسأس وبشكل غير واضح. هل ترى نفسها تفك أزرار قميصها وتلقم ثديها لطفل جائع؟ حسناً، لا،

فهى لم تذهب بتفكيرها إلى هذا المدى، ولكن فتاة صغيرة ستكون جميلة، أو ولدا صغيرا، إن جنس المولود لا يهم كثيرا، من المفترض أنها ستستمر فى العمل بالمجلة، بعد أن تقضى وقتا قصيرا فى المنزل، ستة أشهر أو نحو ذلك، لقد بدأت للتو سلسلة جديدة شهرية عن الإكسسوارات، وهى الآن تبحث فى تاريخ الحقائب النسائية، إنه أمر مدهش حقا. لقد بدأ الأمر كله بالسلسلة التى توضع على حزام المرأة من القرون الوسطى، ومديرة المنزل الهايمه تحتاج إلى شيء كى تحمل فيه مفاتيحها وحساباتها الداخلية، ومن الحقيقى أنك ترى كثيرا مريم العذراء فى رسومات على المحفظة الصغيرة على الأرض بجانب كرسيها، ولكن على الأرجح هذا شيء عفى عليه الزمن، كما قالت أليسيبا لرومان بالأمس بينما يتناولان العشاء فى مطعم موريس، وقد تناولا اللحم والبطاطس وزجاجة جيدة من النبيذ الأحمر.

وقال باندهاش "وماذا؟" لم يعد يستمع إليها، ورمقته بنظرة طويلة وقاسية.

قالت وهى تقاطعه "لا تهتم"، ثم ضربته على يده، يعمل رومان عازف ترولمبون فى سيمفونية (اللحظة لنفسى: معرفة المزيد عن الترولمبون)، لقد كانت وظيفة رومان غامضة بالنسبة لى فى المرة الأولى، وهو يشكو أحيانا أن عالم أليسيبا الخاص بالكتابة ضيق

وفطري، ونسى أنه هو وزملاءه الموسيقيين يشكلون مجموعة فرعية منفلقة وذات مرجعية ذاتية.

أنا أيضا على علم بأننى فى مياه راكدة، كاتبة تكتب عن كاتبة تعمل بالكتابة، أعلم جيدا أنه يجب على أن أكتب عن أطباء الأسنان وسائلى الحافلات ومضرمى الأظافر، وهؤلاء الناس الذين يصممون أسرة من ثمانى طبقات، ولكن لا فائنا أركز على بدايات الكتابة أو "الضعف طويل الأمد" وهى جملة لفرانسيس كورنفورد، عن حياة نقضيها فى لصق الكلمات الصغيرة بالكبيرة فى صفحات فارغة. قد ندعى غير ذلك، ولكن بالنسبة للكثير من الكتاب هذه هى أغنى منطقة يمكن أن نتصورها، هناك الروائيون الذين يعانون من حجب أبطالهم فى ثياب فضفاضة، ليحولوهم إلى رسامين أو مهندسين معماريين، ولكن هذا لا يخدع أحدا، فهذه الأمور مهمة، إعادة صياغة هذا العالم الذى لا يمكن الدفاع عنه بجرة قلم، إن هذا أمر مهم للغاية ولا يمكننى التوقف عنه.

بصعوبة

ليس الأمر أنى أكتب بقلم جاف، وليس أنى أعرف أى شخص يفعل هذا فى هذه الأيام، ولكن لا تزال هناك بعض الرومانسية متعلقة بفكرة القلم الحبر، ويشهد زورا على استقلالية الكاتب الأساسية وحريته، لا يوجد من هو مستعد تماما للتخلى عن الصورة المجازية للقلم والورقة، كنت أفكر فى هذه الأفكار عندما رن جرس هاتف المطبخ فى وقت مبكر من صباح أحد أيام نوفمبر.

قال رجل ذو صوت رنان "من فضلك أود التحدث إلى السيدة ريتا وينترز"

أجبت وأنا أمسك سماعة الهاتف بيدي اليسرى وأفرغ غسالة الصحون بالأخرى "نعم أنا ريتا"

فسألنى الصوت الرنان قائلاً "هل اتصلت فى وقت غير مناسب، هل لا تزالين تتناولين الإفطار؟"

فأجبته بعدها توقيت عن العبث بالصحون قائلة "لا بل الوقت مناسب"

فأجاب بصوت رجولى عميق ذى نغمة موسيقية رقيقة "اتصلت فقط كى أعرفك بنفسى، اسمى آرثر سبزينجر من سكرييانو ولورانس وإنه لشرف عظيم سيدة وينترز أن اكون المحرر الجديد الخاص بك"

فأجبت وأنا شاعرة بسرور قائلة: "آها، حسنا انه لشئ لطيف أن تتصل بي لتعرفنى بنفسك سيد سبزينجرز". وقد أثارت كياسته المهنية إعجابى.

"أتمنى أن تقادينى بآرثر عندما نعرف بعضنا بشكل أفضل"
"حسنا يجب أن تتصل بي .."

"انه ملن دواعى سرورى، وأنا سعيد انك تشعرين بهذا وذلك سيمنح عملنا بداية طيبة، وأود هنا أن أقول إننى أعرف أنه لا يمكننى أن أبدأ بأن أحلى محل السيد سكرييانو
يالها من مأساة..."

"وأريد أن أخبرك يا ريتا أن السيد سكرييانو كان سعيدا بعملك على روایتك الثانية المتممة لرواية My thyme Is Up، لقد أخبرنى بهذا قبيل وفاته بأيام قليلة"

هل قال ذلك حقا؟ لطالما كان طيباً ومشجعاً

أكُن له كل الاحترام كإنسان ومحرر، لقد عملت مع الشركة منذ بداية العام الماضي، ولقد كنت محظوظة بأن أتعلم منه الكثير بالرغم من أننا من جيلين مختلفين ولكل منا نهجه المنفصل، فتهجّي الخاص يعتمد على الحوار وتدربي كأن أصلاً بجامعة ييل ثم جامعة بيركلي.

حسناً إذا...

هل يمكنك الآن أن تعطيني أي فكرة عن موعد قدومك إلى نيويورك.

حسناً ..

أعتقد أنه من الضروري أن نجلس سوياً لمراجعة مخطوطة الرواية، فأنا أحب المراجعة الدقيقة، وعلى عكس الكثير من أقراني المعاصرين، فأنا لا أثق كثيراً في التواصل عبر البريد الإلكتروني أو الهاتف.

فقلت له "ولكن لا توجد مخطوطة للرواية بهذا المعنى" أجبته بينما كنت أفرغ غسالة الأطباق من محتوياتها، ولكن بهدوء هذه المرة حاملة الأطباق واحداً تلو الآخر واضعة إياها على الرف ثم أضفت قائمة "المخطوطة في الطريق ولكن ليس بهذه السرعة"

كم تبقى لك من حيث النسبة المئوية؟

أعتذر.. فأنا لم..

هل أنتِ في منتصف الطريق يا ريتا أم في ثلاثة أو أربعاء؟ أم

ماداً؟

حسناً فأنا لست متأكدة، ولكن على أي حال فأنا أخشى أنه لا توجد خطة كي آتى لنيويورك، ليس في المستقبل القريب."

حسناً فلترسل لي ما انتهيت منه حتى الآن."

أعتقد أنه لا يمكنني فعل ذلك، فأنت تعرف أن ما كتبته على الورق أو على الحاسوب لا يزال غير واضح كما تعلم.."

أؤكد لكِ يا ريتا أنني أقدر حقيقة أن المسودة ستظل مسودة، وهذه أحد أول الأشياء التي يجب أن يفهمها المحرر الأدبي."

"لا أعرف كيف سيمكنني.."

انظري يا ريتا، سأعطيك رقم الإيداع، هل معك قلم رصاص؟ كل ما عليك فعله هو أن تحزمي الأوراق، وسأتصل بك وأقوم بعمل الترتيبات كي أرسل أحدهم ليأخذها". ماذا عن بعد الظهير؟ فتحن نأمل أن تكون روايتك في مطبوعات الخريف، مما يعني أنه يجب أن نتحرك بسرعة، وستجدينني محرراً أقدر الأمور جيداً، فأنا أحب أن أخرج أفضل ما في الكاتب، هل قرأتِ Daring Buds، هو أحد كتبى".

"سأرسل لك نسخة الآن".

"آها، سيكون ذلك ..."

"هناك شيء واحد فقط أريد أن أقوله يا ريتا قبل أن نقول وداعا، أنا أحب أليسيما، أليسيما التي كتبتها، أريدك أن تعرفي أن التفاني لها من جهتى لا حدود له، فأنا منجدب لها بشكل فطري، لقد قرأت My Thyme Is Up عدة مرات وفي كل مرة أحبهَا أكثر، هناك جودة ذهبية فيها، كما لو كانت ورقة الخريف الذهبية بين ورقات ذهبية أخرى أقل منها، لقد فكرت وفكرت فيما جذبني لأليسيما، ليس حسها، وليس لأنها غير متواجدة بقوة في هذا الجزء على أقل تقدير، طريقتها في الجلوس بثبات على الكرسى، الجلوس فقط، وكرمها الذي هو جزء منها، وتسامحها أيضاً، ولكن ما جعلني أريد حقاً أن أضمهَا بين ذراعي هو الخير فيها".

"عذراً لم أسمع ما قلته سيد سبرينجر، هل قلت ...؟"

"الخير فيها، الخير الإنساني العميق بداخلها".

"آها الخير"

"نعم الخير"

"هذا ما ظننت إنك قلتَه"

منذ ذلك الحين

قال بعض الناس عندما ذهبت نورا لباثورست وبلور "رتروا لخطفها ثم أبطلوا تأثير ما حدث عليها بشكل احترافي". وقالت سالي "هل استدعاهما البوليس ليتحقق معها، لقد رأوا الكثير من هذه الحالات ويعرفون كيف يتعاملون معها".

قالت صديقات أخريات مثل لين وأنيت "استخدموا معها القوة الصفيرة، فإذا أخذتها أنتِ وتوم ووضعتمها في السيارة عنوة وأحضرتمها للمنزل، ربما تعيد الصدمة إليها رشدها، وهذا هو ما تحتاجه كى تنهى هذا الوهم بداخلها، هي تحتاج لصدمة". لقد جربت هذا ذات مرة، فركفت سيارتى بالقرب منها فى باثورست بشكل غير قانونى، وخرجت من السيارة وشدتها فصرخت بشدة وسحبت نفسها من بين يدى، وشعرت بأن قفازها ينخلع من يدها وكأنها أمسكت بشئ ملتهب أو أمسكت بفحم محترق، وبدأ حينها

الناس فى التجمع وعدت للسيارة سريعاً وابتعدت، فلتسامحينى بـ
نوراً، أرجوكِ.

قالت لنا فرانسيس كوين من فندق بروميس "إنها بصحة جيدة
حالياً، ويبدو أنها عاقلة ولكن لم نحدد أى شيء آخر بعد ذلك، لقد
عرضت عليها الاستشارة ولكن يبدو أنها تعرف جداً ما تفعله، إنها
لم تبلغ العشرين من عمرها بعد، ولذلك فالوقت فى صالحها، لقد
رأيت حالات مستعصية وعنيفة من قبل ولكن فى النهاية يستسلمون
ويخضعون".

وأخبرتني صديقة، ويمكن القول إنها إحدى معارفى، قائلة:
"إنكم قلقون بلا داعى، فالامر ليس كبيراً، إنها مجرد طفلة تقضى
موسمها فى الشارع وهذا أمر عادة ما يحدث".

نصحنا الدكتور ديفيد مكلو، الطبيب النفسي الذى استشرناه لا
نتدخل فى الأمر، وقال: "تصرفاتها تدل على أنها تعطى لنفسها
 شيئاً، تهدى نفسها الحرية والحق فى أن تكون غائبة داخل حياتها
الخاصة. قد لا تعتقدون ذلك، لكنها قامت بعمل ترتيبات عملية
للبقاء على قيد الحياة، فالتشرد قد يكون مدروساً أو مهملاً، وقد
اختارت الأولى. وفي النهاية فهى ذكية، والذكاء هو ما سيعبر بها
من هذه الأزمة، لقد قلت الأزمة، ولكن هذه ليست حقاً الكلمة التى
كان يجب على استخدامها، إن الأمر يتعلق بطبيعتها فى أنها تريد
أن تأخذ قسطاً من الراحة والتى عن طريقها تهرب من شيء لا
يطاق إما أنها تعانق شيئاً مقدساً".

"ماذا تعتقد فى هذا الأمر؟"

"هذا سؤال لا إجابة له".

فقالت ابنتا كريس: "ماذا حدث؟ ما الشيء الفظيع الذى حدث لها؟ يجب أن يكون هناك شيء ما".

وقالت ناتالى: "لا أصدق الأمر، ولن أصدقه أبداً، لم تكن لتفعل هذا إذا كانت فى كامل قواها العقلية".

وقالت حماتى لويس: "لا أستطيع تحمل هذا، ليست نورا، لا ليست نورا".

وقالت ويلو هاليداي: "لطالما سمعت أن من يتسللون فى الشوارع محталون، وأنهم يكسبون أموالاً كثيرة، بضع مئات من الدولارات يومياً ومنهم من يحمل هواتف محمولة، ولقد رأيت ذلك بنفسي فى تورونتو".

هل حكىت عن مدى الصعوبة التى واجهتها فى إيجاد ويلو هاليداي والدة إحدى صديقات نورا؟ ويلو طباخة رائعة وقد قالت لى عشرات المرات - أعتقد أنى أبالغ وأنها أخبرتني مرات قليلة فقط - أنها تقرأ كتب الطبخ كما يقرأ الآخرون الروايات. وكدت أقول "ولكن ألن تستمتعى أكثر بقراءة رواية؟"، ولكنى لم أفعل بالطبع.

ترassi هاليداي، فتاة شعبية مولعة بالخيل، وهى صديقة لنورا منذ الطفولة، وهى من أرشدت نورا على طريق باثورست وبلاور بمساعدة صديقة أخرى، حيث قبما لنورا جرة ضخمة من الرخام (كانت ناتالى وكريس هناك وأخبرانا أنا وتوم بالحادثة) ركعت تراسى وصاحت فى أذن نورا موضحة أن كل قطعة من الرخام تمثل يوم السبت، وأنه لو عاشت نورا حتى سن الثمانين، فإنها ستتمتع بـ ١٦٠ يوماً مذهلاً، وبطبيعة الحال وهى تقترب من سن العشرين فمن المؤكد أنها استخدمت بعضها منها فى صباح يوم السبت، ولكن لا يزال معها أكثر من ٢٦٠٠ قطعة متبقية، وإذا أخذت واحدة منها كل أسبوع، فسترى أن مخزونها يقل ببطء، وستبدأ فى تقدير الوقت وحياتها الخاصة.

عندما أحياول تخيل تراسى وهى تنظر إلى نورا، أفهم أنها لا ترى أحداً، فللحظة كنت أنا نورا، نورا الناسكة، نورا المتباعدة، ارتعدت من فكرة ما قد تظنه تراسى عنى.

نورا الحقيقية فشلت فى أن ترد، كانت تجلس طوال اليوم مع جرة الرخام بجوارها، وتركتها هناك عندما عادت إلى السكن فى تلك الليلة، وعلى ما يبدو أنها اختفت فى الصباح، لست متأكدة مما أظنه فيما يخص هذا الأمر، أخبرنى أحدهم أن فكرة الرخام انتشرت عبر الإنترنت، كان الناس يهيمون على وجوههم فى الإنترنت من أجل اللهو والتسلية، وبدلًا من ذلك حصلوا على بعض

من الواقع الأليم والإلهام العاصف حول روعة الحياة، هل موضوع عد قطع الرخام هذا وصفة لقضاء وقت جيد، أم هو تذكير قاطع بأن ذلك الوقت لا يمكن أن يعيد نفسه مهما تمنينا ذلك؟

يمكننى ألا أرى إيماء ألين لمدة شهور، الصحفية فى سانت جونز نيوفاوندلاند، ولكن خمس دقائق فقط فى حضورها أقتنعتى أنها الشخص الوحيد فى العالم الذى يمكننى إخباره كل شيء. قالت لي إيماء عندما مرت على فى الأسبوع الماضى "نورا على قيد الحياة"، لقد مات ابنها بجرعة زائدة من الهيروين فى سن الثانية والعشرين، وأكملت إيماء قائلة "أطرافها سليمة، ولم تشوه نفسها أو حتى حلقت شعرها، وليس فى حالة سكر، وعلى الأرجح لا تتعاطى المخدرات وهى لا تشم أو تبصق على الغرباء، وأنت كوالدتها تعرفين أين تمكث نورا وترغبين ببعضًا من عاداتها اليومية، هذا هو الشيء الذى يجب أن تذكريه، وهو أنكِ ما زلتِ متصلة بها من حيث الوقت والمكان".

وقال البروفيسور هاميلتون الذى يدرس دورة فلوبير التى التحقت بها نورا: "كانت طالبة ممتازة حتى توقفت عن المجيء إلى الصف، لم يكن هذا بوقت طويل قبل الامتحانات، لقد أنت المحاضرة التى كانت بتاريخ ٢٨ مارس وتقريراً أنا متتأكد من هذا، ولكن كما تعلمون فالكثير من الطلاب يفشلون عندما يبدأ الجو فى التحسن، نظالما كانت فى حالة تأهّب و دائم الاستفسار. حسناً،

لقد كانت لدينا مشادة أو اثنان، وأنت تعرفين كيف تسير الأمور هذه الأيام، فهل يمكن أن تخيل فلوبير نفسه في حياة المرأة؟ كانت هذه هي القضية التي انقسم حولها الفصل، وهذا هو ما يحدث كل عام، فنورا ترى بوفوار كامرأة متملقة ومثالية بسبب فلوبير، ثم أصبحت رومانسية وغير قادرة على أى شيء غير أن تشكل قلبها الذين، هذه هي رؤية ابنته نورا وهي وجهة نظر قابل للتطبيق بشكل ممتاز، وهو أن السيدة بوفوار اضطرت للتخلص عن مكانها باعتبارها المركز الرئيسي للأخلاق في الرواية، ولا أحتاج أن أقول إن الآخرين عارضوها".

لم يقل توم ذلك، لكنه في بعض الأحيان يشير إلى أن نورا تتلاعب بنا أو أنها تعاقبنا لسبب ما. قاومت هذا التفسير. يذهب توم صباح كل يوم جمعة لرؤيتها في الطريق إلى مجتمعه الخاص بأبحاث التريلوبيت، وهو فقط مجرد عضو خبير في هذه المجموعة الصغيرة بجامعة تورنتو، لقد يئس من التحدث معها، والآن يجلس معها فقط لمدة نصف ساعة على كرسي يأخذه معه دائمًا لهذا الغرض، ويضع لها بعض المال في مظروف، كان يضع لها نقوداً وليس شيئاً، تعيش نورا خارج نطاق الشيكات والبنوك والتوقعات، بالرغم من أن هناك بنكاً في الزاوية التي تجلس بها، وبينما آخر عبر الشارع. فكر توم وهو يفكر في العشرينات من عمره: هل تتلاعب بنا؟

أرسلت لي صديقة قديمة من أيام المدرسة جواباً، وتدعى جيما والش وهي عضو نشط في الكنيسة المتحدة، لتخبرني أن اسم نورا تمت إضافتها على قائمة كل الصلوات في أونتاريو، رددت عليها بخالص شكري، وكانت أعني هذا بكل صدق، لم أكن أعرف أنني أمتلك كل هذا العمق من المصداقية بداخلني، ظننت أن الصدق انمحي مع جيلانا، وأنه اختفى مع خيبة الأمل بعد الستينيات وسيطرة التجارة والمال.

وأرسلت لي ماريتا جلاس زوجة كولن جلاس جواباً، ولكنها منفصلان، وقد أرسلت لي من كالجاري نقلًا عن جولييان من نوروبيتش قائلة: "كل شيء سيصبح جيداً، ويجب أن يكون كل شيء بخير، ويجب أن تكون كل الأشياء بخير". وهو يعني أن كل شيء على ما يرام في الوقت الراهن وفي اللحظة القادمة والتي تليها أيضًا.

ولكن دانيال ويسترمان مع يقينها الذي لا يتزحزح، لم تتخلص من وجهة نظرها وهي أن نورا ببساطة قد وصلت إلى معرفة العجز بالنسبة لها، ولا تعرف ماذا تفعل حيال الأمر، "التخييب في المجتمع ممكن لعدد قليل؛ فالانقلاب هو التكتيك الأكثر شيوعاً للعجز، وهو تراجعها من المجتمع الذي يحده الجمود" (على قيد الحياة، ١٩٨٧، ص ٢٠٤)، لم أكن أميل إلى الاعتقاد في صحة هذه الجملة عندما ترجمتها للمرة الأولى، ولكنني الآن أؤمن بها يقيناً، ففرضية دانيال انتقلت إلى جسدي وتحتل مساحة أكثر وأكثر.

فقط

٢٠٠٠ ديسمبر

عزيزي دينيس فورد هيلبرن

لقد انتهيت مؤخرا من كتابك "فجوة الأخلاق" و تكونت لدى
انطباعات أريد عرضها، لقد استغرقت وقتا طويلا لقراءة هذا
الكتاب واستيعابه (فقد احتجت لقراءته مرتين بالمكتبة العامة).

لقد ذهلت بنظرتك عن الأخلاق كنوع من الحلول للمشاكل،
وكلما استغرقت في النص والخاتمة كنت أرى معضلات أخلاقية
تبليور مثل المناضد والكراسي على الرصيف، والتي تتنامى سريعا
متاثرة بالتقديم التكنولوجي وانهيار النظام البيئي، هنا تقف الحلول
للمعضلات الأخلاقية عاجزة أمام المشكلات التي تطأها ومن هنا
تظهر "الفجوة": إن نموذج الأربعة عشر فصلا تمثل نموذجا للنجاح
والفشل في حل المشكلات، وسد الفجوة يعتمد أساسا على القرار

السرعى والتفكير فى الحل من جميع الجوانب بشكل خلاق. إن كل من يقومون بحل المشاكل فى أمثلتك فى الأربعة عشر فصلا هم رجال، ولقد تحققت من الفهرس ونادرا ما تم ذكر أى امرأة مما يجعلها معضلة أخلاقية فى حد ذاتها، ألا تعتقدين هذا؟

استمعى لى، كيف أثرت مثل امرأة تماما، والطريقة التى أتحدث بها بلا طائل عن أوهامى حول الاضطهاد. الواقع أننى امرأة وأم لابنة فى التاسعة عشرة من عمرها فى ٢٠ مايو، والتى تعانى بشدة، فهى تنفر من عائلتنا والمجتمع. نحن لا نعرف سبب الضيق الذى تشعر به نورا، ولكن مقتنعة تماما أنها تتفاعل أخلاقيا ومن ناحية المسؤولية بالطريقة الوحيدة التى تستطيع أن تفعل ذلك بها، من أجل أن تتبع عن هذا الكون. ما تراه هو عبارة عن سلسلة لا نهاية لها من العقبات، والمواءمة بين الأبواب المغلقة. حتى الآن هى لا تسعى إلا للخير، وطبيعة الخير، وكيف نتعلم أن نكون جيدين وما يعنيه هذا.

لا اعتقاد أنك كنت تنوين أن تكونى مُحبطة فى كتابك، أعتقد أنك قد أغفلت أولئك الذين يتم تجاهلهم بشكل طبيعى، وهذا يعنى نصف سكان العالم، بالمناسبة قد لا تكونين قادرة على التقاط نبرتى فى هذه الرسالة، ولكن أحياول أن أطرح اعتراضى بلطف، فأنا لا أصرخ كما يمكن أن يخطر ببالك، ولا حتى أشكو بالتأكيد لا أحياول أن أترك بصمتى، ولكن يمكن أن تقولى إننى أهمس فى أذنك،

الشيء الأخير الذي أريده هو أن يتملكنى الشعور بأنى مصابة وهذا ما يجعلنى أغضب يوميا، الغضب شيء غير إنسانى، وهو مثل الأداء الذى لا يأتى أبدا، حاولى أن تتخيلى عالمي الخاص من المشاعر فى هذا الوقت من المتاعب، واعتقادى أن هناك دائرة تربط منهجك الفلسفى واستقالة ابنتى من الحياة، وكمية الخلل الوظيفى التى حدثت لها، ربما سترفضين هذا باعتباره رسالة من إحدى النساء اللاتى يحاولن التسول كى يتم الاعتداء عليهن، ولكن يجب أن تفهمى أنى أسعى لحماية نورا وأختيها الصغيرتين، كريستين وناتالى اللتين تريдан فقط أن يسمح لهما بأن تكونا إنسانتين كاملتين. ويجب أن تعرفى أنى أكتب هذه الكلمات وأنا أرتعد مثل شجرة من الأعصاب.

عزيزتك

ريتا أورانج دى فيل

إلا إذا

قلت لدانيال ويسترمان يوم الأربعاء عندما كنا نتناول الفداء سويا في الغرفة المشمسة "الفضيلة هي الأداء، نوع من الأفعال، لقد قال أحدهم هذا ولكن لا أتذكر من تحديدا".

فتمددت على كرسيها وقالت وهي حالمه "أعتقد أنه يتس

"نعم هو يتس"

إنها امرأة تملك ٢٧ درجة شرفية وقد أعطت العالم رفا كاملا من الكتب، وقد أعطت أفكارها وخططها لعالم جديد وأفضل.

هناك مدرسة ثانوية في أونتاريو باسمها وفي فرنسا في مدينة صفيرة تدعى ماكون، وهناك ميدان دانيال ويسترمان، ومساحة عامة جميلة مع أشجار الزيزفون والمسارات المرقعة وقد تمشيت فيها أنا وتوم في أوائل مارس الماضي، وبدا أننا نتحرك في فصل ربيع دائم، وكذلك ظن الناس الذين كانوا يمرون بجوارنا والأسر

وكبار السن، لم يعرفوا وقتا للكتابة الثابتة أو العار، وأنهم لم يروا هناك أشعة الشمس الدافئة قط.

وفي سنواتها الأخيرة أصبحت دانيال غريبة الأطوار وحتى معى أنا مترجمتها، وقد شكت أنى تخليت عن "الخطاب" كما تصفه دائما لعدم الجدوى من كتابة الرواية، لديها طريقة لخفض فكها عندما تتجنب الحديث فى هذا الموضوع، وتبعد عيناهما منتعشتين بخيبة الأمل، لديها قوة إقناع تجعلنى كثيرا ما أجده نفسي متتفقة معها، ما هى الفائدة من كتابة الرواية عندما يعوى ويتلوي العالم؟

إن الرواية تساعدننا فى أن نخفض صوت "خطابنا" الداخلى، إلا إذا كان يمكنها تقديم البديل، خطاب به تفاؤل وأمل، إنها مجرد سرد متفتت، إلا إذا .. إلا إذا ..

إن كلمة إلا إذا هى الكلمة القلق فى اللغة الإنجليزية، فهى تطير مثل الفراشة حول الأذن فبالكاد يمكنك سماعها، ومع ذلك يعتمد كل شيء على وجودها، إلا إذا هى الكلمة الشرطية التى تحملينها بين تجاعيدك، فهى دائما موجودة أو غير موجودة (إذا أضفت حرف K زائد لكلمة unless ستحصلين على Sans So- leil، وهو فيلم قديم لكريس ماركر).

إلا إذا كنت محظوظة، إلا إذا كنت سليمة وخصبة، إلا إذا أحببت وتغذيت، إلا إذا كنت واضحة تجاه اتجاهاتك الجنسية، إلا إذا

عرض عليك ما عرض على الآخرين، أنت تذهبين إلى الأسفل في الظلام، إلى اليأس. إن كلمة إلا إذا توفر لك بابا مسحورا، نفقا في الضوء، الوجه الآخر لا يكفي. إلا إذا تمنعك من الفرق في الترتيبات الرئيسية، وبشكل ساخر، فإن كلمة إلا إذا هي الرافعه التي تحول الواقع إلى منظور جديد أخيرا، لا يمكنني التعبير عنها بالفرنسية، moins que ليس لها نفس الثقل؛ sauf هي كلمة خام. إلا إذا هي معجزة اللغة والإدراك، هكذا تقول دانيال ويسترمان في مقالها الأخير "ظل على العقل". إنها تجعلنا قلقين، وماكرين، ماكريين مثل الذئاب التي تنشأ في معظم الحكايات الخيالية المثيرة، ولكنها تعطينا أملا.

في سن الخامسة والثمانين، لم تفقد اعتقادها بالخرافات في سوء الحظ وحسن الحظ، فقد نالت كفایتها من الحظ السيئ والجيد، حتى عندما يتعلق الأمر بتغيير العالم، لقد أنت مثل راهبة ذات طراز قديم وقد تقبلت طبيعتها المختلطة. إن كتابها الجديد يبيع بشكل رائع في كل مكان وبسرعة، وقد أحبه الناس بسبب أصالته وتحليله القوى. لم تقم بعمل جولة لنفسها وبالكاد قامت بعمل إعلانات للكتاب، ولكن ردة الفعل على الكتاب كانت قوية، تحدثنا عن استعراض الكتاب اليوم ونحن نأكل السمك المدخن والبيض المتبول الحار، يا له من استعراض غنى للغاية، أحدهم يشير إلى التدفق "السحرى" في النثر وأنا أحب ذلك، وأخر طالب دانيال

بأن تكون كنزا وطنيا، وهو لقب يجعلها تتشنج قليلا ولكن بالنسبة لى يجعلها تحصل على سلطة ما، وبعدها انقلنا لموضوع كيف نحمل تاريخا مزدوجا فى رؤوسنا، ما هذا وما يمكن أن يكون وكيف يمكن أن نحاول ألا نجعلهما يتضخمان أو يتقلصان مع بعضهم البعض.

لقد حذفت الجذور القديمة من حياتها، أو أنها تظاهرة بأنها فعلت ذلك، لقد عمل أبي فى البريد بمدينة ماكون، وأمى فى حانة فى لاروش فينوس، كانت شقتهم فى هذه القرية مكونة من ثلاثة غرف فى منزل بشارع Allemagnes، لكنها ترفض التحدث عن تلك الأيام (على الرغم من أنها لم تتردد فى أن توصى الناس بالذهاب إلى لاروش كوجهة سياحية)، وفرت طاقتها من القمع فى سنواتها الأولى، وقررت أن تنفقها فى مكان آخر، لابد أن هناك يوما أو لحظة عندما اتخذت هذا القرار، وقالت إنها ميتان وكانت تقصد إما والديها أو السنوات الأولى، وأضافت قائلة: "بالنسبة لى هما ميتان"، بدأت مذكراتها عندما كانت فى سن 18 فى باريس، كانت قد حصلت على شهادة الثانوية واستقلتقطار والتحقت بجامعة السوربون، كانت هذه الأحداث كثيرة على طفولتها، وقد استطاعت بأعجوبة أن تخرج بهذا المخطط للحياة حتى الآن على الأقل.

سألتها اليوم "كيف لك أن تتحمل ذلك؟" ، لقد أخبرتها بالفعل عن رئيس التحرير من نيويورك، الذى أجبرنى على إرسال النصف

الذى انتهيت منه فى الرواية، وأخبرتها أنى رأيت نورا فى وقت مبكر من صباح اليوم، وكيف أنها كانت واقفة على قدميها بدلا من الجلوس على الرصيف، تخطو بين مخرج مترو ومحطة الحافلات، ذهابا وإيابا، وضعفت يديها فى جيوب سترتها وكانت رقبتها ملوية داخل السترة من أثر البرد، وتعلق فى رقبتها اللافتة المكتوب عليها "الخير"، أخبرتها كيف أن ناتالى وكريس قررتا عدم الذهاب إلى تورنتو لتكونا مع أختهما، كان الجو باردا جدا على حد قولهما، وكان أمرا عارضا بعض الشيء، وكانت هناك مسابقة للكرة الطائرة فى أورانج تاون، وفي النهاية أخبرتها عن الإحباط الذى أعانى منه وأنا أقرأ كتاب "فجوة الأخلاق"، والجواب الذى كتبته بسرعة إلى صاحبته.

"وهل أرسلت هذا الجواب بالإيميل؟"

"حسنا، لم أفعل".

"آهـا!"

شرحـت لها أنتى أحيانا لا أصدق ما أكتب، فلا أستطيع الاعتماد على تعبيراتى، وآرائى وتصوراتى عن الظروف الحالية والمدمرة. وفي كثير من الأحيان فى اليوم التالى أنظر فيما كتبته، وأنركه وأنا أهز رأسى: من هى المرأة العجوز التى تشفق على نفسها لتكتب مثل هذه الكلمات، من هو الشخص المثير للشفقة الذى يكتب رسائل إلى

الغرياء؟ في الأسبوع الماضي تعرفت على أليكساندر (ساندي) فالنتر في حفلة، وهو من كنت قد كتبت له رسالة توبیخ، وتبين لي أنه متواضع وكيس وطيب.

فمن هي هذه المرأة المجنونة، التي تقوم بكتابة قصص الخيال عن استبعاد الإناث وتطبّقها على ابنتهما؟ في كثير من الأحيان - لا أخبر دانيال بهذا - لا أهتم بكتابة تلك الكلمات، فأنا أفكّر في خطاباتي سطراً بسطراً، وأرتّبها في رأسي مثلما أزيل الغبار من تحت السرير، وهذا يكفي كي أظل بكمال قوّاي العقلية. حتى الآن أريد أن أعرف أنّي لست وحدي فيما أفكّر فيه وأدركه، وهذا النقص البشع الذي يعيش بداخلي كل هذا الوقت ولكن لا أجرؤ على النطق باسمه، فأنا غير مستعدة لفضح نفسي.

هل فهمت دانيال الأمر بالفعل؟ أعتقد أنها فهمته ولكنني لست متأكدة من هذا الآن.

لقد استهانت بجمال ستّرتها النسوية القصيرة، أكمام رقيقة وضيقّة وسترة زرقاء من الصوف ينبعى استبدالها، والأسورة الفضية على المعصم التي تبدو أنها مصنوعة من الشمع القديم، وتلّاث حلقات فضية ترتديها بشكل فضفاض على يديها الرفيعتين، وأظافرها الجميلة التي تحافظ عليها طويلة وقرمزية. كيف تتحمّلها؟ كل الكلمات التي كتبتها وكل السنين المدفونة بداخّلها. ماذا

يساوى رف الكتب الخاص بها، ما القوة التي تملكها هذه الكتب على العالم؟

كيف يمكنك أن تحمل ذلك؟ أنا أنتظر جواباً، ولكن ليس في القريب العاجل، قولي لي، قولي لي، أعطنى جواباً، أعطنى فكرة مليئة بالأناقة والفائدة مثل بستان التفاح وراء بيتي، شيئاً يمكن أن أستمد منه بعض الشجاعة، إنها تتجاهل هذا مرة أخرى، ولجزء من الثانية فسرت هذا التجاهل على أنه استسلام، ولكن لا، ولدهشتى، ابتسمت فجأة ابتسامة مشرقة، وكانت أسنانها الصناعية تبرق مثل السيراميك، وبعدها رسمت فى الهواء قوساً رشيقاً وبيضاء، وحيتني بكون الشاي.

في هذا الاتجاه

تمشيت وأنا أمسك يد توم في أحد صباحات ديسمبر عند المقابر في أورانج تاون، ويعلم والله ما كنا نبحث عنه، لا يهم كثيرا فنحن هنا معا نسير ونتحدث، وقد بدأت برودة الجو تقل، أما قمم المعالم الأثرية القديمة من الحجر الجيري، فلم يكن عليها ضوء الشمس في صفوتها الأنique، وكانت تلمع مع الجليد الذائب. كنا نرتدي سترات خفيفة وأحذية مطاطية، وهمست تلك الأحجار: بهدوء من فضلكم. هذا شيء نقوم به في كثير من الأحيان بعد ظهر يوم أحد، ليس لأننا مرضى ولكن مجرد الرغبة في التوادج بمكان هادئ، تقربيا نحن فقط من تتوارد هنا، منذ سنوات كانت الناس تزور المقابر بانتظام، وتتأتي للقبور وتزودها بالزهور التي توضع على النصب التذكاري، وينطقون بكلمات التحية لمن يرقدون تحت التراب، وكأنهم يؤمنون تماما أن الموتى متواجدون بالفعل على بعد بوصات قليلة ويتطلعون لحادثة بسيطة. إن أحجار مقابر أورانج

تاون تجعلها باردة في الأيام الحارة، وهي تستهير بالرعاية الجيدة فيها وغرابة النقوش الموجودة بها، ويوجد هنا مخزون من الآثار المقدسة والحديثة واحتضان عاطفى للموت، واستحضار أغلى لحظات العمر، والبكاء بجوار الأضرحة والتاريخ المؤلم. يندهش الناس من العثور على قطعة من الجرانيت منحوتة في حجم طفل رضيع مستلق على ظهره، وهو يبتسم ويلاعى السحب بالأعلى، كان مكتوبا على النقوش "صغيرنا جاك ذهب إلى السعادة الأبدية"، ولطالما بكت بناتى كلما رأين هذا الطفل من الجرانيت، وكن يصممن وهن صغار أن يزرن جاك الصغير كلما تمشينا هنا في المقبرة ويستمتعن بدموעهن كلما لمست أيديهـن رأس الحجر المجدـد، إنها مأساة؛ طفل صغير محبوب انتزع من بين ذراعـى والديـهـ، وهذا حيث تتفجر الذاكرة وتتبدد ويتم استبدالـها عن طريق ملـاك متجمـدـ، وهو يخدش الهواء بالبهـجةـ الأبـديةـ.

وعلى حجر آخر قبيح واسع ويأسرك منحوت عليه "مارى ليلاند، ١٨٦٢ - ١٩٢١"، وتحتها كلمات بسيطة تقول "كانت تعتنى جيدا بدرجـهاـ".

إن هذه النقوش محيرة، ولهذا السبب يرسمـهاـ الناسـ، وهذه الحجـارةـ المعمـاريةـ تعـنىـ للأـطـفالـ، وليس الدـجاجـ. إنـ هـذـاـ ماـ يـظـنهـ بعضـ النـاسـ، وهوـ أنـ الأـزمـيلـ يـتـرـاجـعـ قـليـلاـ لـيـطـبعـ رسـالـةـ خـاطـئـةـ، ولكنـ ربـماـ لمـ يـكـنـ لـدىـ ليـلانـدـ مـارـىـ أـىـ أـطـفالـ، وربـماـ لمـ يـكـنـ لـديـهاـ

غير الدواجن لخدمتها وكى تقوم بعمل دعاية للخير الذى تقوم به، أو ربما كان هناك زوج، أصيب بالمارارة بسبب إهمال زوجته، وكان يسخر منها فى قبرها. حاولت فى الآونة الأخيرة أن أركز تفكيرى على عموم الأشياء وليس على أشياء بعينها، وهذا يتطلب إرادة، وجهت أفكارى بعيدا عن دجاج مبارى ليلاند، وبدلا من ذلك أركز على صفوف البقايا المقوسة وأحجار الجرانيت المائلة، المساحة كلها حوالى ثلاثة أفدنة، وقد مات الكثير من الناس.

هناك أناس يصنعون الحياة من التفكك، إن الإيجار هو كل ما يطلبوه فى رفضهم للاندماج مع جيران معينين أو غرف معينة. لكن توم مختلف، فهو يعمق فكرة المنزل، وأننا أعرف هذا من البداية، منذ أول لقاء لنا، على الرغم من أننى لم أكن قادرة بعد على التعبير عن هذه الفكرة.

ليس صحيحا أن الناس فى الزواج طويل الأمد يذوبون فى بعضهم البعض ليصبحوا شخصا واحدا، لامست كوع توم، لامست كم سترته، فوضع ذراعيه الطويلين حولى وأمسك ثديي بيديه بأقصى طريقة ودودة ممكنة، نحن شخصان فى لقطة واحدة ولكن مع القليل من قص الصورة والتركيز علينا يمكننا أن نتواجد معا، ولكن ليس هذا ما نريده. ما زال الإطار ثابتا ويحتوينا معا، وهذا هو ما نريده، وهذا هو ما يلزم للحفاظ على العالم من الانفجار، هناك سترته المدبعة، الواقية ذات السوستة والفيبر الناعم

السلس، لا شيء يدعو للفت الانتباه لنفسه، أكثر الملابس شمولية. وعلى الجهة الأخرى، هناك هؤلاء الرجال الذين يثيرون الصخب من شارع باى والذين يختارون ألواناً زاهية مثل ألوان البط البرى أو اليوسفى كى يرتدونها فى عطلة نهاية الأسبوع، أو جلود الحيوانات والماعز والخرفان، وهكذا. ورجال يلمعون بسبب الكتفات والسامير والعلامات والشارات وخارقى القانون على إعلانات نوتيكا والجرمين فى رداء الببلىن القطنى، الملمع بالضوء، ولكنهم يعرفون أنهم يرتدون الملابس الصحيحة، وأنهم بذلوا مجهوداً كبيراً، أكثر من رجال آخرين مثل توم لم يجروا على بذل مثل هذا المجهود.

زوجى لديه شكوى واحدة فقط منذ مرحلة الطفولة، وهو أن أمه كانت مديرية منزل سيئة، وذات مرة كانت تحك صابون الغسيل فى أنحاء الحمام، وهو يتذكر كيف أن الكتلة الذائبة من البالموليف تعرفت بالأوساخ التى بها، وهو شيء يثير الاشمئزاز وقد رفض لمسه، ولم يلاحظ أى شخص تجنبه للصابون، واستمر معه هذا الأمر لسنوات. لم يكن أحد يتصور أنه أمر مهم أن تقع عيناه كل يوم على الصابون، أخبرنى بهذا الأمر فى أول أيامنا معاً، فقد أرادنى أن أتفهم حساسيته الشديدة تجاه الحمام وترتيباته، وكان قلقاً أنى ربما أظن أنه أحد هؤلاء الرجال العصبيين بشكل هزلى الذين نقرأ عنهم فى الروايات. لو لم يكن لديك أم مثل هذه فلن تتفهم الأمر، ولو لم يعط لك لمحه بديلة عن الانتظام، فلن تمانع.

ستحتاج أن تعرف عن هذا الشريط الحريرى الجديد فى طبق به القليل من الخزف، وأن أمرا مثل هذا محتمل، إن طفولة أى شخص يمكن أن تكون مفككة إذا ما أعيدها ورددت فى نمط معين، ولكن لسبب ما استطاع توم أن يتعافى تماما من خوفه من صابون الأطباق المتسخة، وفي هذه الأيام أصبحت والدته مهووسة بنظافة المنزل حتى أنها استخدمت تلك المياه الزرقاء المطهرة فى مرحاضها.

كنا نتحدث عن والدته ونحن نتمشى بين القبور، لويس وينترز - ماكسويل -، أرملة منذ اثنى عشر عاما حتى الآن، وتحب ابنها بشدة، فتوم هو طفلها الوحيد، وتعشق حفيداتها الثلاث، وتحبني بشكل كاف على ما أعتقد، ولكن هناك فجوات كبيرة بيننا، فهو مثلا تأخذ كتابى طوال الوقت وتكتسى على طاولة القهوة ذات السطح الزجاجى، ولكنها لم تقرأ أيا منها، وهذا أمر يشعر به الكاتب على الفور، وتتصاعد حواسها فورا عندما تسمع اسم أحد كتابى، أنا أتفهم تماما هذا الرفض من جانبها وأسبابه، وليس للأمر علاقة بالرفض، ولكن كل ما في الأمر هو كونى أم أحفادها وزوجة ابنها، ولا يمكن تحدى هذا الترتيب بهواياتى، أو تسلياتى أو حياتى المهنية أو شغفى.

لقد تغيرت منذ أن ذهبت نورا إلى الشارع، كما لو أن دماغها أصبحت بطيئة بعض الشيء لفترة طويلة جدا، مثل ورقة الخس فى

الزيت والخل، وتدهرت حالتها ببطء، وبما أنها تتناول العشاء معنا كل ليلة فهى من تحضر الحلوى، شئ حلول مصنوع بالمنزل، واستطعنا أن نلاحظ تدهورها التدريجي يوم بعد يوم. ومع ذلك هناك وقت حيث تحتل دورا حيويا فى الحوار، وتسأل البنات كيف يحبون مدرسيهم وكيف حال فريق السباحة. ورغم أنها امرأة مزعجة بشكل دائم ولكن لها آراء سياسية، وليس محافظة، هذا صحيح، ولكن لها آراؤها وهى تستمع الى الراديو وتتابع الشؤون العامة.

ظللت تسأل "أين نورا؟" "متى ستعود نورا للمنزل؟" وفي النهاية أخبرها توم القصة بحزن شديد؛ أن نورا قد خرجت من الجامعة، وأنها انفصلت عن صديقها، وأنها تسير في طريق الخير الروحاني، والذى لا تستطيع العائلة أن تفهمه، وهى تبعد نفسها عنا وتنام فى مأوى، وتتسول الأموال فى زاوية فى باثورست وبلور فى وسط مدينة تورونتو، ولكن الجميع يتمسک بالأمل فى أن تعود نورا تلك الفتاة التى عرفناها وأحببناها، وأنها ستتعافى من أى وهم اعتراها، وأننا نفعل كل ما يسعنا من أجلها، وأنه على جدة نورا ألا تقلق..

حسنا هي قلقة بكل تأكيد على حفيديثها الكبرى وأقربهم إلى قلبها، وإذا أفصحت عما فى قلبها ستقول إن نورا هي حبيبتها، تطور الأمر من أنها تجلس على طاولة العشاء فى سكون حتى أصبحت لا تتحدث، وفي الأسابيع الأخيرة أصبح صمتها انعكاسا

غير طبيعي لصمت نورا، حتى حالتها أصبحت انهزامية مثلها مثل نورا، وأتساءل في بعض الأحيان إذا كنا قد أصبحنا جميعا، توم وناتالي وكريس ولويس، ممثلين في مسرحية الظل التي تلعبها نورا، وإذا كنا في الشهور الأخيرة أصبحنا حذرين ومتخوفين وغاضبين وننتظر أن يعود لنا ما كان لنا في يوم من الأيام، فكلنا تجمدنا وبقينا في مكاننا حيث لا يتغير أي شيء، حتى بيت نفسه تباطأ حركته، حتى ابتسامته بدأت في الخفوت بإذعان .

لكن هذا ليس صحيحا للحياة خارج منزلنا، فأنا أنظر حولي وأرى جميع أنواع التغييرات وبعضها يشير للدهشة. ولسيب ما عاد أصدقاءنا كولن وماريتا جلاس معا من جديد، وهذا آخر ما كنا نتوقعه، فقد دعت حبيبها في البرتا، لقد سامحا ببعضهما، فالله وحده يعلم التجاوزات التي حدثت والهدوء الذي حل على خلافاتهما، فمن المدهش رؤية مثل هذا الانعكاس العاطفي، ويجب الاعتراف أن كولن يصبح حنونا ومحبا في حضورها، فمن الرائع رؤيتها وهو يساعدها على الجلوس في مقعدها على طاولة الطعام، وفي المقابل هي تكافئه بنظرة ناعمة وحنونة كفتاة صغيرة .

عادت شريتين لقوتها بنسبة كبيرة على الرغم من تعثر نتائج الانتخابات الأمريكية، وفازت مارجريت أتوود بجائزة البوكر، وقد ضمننا أن نحظى بكريسماس هادئ، وقد قامت نورا باستبدال شارتها القديمة بأخرى جديدة موقعة حديثا وهذا أيضا قد يكون مصدرا للبهجة .

تزوجت شيرلى باتيرسون، أمينة المكتبة في أورانج تاون، من طبيب أسنان من بومباي، يدعى سام سوندوهى والذى جاء طلاقه أسرع مما كان متوقعا، وأقيمت الخدمة المدنية يوم السبت منذ أسبوع مضى بعد حفل الاستقبال الذى أقمناه فى منزلنا لثلاثين من أصدقاء شيرلى وأصدقائنا، وقدمنا على الغداء الشطائر والشمبانيا فى أجواء احتفالية، من الذى لا يحب حفلات الزفاف؟ غنيا كان أو فقيرا، جيدا كان أم سيئا. أضاء توم المدفأة فى غرفة المعيشة وغرفة العشاء وبالطبع كانت هناك شجرة عيد الميلاد فى البهو، وقد تم وضعها منذ عدة أيام لتنماشى مع حفل زفاف شيرلى وسام، عممت تلك الاجواء السعيدة فى جميع أرجاء المنزل، بينما كنت مرتدية ثورتى الطويلة الصفراء المخملية، مررت على الضيوف بقطيع كعك بالفواكه على صينية من الفضة، وقد كانت تلك الصينية الوحيدة التى أخرجتها من دولاب الفضيات من أجل وقت الأعياد، استخدمت دبوس الشعر الذى أهداه لي توم منذ عشر سنوات لتثبيت زينة الكريسماس الفضية الصغيرة فى شعرى، كنت أبتسم وأبتسم أينما ذهبت، أليست معجزة أن يجد اثنان مطلقاً بعضهما فى مكان كأورانج تاون فى أونتاريو فى قارة أمريكا الشمالية الكبيرة المتلائمة. كنت أبتسم قائلاً: "من فضلكم تذوقوا كعكة الفواكه الرائعة تلك التى أعدتها حماتى من وصفة عائلية قديمة، وكان توم واقفاً عند الباب الأمامي للترحيب بأى ضيوف قادمين

للحفلة، نظر إلى مبتسمًا ابتسامة واسعة، إنه حب حياتي. وعلى طاولة البوفيه يوجد سلمون وردي اللون. في مثل تلك اللحظات بلا سبب محدد أشم رائحة خشب التفاح يحترق في المدفأة مما زاد من افتراضي أن الأمور ستسير على ما يرام.

وبعد ذلك سوف أبتعد عن دائرة الأمان، وأنا أتألم بشكل كامل وأشعر بأن روحي التي تسكنني منكسرة من كل زواياها، بمجرد أنني عرفت أن نورا تجلس في البرد والثلج بوسط مدينة تورنتو، وأنها قد ذهبت لأبعد مكان يمكن أن تذهب إليه، كلما كان ممكناً أن تذهب إليه.

فلا توقف عن هذا ولا عود للهميمة وأتناول بعض الكعك، هناك قهوة في غرفة الطعام، وأسمع صوتاً في رأسي يقول: فلتكوني حذرة.

ننظاهر فقط بأننا منخرطون في الوقت، وإذا استمعت جيداً ستشعر في كل مكان أن صوت المستقبل يصدر وكأنه ينكسر، وبغض النظر عن مزاجي المتخبطة، ولكنني أنهيت روايتي Thyme in Bloom، وقد أنهى كل من أليسيا ورومانت علاقتهما ببعض الحجاج التي تحدثا فيها وبتصرفات سيئة من الجانبين. الآن هما يتناولان الطعام والشراب، ويمارسان الحب، ولكنهما دمرا بشكل منظم ما كان يوماً بينهما، وطحنا جوهر الحب بحججهما الفلسفية بحيث لا يتبقى شيء غير أرز محروق، وكأنهما يحاولان بشكل مؤثر ويائس

أن يطهوا وجبة رومانية في شقة رومان. أصبحت أليسيما أكثر رغبة وأناقة وجمالاً في استقلاليتها، يمكن أن نرى تزايداً مطرداً في ملاحظاتها، في حين يكشف رومان عن سلوك غريب ومزعج، مثل تلك الجوائز الصفراء المخططة. أصبحت ذقنه القوية أقوى، وشهوته الجنسية أقوى، وعندما يتدرّب على التروليمبون الخاص به غالى الثمن، فإنه يصدر ثقوباً خشنة كبيرة في الهواء، وهو يفكّر بصوت عالٍ في كثير من الأحيان عن علاقاته في ألبانيا التي لم تعد موجودة وهو يتحسّر عليها، كل ما مرّ به، ومع ذلك ماذا يمكن أن يفعل؟ ذهب إلى تيرانا في عام ١٩٨٦، وحاول أن يتواصل ولكنه لم ينجح، ووصل إلى السجن وتم تهديده ولكنّه أحب هذا المكان الملعون.

يتبعى لى فصلان أو ثلاثة للانتهاء من *Thyme in Bloom*، ثم الخاتمة والتي ستحتوى على تحريف، من المؤكد أن يتحدى أي نية جيدة لدى القارئ، ولكنّي مصممة على المضي قدماً في الأمر، وأنا أعمل لهذه اللحظة المليئة بالاختراعات، كيف يمكن أن يكون هذه؟ كيف يمكن لامرأة فقدت ابنتها وتعانى من قلق حاد أن تكون قادرة على كتابة الخيال الهزلي؟

على الرغم من أنه يجب القول أن محرري الجديد السيد سبرينجر لا يوافقنّي الرأى على أن *Thyme in Bloom* خيال هزلي، ولكن على العكس تماماً.

أيا كان

كان ضوء الشمس في وسط النهار يتسلل للمطبخ ورن الهاتف،
"مرحبا، هل يمكنني التحدث مع السيدة ريتا وينترز من فضلك؟"

"أنا ريتا وينترز"

"أنا آسف ريتا لأنني لم أعرف صوتك"

"لدي برد نوعا ما"

"أنا آرثر، آرثر سبرينج"

"آرثر"

"أنا من نيويورك .. من سكريبيانو و ..."

"آما أعرفك بالطبع، كيف حالك؟"

أتمنى لكِ وعائلتك أن تكونوا قد قضيتم أجازة عيد سعيدة".

نعم، لقد كان عيداً جيداً، وماذا عنك...؟

ـ أعتذر على اتصالى فى المنزلـ

ـ فى المنزل؟ لا داعى للاعتذار، فى الحقيقة هذا هو حيث...ـ

ـ أعتذر أيضاً على اتصالى فى أجازة الكريسماس، فهذا هو الوقت الوحيد فى العام الذى يجب أن تتحلى فيه أمور العمل جانبًا وأن يكون الاحتفال هو همنا الأولـ.

ـ حسناً، نعم...ـ

ـ هناك واقع مفروض علينا، وهو أن سكريبانو ولورانس ستغلق حتى بداية العام الجديد كما هو معتاد، ولكن متৎمس للغاية لمخطوطةك وبالتالي أردت أن أتصل بك فوراً، وظلت أنت أن ما بداخلك من طيبة سيعملك تسامحينى على قطع أجائزتك بهذه الوقاحة، ولا شك أنني اتصلت في وقت غير جيد على الإطلاقـ.

ـ لا عليك فتحن تقريباً في نفس المحيط الزمنيـ.

ـ من أين يمكن أن أبدأـ، Thyme in Bloomـ

ـ حسناً أنا...ـ

ـ انتهيت الليلة الماضية من قراءة المسودة ونممت بصعوبة، كنت أفكك كثيراً في أليسيانا ورومانت، شيء أقوى مني يضغط على وعيي، كل ما يتحملانه والشجاعة الشخصية وإحساسهما بأنفسهما كلما

نمت بصيرتهما، ورؤيتهما الداخلية الخارقة مثل الليزر، يمكنك أن تخيلي ما كنت فيه، والحزن الذي شعرت به عندما استيقظت، متعجباً أيضاً، وأنا أفكّر أن هذه هي الحياة، لم يعدنا أى أحد أنتا لن نعاني ونحن نشق طريقنا، فتوقعاتنا محكوم عليها بخيالية الأمل.

”ولكن يا آرثر“

”أليسيا والطيبة الموجودة بها، أخبرتك بذلك في آخر مرة تحدثنا أليس كذلك؟“

”نعم لقد أخبرتني وسعدت بهذا للغاية، أحاوّل أن أعرف ما هي الطيبة أو الخير، إنها جوهر ..“

”إنه الخير في الروح والقلب، شيءٌ تكاملٍ، لا تحتاجين حتى أن تحدديه أو تكتبي عنه، أظنك عرفت لماذا اتصلت بك فوراً رغم أننا في أجازة الكريسماس، حتى لو..“

”ولكن يا آرثر..“

”وهذا الرجل المدعو رومان ..“

”نعم؟“

”لا وصف له، هي الكلمة الوحيدة التي لا ينبغي أن يستخدمها الكاتب، ولكن بالنسبة لنا كمحررين فيمكننا أن نفكّر عن ماهية الشخصية التي لا وصف لها وتعقيداتها، هذا ما أعنيه“

"حقا؟"

"لا وصف لهذا، لا أعرف كيف سنقدمه على الورق، ولكننا سنعمل على هذا"

"أنت تعرف سيد آرثر سبرينجر أن هذا ليس النص كاملا، ومتبقى لدى على الأقل ثلاثة فصول لإنتهاء الرواية وما رأيته مجرد مسودة —"

"أعرف يا ريتا أن ما قرأتة مجرد مسودة وأنذكر حديثنا جيدا، وأعرف أنها مسودة جزئية، ولكن الشيء الرائع هنا بغرابة أننى أعرف ماذا تريدين من هذا، وأرجوك لا تقاطعني الآن.. ما أعنيه هو أننى أعرف ولا أعرف، فأنت لم تفوتى شيئاً و كنت صارمة وقربية من القارئ، ولم تعطه / تعطيها فرصة أكثر من أن يتنفس، ولكن بالنسبة للشكل من حيث الجمال الحسى الشامل فيه، أجده متماسكاً وبقوه وكذلك الاحساس بأن الشكل سيكمل نفسه بالطريقة التي يمكنه فعل ذلك بها".

"سعيدة أن هذا هو فكرك عن الرواية.."

"أنا أحذثك من المكتب فى الحقيقة، ولو عرف السيد سكريبانو أنى خرقـتـ أجازـةـ الـكـرـيسـمـاسـ فـلنـ يـكونـ مـرـتـاحـاـ فـىـ قـبـرـهـ،ـ وـلـكـ كـانـ عـلـىـ آـتـىـ وـأـنـظـرـ فـىـ My Thyme Is Upـ،ـ كـانـ بـإـمـكـانـيـ أنـ أـنـظـرـ فـيـهـاـ عـلـىـ الإـنـتـرـنـتـ،ـ وـلـكـنـ أـحـبـبـتـ أـشـعـرـ بـثـقـلـهـاـ فـىـ يـدـىـ وـأـنـ

أستمع فعليا لما ي قوله المراجعون في هذا الوقت، وأنا واثق يا ريتا
أنك قرأت بعضها بنفسك".

"أعتقد أننى قرأتهم كلهم".

" رائع، فلم أرتع أبدا للكتاب الذى يرفضون قراءة التعليقات
الخاصة بأعمالهم ويهتمون فقط بآرائهم، ويبدو لي هذا على أنه
غرس، على الرغم من أن مواجهة الانتقادات أمر مؤلم، إلا أنه جيد
من ناحية أنك تعرفي إذا كنت متصلة بالقارئ فعليا أم لا وعلى أي
مستوى، وهذا هو ما أنا مهتم بالحديث معك عنه يا ريتا، المستوى
والنقطة والفرض من الكتاب".

"حسنا إن..."

"وبالتالي قرأت كل ما كتب عن روایتك الأولى في نيويورك
تايمز وواشنطن بوست وغيرهما، وكانت هناك تغطية ممتازة
للرواية الأولى وهذا ما أشعر به حقا، وأنا أعنى ما أقول بالفعل".

"حسنا، أنا متفاجئة بكل هذا.."

"كلهم على مكتبي الآن وأنا أجلس هنا منذ ساعة أضع خطوطا
ودوائر حول الكلام المهم،وها هو سؤالي لك، الآن يا ريتا، كيف
تشعرين حيال استقبال الكتاب؟"

"لقد سعدت للغاية وذهلت من الاستقبال فعلا".

"جميل، فهل تشعرين بأن الغرض من الكتاب قد وصل للقارئ الناقد".

"أعتقد .. أعتقد أنه وصل".

"ما غرضك إذن من الرواية الثانية Thyme in Bloom"؟
"هل تعنى ما أهدف إليه؟"
"بالضبط".

"حسنا إنها تتمة، فافتراض أن غرضي كما قلت أنت، نفس الفكرة تقريبا، نفس الأشخاص ونفس المكان في ويشوود واستكمالا لنفس المشكلة...".

"المشكلة يا ريتا أنك تكتبين الآن شيئا مقدسا، ولطالما جذبتي هذه الفكرة بعمق، وقد كتبت قائلة أنك أنتجت رواية عن الرغبة البشرية، ولم أنس إطلاقا أن ما قرأته هو مسودة، هل تعرفين كم هذا نادر؟ كانت روايتك السابقة رواية رومانسية وبها كوميديا خفيفة الظل عن الأشخاص العاديين، وأرجو أن تسامحينى على هذا التوصيف".

"أتذكر أن أحد النقاد أطلق على من قبل لقب شاعرة تافهة، وكان هذا التوصيف في نقد لطيف، وضحكنا عليه كثيرا".

"نعم نعم هذا صحيح، لا ترين يا ريتا أن هناك مشكلة في تقديم روايتك الجديدة على أنها تتمة أو استكمال للقديمة".

"ولكنها كذلك بالفعل، فهناك أليسيا ورومان وخطة للزواج و..."
"على أي حال، لقد اتصلت كي أعرف متى يمكنك أن تأتي
لنيويورك، أرجو أن تأتي الأسبوع القادم إذا استطعت".
"لا يمكنني في الواقع أن آتي لنيويورك قريباً".

إنه من المهم للغاية أن نتحدث الآن سويا، قبل أن تنهي المسودة
و قبل أن تمضي قدما في الكتابة".

"أخشى أنه لا يمكنني ترك المنزل حاليا يا آرثر، فهناك بعض
الأمور العائلية.." .

"أتذكر كلام السيد سكريبانو عن المشاكل وابنتك التي تعاني
بسببها، ولكن أظن انه يمكنك الهروب منها ليوم أو اثنين".
"لا ليس هذا ممكنا"

"إذا سأتى إليك في أورانج تاون، في ذلك المكان قريبا من
مونتريال؟ أنا أعرف مونتريال جيدا"
"إنها قريبة من تورonto"

"حسنا أستطيع الوصول لتورonto بسهولة، سأستقل سيارة أجرة
لمكان النزل الذي تقطنـى فيه"
"باستطاعتك تأجير سيارة"

ـ سوف يستغرق يومين على الأقل يا ريتا لقراءة المخطوطة، هل هناك أية فنادق في بلدة أورانج تاون؟

ـ هناك نزل أورانج تاون، إنه إلى حد ما

ـ دعيني أتفقد جدول مواعيده، إنه أمامي حاليا، هل سيكون الثاني من ينایر وقتاً مناسباً؟

ـ دعني أرى، أليس ذلك يوم الاثنين؟ عذراً لقد احتللت على الأيام فأنت تعرف كيف يbedo أسبوع الأعياد، إذا كان ثلاثة أو أربعة ربما لا أستطيع ...

ـ الثاني من ينایر، سوف أكون على متن أول طائرة، حسناً "نزل أورانج تاون"، سوف أتصل على الفور وسأحجز لليلتين، الثاني والثالث من ينایر، ليكن ذلك واضحاً لك، فهناك الكثير لنتحدث بشأنه

ـ هل أنت واثق أننا نحتاج إلى ...؟

ـ إنها لفكرة رائعة، الهروب من ضجيج نيويورك للريف سيكون مفيداً في جميع الأحوال حيث الهدوء وما أدرانك ما الهدوء، فلقاء مثل هذا سيكون بداية رائعة للعام الجديد، عام سعيد ريتا

ـ عام سعيد لك أيضاً آرثر، هل مازالت هنا؟

ـ وانقطعت المحادثة

أى شئ

٢٠٠٠ ديسمبر ٢١

عزيزي إيملى هيلت:

لأسباب واضحة أنا لست بقارئة عادية فى شيكاغو ترببيون، ولكن محررى فى نيويورك (سكريبانو ولورانس)، أرسل لى كتابا لأبدى رأى فيه وقد وجده على الإنترت، وهو عن نقدك الطويل لرواية سوزان برايت *An Imperfect Affair*، وهى رواية أعترف أنتى لم أقرأها، وقد سعد هو كثيرا أنك ذكرت اسمى فى مقدمتك، مؤمنا أن كل أنواع الدعاية هي دعاية جيدة، وقد سمعت عن هذا فى كثير من الأحيان، ويبدو أنه صحيح.

لقد قلت إن النساء الكاتبات هن من فنانى المتننميات، مطرزات المشاعر. بدلا من اتخاذ طائفة عريضة من المجتمع مثل دون دي ليلو أو فيليب روث، الذى يفسر العلاقات من خلال "عدسة الرغبة"

الجنسية" عن النساء الكتابات، قد ذكرت هنا قائمة بعده من أسماء الإناث بمن فيهم اسمى - اللاتي يجدن حقائق عالمية في "حياة فردية صغيرة"، وقد قلت إن هذا "اقتراح صعب"، والذي لا يحدث إلا في بعض الأحيان.

أستسلم لحكمك عن روايتي، My Thyme Is Up، كانت كتابة سريعة وكذلك قراءة سريعة، مع عدم وجود فكرة عامة في الأفق ولكن فقط إشارة نحو الرغبات الجنسية.. حسنا، حسنا.. على الأقل لم تتم إهانتي، أحياول أن أكون موضوعية وأحاول أن أتجاهل الأمر بشكل خاص، إنه تجاهل عارض فقط إذا جاز لي قول ذلك! - إن هذا يثير جنونى، فلا يشك فى هذا أى أحد، ولا حتى عائلتى والأصدقاء المقربون، فى طريق العودة من المدرسة الثانوية تعلمنا أن الموضوعات الرئيسية للأدب، كانت الولادة والحب والتفاهم والعمل والشعور بالوحدة والتواصل والموت، وأمنا أن قراء الروايات هم أنفسهم "حيوات فردية صغيرة"، وكذلك الكتاب، فهم يعانون كما قلت من نقص في نطاق الموضوع، وهذه الحيوانات تحتوى هذا العالم الواسع الذي تسbig فيه، ومن أقلام كتابهم نجدهم يداعبون الشوق الجنسي لديهم، ولكن تركيزهم كان على الوعي المنفلق للفرد بداخلهم والإنسان والمخلوق، وكيف أن كلا منهم يستوعب بشكل منفصل كل ما هو خير أو شر، لم تكن هناك أى قواعد حول الخير والشر، ولا توجد قاعدة عامة، ولكن يبدو فقط أن جنسنا يسعد

أكثر عندما نكون خيرين، إن هذا سهل الملاحظة ولكن كتابته صعبة للغاية.

أنا أم لابنة عمرها ١٩ عاما طردت من هذا العالم من خلال بعض الاقتراحات بأن هذا مكتوب عليها ومقدر لها، استراتيجيتها هي التضخي بالنفس وأنا أعرف هذا الشعور. وإذا استخدمت جملة دكتورة دانيال ويسترمان المشهورة "هي يمكن أن تكون خيرة وليس عظيمة". وكما قلت فهذا "اقتراح مخادع" وهي قد خدعت.

عزيزي

ريتا دي أورانج

إذا

لقد استوعبت دانيال ويسترمان بأقصى درجة ممكنة، ولأقصى درجات التحمل المفارقة في الاستيعاب، فقد أنت لمكان تعرف جيدا أنه جيد، بما فيه الكفاية، عن أي وقت مضى، فهى لا تمتلك الطاقة للمقاومة أكثر من ذلك ولكنها لن تستسلم أيضا، فعلى سبيل المثال رفضت أن تحتوى آلهة القدماء، وقد قالت: لا يوجد مثل هذه الإله، ولكن فقط يوجد الترضية والشروع والفتات.

قالت سالي: "لقد عاشت حياة صعبة"

وقلت بإصرار: "لا، لقد عاشت حياة مميزة ومرضية"

وقالتلينا: "ورغم ذلك هي لا تكره الرجال"

"هي بعيدة عن هذا"

فقالت أنيت: "وهو ما لن يدهش أى شخص إذا ما كرهت الرجال"

فقلت متربدة وأنا لا أريد التحدث بلسان دانيال: "إنها فقط كانت تأمل في أن تحرز شيئاً أكبر، وليس تلك الخطوات الشرعية الصغيرة التي قلما تجعلها تصل لما تريد".

هزم كل من أنيت وليت رأسيهما ولكن سالي نظرت بحيرة قائلة: "يا إلهي، إن مجرد امتلاك غسالة ومجفف في حد ذاته تقدم، وحتى مجرد امتلاك مياه جارية، لقد ذهبت لأفريقيا ورأيت نساء لا يفعلن شيئاً طوال اليوم سوى حمل أباريق المياه".

سالي لم تفهم الفكرة ولا أعتقد أن لين فهمتها أيضاً، ولكن آنيت فهمتها على ما أعتقد، ربما لأنها امرأة سوداء.

فهزت آنيت رأسها بيده وقالت: "أعرف المأساة!"

اليوم هو صباح الثلاثاء، ٢ يناير ٢٠٠١، اتصلت بمكتب السيد سبرينجر في نيويورك وتركت له رسالة بها مفاجأة وحاسمة، وقلت فيها أننى لن أكون متواجدة حتى يوم الجمعة الخامس من يناير، فيوم الثلاثاء أتناول القهوة مع أصدقائي في أورانج بلوسوم بغرفة تناول الشاي، ويوم الأربعاء أذهب لتورننتو، لم أشغل بالى بشرح التفاصيل الخاصة للسكرتيرة أدريان، ولكنها اتصلت بي بعدها مباشرة لتقول لي أن آرثر أذعن للأمر، وهو لن يستطيع أن يكون متواجداً في الخامس من يناير ولكنه حتماً سيصل الجمعة في التاسع عشر، وسيأتي للمكتب في الثالثة بعد الظهر. ويتطلع لأن يقضى أجازة نهاية الأسبوع في القرية.

قالت لين كيلي بطريقتها الممتعة " يقضى أجازة نهاية الأسبوع في القرية؟ فيم قد يفكر؟ أحسنة وأشياء من هذا القبيل؟ فقلت "أعتقد أنه بإمكانى حضور حفل عشاء ولكن فعلًا يجب ألا أكون منزعجة"

"حفل عشاء (يفـ٦)"

"وليمة نشارك في إعدادها؟"

"يمكنك أخذه معك لسوق يوم السبت صباحاً، لقد تحسن كثيراً في الآونة الأخيرة، هناك امرأة تقوم بعمل الخرز من بتلة الذهور الباسة.."

نعم ويفترض أن لديها رائحة عطرة لا تنتهي، ولديها بعض الطرق كي تدمجهم معاً.

"هكذا تصنع مساجح الدعاء الأصلية..."

"حقاً لم أربط بينهما من قبل"

"وهناك ذلك الرجل الذى يصنع الكراسى من الفصون الصغيرة.."

"التي لا يمكنك الجلوس عليها"

إنها نحت وليس مجرد قطع أثاث بالنسبة له، وهناك شخص جديد شعره طويل، حتى أنه وصل لخصره وهو يأخذ قطع الخشب

ويركب بها أدراجا سرية صغيرة وداخل الأدراج توجد أدراج صغيرة أخرى..

وسألت سالي "كيف تظنين أنه سيكون؟ آرثر سبيرنجر مع..."
فقلت "لا أعرف، ولكن خائفة جدا من أن يكون.... لا أستطيع
أن أقول الكلمة المناسبة، ولكن.."

"نيو أيجي؟"

"نيو يوركى"

"هل هو رائع؟ أم لا؟"

هززت رأسى وقلت "أخشى أن يصبح متملقا"
"يا إلهى"

"لا تدعيه يفعل ما يروق له"

"تملقيه إذا"

"مغورو مثل..."

سيتوجب على أن أطلب منه البقاء حتى العشاء، أعتقد أن توم
سيكون مستاء، وكذلك البتنان أيضا فهن صعبتا المراس، وقد تعلمتا
كلمة جديدة في المدرسة تعنى: تبا أو شيئاً من هذا القبيل ويقلنها
بعضهما البعض وينعتان توم بها وهو يحب ذلك، ويحبباهما في
بعض الأحيان، إن ناتالى تقوم بهذا التقليد الماكر..."

”دعى المراهقين يتعاملون بألفاظهم الحقيقية“
” خاصة ألفاظ نيويورك، عندما كنا هناك..“

”تحدثت معه على الهاتف مرتين حتى الآن ولم أتمكن من عدم ملاحظة أنه دائمًا ما يقاطعني عندما آتي للنقطة..“

” دائمًا ما نقطاع بعضنا البعض، هل لاحظت كيف نفعل هذا نحن الأربع..“

”هذا أمر مختلف، ليست هناك مشكلة عندما نقطع بعضنا عندما لا يكون هناك أساس قوى للحديث..“

” حقاً هل تؤمنين بهذا بالفعل؟“

”هكذا يسير الحديث، وهكذا يتم الأمر، خطوة بخطوة ولكن مع هذه التدخلات البسيطة..“

”ولكن هناك اتفاقاً واضحاً بينك وبين .. ما اسمه .. آرثر“

”هذا الرجل هو الناشر الخاص بك“

”هو المحرر وليس الناشر“

”ولكنه من يمكنه تحديد ما سيتم نشره وما هو مقبول ..“

”يمكنه بكل وضوح أن يؤثر على رواية ريتا“

”إذا تركته يفعل ذلك“

”على الأقل ستكونين فى أرضك .. دائمًا ما يقولون فى كرة القدم أن الملعب على أرضك له...“

”أتعرفين يا ريتا حقيقة أنه ”غير قادر“ على أن يأتي فى الخامس من يناير كما افترحت وتأجل الموعد للتساسع عشر..“

”قرار يظهر بوضوح قوة اللعبة“
”بالطبع“

”القول الفصل“
”لقد قلتة بنفسى“

”كيف سيتم الأمر يا ريتا، أعنى الرواية؟“
”ببساطة، هذا ما قلتة.“

إن الضغط من نيويورك لا يساعد إطلاقا، وبعد أجازة الكريسماس بفترة قصيرة، سيتوجب علينا أن نتأهب للعمل مرة أخرى .

”لديك حق، مجرد التفكير فيه يجعلنى مضطربة، وكلما مدح فى زادت شكوكى تجاهه.“

هذا صحيح، أنا لم أنظر فى المخطوطة لعدة أيام، قبل التحدث لأثر سبرينجر كنت منشغلة بطفلتى الحبيببة، والتى هى أعظم إلهاء بالنسبة لى، والسبيل الوحيد الفعال كى أخفف من قلقى حيال نورا

هو أن أذوب في واقع بديل، أن أنزل إلى منطقة وسط المدينة بويشود بمناطقها المالية، وقاعات الحفلات الموسيقية، والتماثيل وزوايا الشوارع، والأضواء المحيرة للمناطق الفارغة بها، والآن أنا خائفة من ذلك، أخشى أن أفتح الرواية، وبدلًا من ذلك حاولت أن أجد معلومات أكثر حول الترومبون، ودهشت من العثور على مقال كبير حول الموضوع، تبدو الترومبون بسيطة بشكل مستفز، ولكن في الواقع إنها تتحدث عن الأسطورة والرومانسية، وحتى العظمة، وهذا إلهاء آخر، فأنا أفكر في هذه الآلة النحاسية كما أفكر في حثالة فنجان القهوة، وأقلبها حتى تتسع الدائرة الموجودة في الجزء السفلي من الكأس لتصبح بحيرة بيضاوية، هناك الكثير لمعرفته.

الرواية متوقفة في الوقت الحالى نتيجة لكثرة المماطلة، كانت أليسيا ما زالت تحاول أن تقرر ما الذي يمكن فعله كى تتقذ نفسها، فهى لا تريد إيذاء مشاعر رومان، عزيزها رومان بخلصات شعر رأسه المجعدة، ورائحة المسك التي تفوح منه كرائحة طبقة الجبن الذى يأبه، لكنها يجب أن تخبره ما أرادت منه أن يفهمه منذ وقت طويل مضى، حتى وإن تسبب هذا في حزن والدتها وغضب والدها أو أن تسيء عائلة رومان الظن بها، فالكل سيكون في موضع محرج، ولكنها يجب أن تضمن استقرار حياتها بالرغم من أن ذلك قد يبدو أنانية. هي تريد أن تفسخ خطبتها، ولكنها تريد أيضًا أن تكون ذات ضمير حى، ربما ذلك سيعرضها لحكم أخلاقي مغلوط، ففى كل

مكان يوجد أحباء ينهمون ارتباطهم، ولكنها نادراً ما تكون جريمة، أليسيا تعلم أن رومان سيعبر تلك الأزمة، ولكنها ستكون هي موضع الاتهام وكاسرة الوعود وقاسية القلب الفظة، التي تسببت في تدمير كيان كان مشهوداً له بالكمال، فالحب والزواج والأطفال هم العرش الذي يؤمننا ومصدر الراحة الذي نتشبث فيه بطبيعتنا.

كلما فكرت أليسيا في الخير المثالى، يتadar لذهنها صورة الجرانيت بسطحه المصقول وقوته المنيعة، ولكن يمكن أن يتم تحطيم الحجر وبسهولة في الواقع، لقد زارت أليسيا المحجر بالقرب من تل سترو ورأت الآلة العملاقة وهي تعمل، فالخير ليس مضموناً، وحياة قائمة على مبدأ يتطلب ممارسة، وعلى الرغم من وجود الأخلاق بكثرة، إلا أن الناس لا تزال ترتكب الأخطاء، فالخير أصبح مجرد مسألة ما أردنا أن نفعله دائمًا، كل ما هو مناسب. ولنواجه حقيقة أن الخير ليس لديه القوة، لا شيء، فكل الوعود بالانحطاط والانتهاك والانقلابات تحدث طوال الوقت، لقد حاولت أن تصف مشاعرها إلى رومان، ولكنه منشغل بمواضيع أخرى.

يريد هو أن يقضى شهر العسل في ألبانيا لسبب واحد، أنه يصر على رأيه بشدة، لقد اشتري خريطة وتواصل مع أقربائه في تيرانا، واكتشف أنه حتى في أفق الأماكن بأوروبا توجد شبكة بريد إلكترونى قوية، وجدت أليسيا أن فكرة قضاء شهر العسل من الصعب التمتع بها، ناهيك عن العرس نفسه، فألبانيا بالنسبة لها

تبدو وكأنها عقاب، ومع ذلك فرومأن يرهقها كثيرا، ولم يحدث أنهم جلسا وتناقشا بجدية حول مستقبلهما معا، ورومأن لا يتفهم بعد أن الزفاف لن يتم، فأعصابه لا تتحمل هذا الواقع، أو أنها قاسية للغاية.

وعلاوة على ذلك، فقد تشارجر مع عازف المزمار في سيمفونية ويشودد، وكان مركز عازف المزمار متاحا أمام رومان، واشتكت سيلفيا ودال أن الجرس الخاص بالترومبون الخاصة برومأن تؤذى أذنها، وتشكو أيضا من أنها تتبل عندما يرطب آلتة ببخار المياه، وأن شعرها أيضا يتبل وهو مجعد بطبيعته، وهو مجعد مثل شعر الساحرات مما يجعلها تفقد رباطة جأشها وإحساسها بالموسيقى، وهي تريده أن يحرك كرسيه بوصة أو اثنتين، ولكن رومان رفض وقال إنه لا يوجد مكان لتحريك كرسيه. ماذا يمكن أن يفعل؟ فقالت سيلفيا ودال، حسنا على الأقل يمكنك إعادة توجيه بخار المياه، فقال رومان أنه لا يستطيع أيضا، ويمكن اتهامه بسهولة أنه يمتلك حسا عاليا من الاستحقاق، هذا المستحيل.

إن العاشقين أليسيما ورومأن وصلا إلى لا شيء، وقد اقترب موعد الزفاف، وأنا كمخرجة لتلك الرومانسية الساخرة وصلت إلى منتهى في التفكير، القصة الآن في أوج نهايتها حسب ما يتسلل إلى خلسة، فإني كثيرا ما قررت أن أتوقف أمام خلافات هذين العاشقين لاستخلاص النقاط المضيئة فيها التي تدمجهما سويا

ولكن كل ما أحصل عليه هو الغضب. أنا حقا مصابة بتوتر ما بعد عيد الميلاد، هل هناك مهمة أسفف من نزع زينة الكريسماس؟ نعم ولا. عادة ما أنتظر ذهاب الفتيات إلى المدرسة وتوم إلى العيادة، فهم لا يمكن الوثوق بهم في نزع تلك الزيادات الهشة وتغليفها، بالمناديل الورقية، ووضعها في الصناديق المخصصة لها، ثم إنزال الشجرة وجرها خارج الباب الأمامي الكبير، ثم كنس الكميات المهولة من الإبر والتقاطها واحدة تلو الأخرى من القاعدة السفلية. نهار كامل أقضيه في هذا العمل المنهجي غير المشجع.

ولكن الأمر قد تم، وأنا سعيدة بانتهائه، وقد رحبت بهذه المساحة التي استعدتها، والآن يمكنني التفكير بشكل أفضل.

أحاول إعادة تنظيم المكالمة الهاتفية مع آرثر سبرينجر، ولكن لم أتذكر إلا جزئيات قليلة، لقد قال شيئاً عن الحج، وهو الأمر الذي لم يكن منطقياً على الإطلاق، أعتقد الآن أن كلماته كانت تحتوى على تلميح من نوع ما، كان المطبخ مليئاً بشكل خاص صباح اليوم الذي اتصل فيه، فقد استيقظت كل من ناتالي وكريس متأخرين في عطلة عيد الميلاد وكانتا تصنعن فطائر في الفرن، في محاولة لكتابة الحروف الأولى من أسمائهما على الكيكة المقلية، وجعلتا صوت الراديو عالياً وخاصة على محطة روك صاحبة، وكانت غسالة الصحون تعمل وتوم ينزل على الدرج بثثاقل وقلبي يخفق، فلا عجب أنني لم أسمع أى شيء على الإطلاق.

أبداً

استكملت كل من ناتالى وكريس زيات يوم السبت إلى باثورست وبيلور، وقبل عيد الميلاد أخذتنا لنورا حزمة عيد ميلاد ضخمة، وأشياء جميلة أخرى مغلفة بشكل جميل، وبدلة رياضية ذات بطانة حرارية وصابونا معطرًا وفرشاة ومشطا وكيسا كاملاً من الفاكهة والشوكولاتة، تخميننا الجماعي أنها أعطت كل هذه الأشياء للفرياء على الفور، ولكن يمكننا أن نقبل ذلك، علينا أن نقبل به بما أنه لا يمكننا التوقف عن التفكير في الأمر.

ما أريده هو عملية جراحية دقيقة ونظيفة، فالجزء العلوي من رأسى منشور بعناية و يجب إزالة بعض الأشياء، تخلصت من هذا الأسبوع في الربع الماضى، عندما لم نكن نعرف أين كانت نورا، واستخرجت الدم المتدفق من جبين ناتالى منذ سنوات في نفس هذا التوقيت، عندما وقع كرسيها العالى في الحديقة وارتطم بالسياج، كل جروح الجسد سوف تتمدد، حتى الجروح التي رأيتها على رسفى

نورا الأسبوع الماضي، فنصف البوصة بين قفازاتها وكم الماطف، بها دائرة من التقرحات الحمراء، وأزالت كل موسيقى My Fair Lady وذكرى والدتها وهى ترسم الصين، بعد أن توجب عليها أن تكون فى رعاية دار رعاية، لأنها لم تتمكن من التأقلم، حتى إنها لم تستطع أن تتذكر اسمها بعد وفاة والدى، وبعدها بدأت فى الحيض فى القطار فى طريقى إلى أوتawa، كنت بطبعية الحال أرتدى بنطلون بدلة أبيض جديدا، والتهاب المثانة الذى أصاب كريس عندما كنا فى فرنسا، حيث لم أتمكن من تذكر كلمة مثانة لخمس دقائق كاملة، وهذا الخلاف الذى نشب بينى وبين توم فى الذكرى السنوية الثالثة للقائنا فى ميدان ناثان فيليبس، لم أتمكن من تذكر سبب الخلاف، ولكن كل منا قال الكثير من الكلام وبقسوة، لا يجرؤ أى منا على العودة إلى تلك اللحظة عندما افترينا من الفتى ببعضنا، وبعدها أيام ظللنا نرتجف ونهمس ونتعلق ببعضنا البعض طوال الليل.

ارتبك توم عندما وصفت التقرحات الموجودة على رسمى نورا، وخمن قائلًا أنه ربما يكون تورما فى الأصابع وربما مرض ديكسيان الذى يأتى بالتعرض للجو القاسى.

“آلا تظن أنها يمكن أن تكون قد أصيبت بموس و...”

فهز رأسه قائلًا: “لا .. ما قلته مثل الطفح الجلدى” ألقى نظرة عليها يوم الجمعة عندما كان فى تورنتو، والآن هو ليس متاكدا، ولكنه قد تردد من الاقتراب منها، لأنها كانت تروح

وتتجئ في ركناها، لم يرد أن تظن أنه يتلخص عليها، وحدثت له أكزيماً شديدة، وترك جرة من كريم الكورتيزون بجانب مربع الورق المقوى الذي تجلس فيه، ومن Honest Ed's ترك زوجاً من القفازات ذات جلد الفنم الذي يغطى المرفقين إذا أرادت أن ترتديهما.

ما لعبه التخمينات التي نلعبها مع ابنتنا هذه، لم تشعر بإحساس الأبوة منذ أن كانت طفلاً، ولكن خلال كل هذه الأوقات كل مجده ودتها قائمة على الافتراضات.

وهناك علماء أنسنروبولوجيا الرقص مثل أنيت هاريس والتي قالت لى عن هذه الظاهرة، وهي من حاولت استعادة باليه نيجينسكى الذى انتهى عصره، معتمدة على بقايا الموسيقى والاستعراض وعنفوان بداية القرن العشرين، وكتبت على هامش يومياتها بالنقش نصف ذرينة من الألحان الخاصة بالأناشيم الموسيقية، إن هذا العمل مرهق للغاية ومحكم عليه بالفشل، وهذا التدريب مثل ما نفعله أنا وتوم عندما كنا نتشارو حول نورا: صحتها وعقلها والطفح الجلدى على معصمها وتغذيتها والطبقة الملساء التي تغطى عينيها الباهتين، وما قيل من أخواتها، وما تفكير فيه كلما مشت إلى ركناها كل صباح وبعد ذلك تعود إلى المأوى فى الليل. لماذا؟

كان توم لديه شبه يقين أنها تعانى من آثار ما بعد الصدمة، المشكلة، كما يقول، هي تحديد الصدمة وجعلها مرئية بصورة

وحشية، ولكن الأصلة تحول الحدث من تكرار الواقع إلى مجرد ذاكرة، والتي يمكن أن تستوعبها الدماغ، وقد توقف عن جميع فحوصاته عن التريلوبيت حول التوتر والصدمة، جلس منحنيا على جهاز الكمبيوتر الخاص به في المساء، وبحث على الإنترنت كثيراً وبحث كثيراً عن علاج الصدمات النفسية، والصدمة من الإجهاد وتاريخ حالة الصدمة، ويوجد في غرفة نومنا كومة من الكتب والمجلات عن هذا الموضوع.

حسنا، إنه طبيب، وفكرة التشخيص والعلاج تأتي إليه بشكل طبيعي، وهو قوس إيقاعي بين السبب والنتيجة، والتي تحدث إرضاء داخليا لديه، وكيف لي أن أجسد هذه الحالة الذهنية، فهو بسيط جداً ونظيف جداً، وأتمنى الآن لو كنت جعلت رومان يعمل كطبيب بدلاً من أن يكون عازف ترومبون، ولكن الوقت قد تأخر لمثل هذا التعديل، لا أستطيع أن أراه بدون ومضة هذه الآلة النحاسية في يده وفمه ينفع فيها، وإلى جانب ذلك فقد كان عازف ترومبون في الرواية السابقة، ولا يمكن أن أرسله لكلية الطب لمدة أربع سنوات بشكل متعسف، ناهيك عما بعد الدراسة وبدايته كطبيب.

أعتقد بشكل حماسي أنه على الروائي أن يعطي شخصياته شيئاً ما ليقوموا به، ويميل الرجال والنساء في قصص الخيال، من وجهة نظرى، إلى الانهيار إلا إذا ما شوهدوا وهم يقومون بعملهم، وينهمكون فيه، فالمهندس المعماري يُرى في حالة من التركيز على

طاولة المسودات، والراقص يفكر في كل خطوة يؤديها، ومبرمج الكمبيوتر يتزوج ما بين المعلومات والوصول للبرنامج، وتؤمن إيمان بـأن الفرحة الكبيرة للخيال الذي يدقق في البحث، تأتى من رؤية البطل الذى يعمل وهو منشغل في كل دقة بالعمل، والعمل في روایات الجريمة دائمًا محل النظر، والعمل هو بيت القصيد.

لقد قرأت روایات عن أساتذة لم يدخلوا الفصول الدراسية نهائياً، فهم دائمًا في إجازة مدفوعة الأجر، ويذهبون لحضور مؤتمر في هواي، والبطل الفنان الذين لم يمسك فرشاة رسم، وهو دائمًا مشغول في المقهى المحلي، ومشغول بحباته العاطفية أو بالجسد أو الحزن، وهل قامت عالمة النبات الشابة الرائعة ذات الشعر الذهبي بتسلق أحد التلال ذات العشب، وهي هائمة على وجهها وملأات حبيبها بالأنواع النادرة؟ لا فتحن نراها فقط بعد العمل أو في عطلة نهاية الأسبوع، عندما تذهب إلى الحفلات وتقابل محامين روائيين شباباً ليس لديهم قضايا للعمل عليها ولا ملفات ولا مكاتب ولا قاعات محاكم يُظهرون فيها مهاراتهم، فعامل البناء الأخش يقوم بممارسة الجنس بين فترات العمل مع رفيقة متخرجة من الجامعة ذات شعر أشقر من ماونت هوليوك، ماذا عن ذلك؟ أريد أن أراه مرة واحدة فقط بآلة حفر هوائية في مقابل جسده يجعله يهتز كالغبار، ولكن ماذا لو كان الروائي متخرجاً من كلية يال غراد وكذلك كان أبوه؟ ماذا يعرف عن كيفية عمل تلك الآلة وكيف تنقل

أعصابها إلى عظام وبطن الإنسان، وقد نرى الشاب الفقير يصل إلى فهم إنساني، أو يكتشف شكسبيه في الحديقة أو سينما فرنسية، شيء من هذا القبيل، ولكن تقل فرص رؤيته وهو يعمل.

أنا أحب العمل، وعندما أقابل الناس أحب أن أسألهم دائمًا عما يفعلونه، ولكن أخبرتني كيلي لين أن هذا الحديث لم يعد مسموحاً به في المحادثات، فهناك الكثير من الناس الذين يعانون من البطالة أو يخجلون من عملهم، فمنهم من يعمل في التجميع بمصانع صنع الواقى الذكرى على سبيل المثال، أو إبادة الصراصير، فالعمل قد يكون قبيحاً والعمل مسألة حساسة، وفي آخر مرة سألت امرأة عن عملها في حفلة عيد الميلاد منذ بضعة أسابيع، ونظرت إلى قائمة أنها لا تفعل شيئاً، ثم نظرت إلى بقية وقالت إنها لا تعطى محاضرات أيضاً (عندما يتعلق الأمر بعملية جراحية دقيقة اعتبر هذا الأمر واحداً من المواضيع التي أخططت أن أزيلها).

ولكن لماذا جعلت رومان عازف ترومبون في المقام الأول، إذا لم أكن أعرف شيئاً عن الترومبون؟ لأننى كنت أجلس في غرفتي وأفكر في فقرة في الفصول الأولى، وكان بيدي مشبك أوراق فرنسي أحركه بين أصابعى، فعندما كنا في فرنسيا أحضرت صندوقاً كبيراً من مشبكات القصاصات الورقية، والتي لها نهاية مدببة في أحد طرفيها وليس مستديرة، وهي تبدو مختلفة عن مثيلتها في أمريكا الشمالية، فهي تبدو فرنسية وأنيقية، وهي معروفة للفرنسيين الذين

يحبون ضغط الأشياء، مثل الترombokون، وهكذا حصل رومان على عمله في عالم النحاس الأصفر، من خلال حادث في المجتمع، لأنني أنا الكاتبة المتوقفة للرواية الأولى، أمسكت في أحد الأيام بعد الظهر بآلة ترombokون صغيرة وفكرت في أن أجعل بطل روايتي يقوم بعمل حقيقي.

هورست راسيش هو بطل رومان ومعلمته، ويقول إن الترombokون يحتاج إلى مجهد لإصدار الصوت عكس التشيلو، والذي يخرج صوته في شكل نبضات بطيئة طويلة، علمه راسيش كيف يتعامل مع النغمة بهدوء ولكن بوضوح، وكيفية الحفاظ على النغمة ثابتة. والهدف النهائي هو "الجمال النغمى"، ولكن رومان بدأ الدراسة الجادة في سن الرابعة عشرة في *Weschke Modell Kruspe*، والذي كانت أسرته بالكاد تتمكن من توفير مصاريفه؛ كان جده يحتفظ بالنقود المعدنية في جرة من أجل شراء الآلة، وتم اختيار كونشيرتو ساشر من أجل اختبار نصف الفصل الدراسي الأول، ولم يكن رومان يتذكر لماذا تم اختياره بالتحديد، ولكنه نجح بشكل ملفت للنظر. وقد أحب فكرة أنه متميز وبدأ في التدرب أكثر وأكثر، حتى يُؤدي مع الدقة، المقطوعة الثامنة والثلاثين والسادسة عشرة والثانية والثلاثين، وقد تطور بشكل رائع، وفي ساعات الراحة كان يستمع لموسيقى الجاز: "سليبى لاجون" و"ستاردست"، "عاطفتى تزداد

تجاهك"، ولكن كان عليه أن يخفى هذا الجانب من نفسه عن الأصوليين، لقد كان جيداً وأكثر من جيد كما أكد تعينه في سيمفونية ويشوود.

الترومبون من الآلات صعبة الإنقان، ونتيجة لكثره الاحتكاك بين أجزائها الداخلية والخارجية فإنها تحتاج للتزييت، المستمر، في وقت من الأوقات تم استخدام كريم بوند المرطب للتزييت، ولكن مؤخراً أصبح هناك منتجات مخصصة لذلك كقطارات السيلكون وتستخدم أسبوعياً مع صابون سائل دهن، أغلبية الأبواقي تحتاج لرشها من الماء باستخدام بخاخة من وقت لآخر، لإبقاءها رطبة وزلقة، الجزء الذي على شكل حرف *A* في الانجليزيةأحدث تغييراً كبيراً في شكل السيمفونيات المعزوفة بهذه الآلة، لأنها تضيق بعض النغمات للمعزوفة الموسيقية ورومان يحب مثل تلك المعزوفات، وهو أيضاً يدرك كم هو محظوظ كونه عضواً في أوركسترا بارزة، أصبح رومان يعاني من حكة في قدميه هذه الأيام، بالإضافة إلى أن خلافاته مع سيلفيا وودال عازفة المزمار قد وصلت إلى ذروتها فهو حقاً يكرهها، ولديه أيضاً رغبة عارمة لزيارة ألبانيا أرض أجداده.

كروائية، أحياناً اتفاجأ من التعقيد الموجود في وظيفة رومان وحينها أسأل نفسي كل يوم كيف ورطت نفسي في كل هذه التعقيدات.

جعلت أليسيما تعمل في مجلة مغمورة للموضة، ما جعلنيأشعر بالندم، فكل معلوماتي عن أجواء العمل في المجالات يأتي من التلفاز أو الأفلام، وليس لدى أدنى فكرة عن الأجواء في مجلة للموضة أو عن كيفية التعامل مع العاملين في المجلة، وأحب أن أميل في اعتقادى إلى أن أليسيما ترى الأمر من خلال الاحتيال في مجال الموضة، أو أنها ارتفعت بالموضة لمستوى الأسلوب وبالأسلوب لمستوى القدرة على النشر، وكل ذلك مختلف بعنایة تحت عناوين أنيقة وعقلانية، فأنا أعتقد أنها حين تكتب عن القفازات والحقائب أو الأحذية أنها تبحث في تاريخ أو فلسفة هذه الأشياء، هي تستمع بها من باب الاحترام فقط، وإلا كانت من فرط الاشمئزاز التحقت بجامعة ويشودد، وحصلت على درجة الدكتوراه في شعر المرأة الصينية في النصف الثاني من القرن الثامن عشر. ولكن تغيير العمل بهذه الطريقة شيء كارثى، وأشك في قدرتى على أن أجعل هذا التغيير مقبولا لدى القارىء، والذي يسعد بأن يبقى في غرف معطرة وممرات أنيقة مثل تلك التي في مجلة إكس، هناك شيء يجب أن يؤدى لتلك الدفعة، شيء صادم يجعل أليسيما الصادقة والجاده والتي تعمل بكد، والمخلصة تترك عالم الموضة لتعمل في المجال الأكاديمى، وحينها سيتوجب عليها أن تكتب الأطروحة، وسأصبح امرأة تكتب عن كتابات امرأة تكتب عن كتابات المرأة، وهذا من شأنه أن يؤدى مباشرة إلى غرفة الصدى، والتي بها تراجع

لا حصر له بصحبة فتاة هولندية صغيرة، وهى الفتاة التى تطهر الحمام، وقد تضاعف الرؤية ولكن من منظور به بعض الانحسار.

المشكلة هى أننى لست متأكدة من تأثير الصدمة، ويمر أمام عينى أشياء بديهية تلفى كل ما هو مفر وجميل فى نظرية الجمال المفرط، أليس جنسنا أذكى من ذلك؟ فى مكان ما فى أدمنتنا يجب أن تكون هناك كتلة عصبية على شكل حبة فول تسجل النسب النسبية للأحداث، وتفصل التجربة الاستثنائية التى يمكن ببساطة ألا نبالى بها لأنها استثناء عن التراكم البطئ والمطرد للمعرفة المتزايدة، والتى تصل بنا فعليا إلى حافة الهاوية، فإنصابة واحدة صغيرة تؤدى إلى أخرى حتى ينقلب النظام برمته.

لا أقول هذا فى الواقع بصوت عال لتوم حينما يستفيض فى موضوع الصدمات النفسية، أملاً أن ينقذ نورا أو على الأقل يفهم ما بها بأن يتبع الشئ الذى طرأ عليها فى الربع الماضى، وتسبب فى خروجها من حياتها، لا أريد أن أثبط من سعيه حتى وإن أدى للاشئء، فإن ذلك يساهم فى إلهائه، فربما إيجاده لأمثلة مشابهة قد يجعله يصدق، ولكنه مثلاً متأكد أن أنه قد تعرضت لصدمة حيال موقف نورا، ويشك أيضاً فى أن دانيال ويسترمان ربما تعانى من صدمة نفسية من أيام الطفولة، وبالرغم من كونها فى الخامسة والثمانين فإن صدى الأزمة لايزال يتتردد بداخلها مصحوباً بخزى أو خسارة أو حزن غير معروف ولكنه من نوع محدد للغاية .

ولأن توم رجل ولأنى حقاً أحبه فلم أخبره أنتي أعتقد أن العالم ينقسم إلى قسمين: بين أولئك الذين سلّموا السلطة قبل ميلادهم أو في فترة الحمل، وكما يبدو أن الكروموسوم ليس رمزاً عشوائياً، فهو يرمز لمن يقولون نعم دائماً، والقسم الآخر مثل نورا وDaniyal ويسترمان وأمى وحماتى وأنا ومثلنا جميعاً الذين يشغلون خانة الذات الأنثوية الأخرى غير المشفرة، والتى تبرز فيها قدراتنا لإثبات أنفسنا، وادعاء أن حياتنا قد تم استبدالها بإجبارنا على غلق أجسادنا وكتم أفواهنا حتى نصبح لا شئ فى مواجهة الألعاب النارية والنجوم المشعة والضوء الذى يعمى الأبصار الناتج عن الانفجار الكبير، تلك هي المشكلة.

إن البكاء مُغالٍ فيه كثيراً، وفي النهاية فأنا محررة وأستطيع أن أتعرف على الحبر الأرجواني عندما أراه، إن المشاعر مفرطة وغير مرتبة وفضفاضة وأنثوية، ولكنني أريد أن أفتح عنها جميعاً ولو حتى لنفسي فقط، إن الإفصاح شيء من الشجاعة، ولكنني فقط أتمسك بالحقيقة، ودائماً ما أصل متأخرة.

ولهذا

٢٠٠١ يناير

عزيزي بيتر (بيبي) هاردينج:

إذاً لقد توفيت، فرأيت النعى الخاص بك صباح اليوم في جلوب آند ميل بينما كنت أجلس في ركن مشمس في غرفة المعيشة الخاصة بي، إنك حتى لا تري أن تعرف كيف هو الجو بالخارج، إنه سيئ للغاية، وتقرير الأحوال الجوية على الراديو بدا وكأنه شعر وأسموا ما نعانيه هذه الأيام "البرد القارس"، وهي جملة تبدو وكأنها من ملحمة أنجلوسكسونية قديمة، وهناك رياح عاصفة أيضاً، أكثر دناوة من مخلفات الكلب، كما ذكر في الأغنية القديمة.

منذ سنوات كنت أنتهي لمجموعة كتابة صغيرة، وكانت قائدة مجموعة امرأة تدعى جوين ريدمان، ونصحتنا بقراءة النعى لأنها يحمل لب السرد بتفاصيل صغيرة، مثل جينات معباء بإحكام في

الクロموسومات المنفصلة عن بعضها البعض، ودائماً ما تشير جوين إلى هذه النشاطات الصغيرة على أنها متداخلة، ولكنها شخصية جداً وحقيقة غريبة بشكل كبير وقدرة على أن تعزز التسريع الرقيق للخيال التنبؤي، وتحويله إلى أشكال غير متوقعة، قرأت مؤخراً على سبيل المثال نعيها عن امرأة عجوز كانت بطلة لاكروس مانيتوبا عام ١٩٣٧، وعندما فكرت في الأمر كان كالتالي: امرأة حملت انتصارها خلال سنوات الحرب العالمية الثانية، وفي أحداث شعب المستويات خلال الحقبة الطويلة تحت قيادة بيير إليوت ترودو ورونالد ريفان ومارجريت تاتشر، وصولاً إلى أواخر التسعينيات، عندما حصل أحفادها كما أخمن على جهاز كمبيوتر، يمكنهم من خلال الدخول إلى شبكة الإنترنت، حيث وجدوا بعد بضع دقائق من البحث عدداً من صفحات الويب المخصصة لهذه اللعبة التي انقرضت تقريباً، ووجدوا ذكراً لاسم جدتهم، وكم كان الأمر مدهشاً! ولا يزال هذا الاسم بارزاً هنا بين فتات الزمن، إنه اسم بطلة.

حزنت بشدة عندما قرأت أنك ناضلت طويلاً مع مرض السرطان، ولكن "بشجاعة" حتى النهاية، كما يقول التقرير، لقد عشت حياة مثيرة للغاية، وأنا متأكدة أنك لم تحلم بأن تنشأ في مزرعة ساسكاتشوان الفقيرة، كي تحصل على منحة دوجلاس ماكجريجور، وينتهي بهك المطاف في تورونتو، فأنت مدرس محظوظ

في كلية كندا العليا الخاصة بالنخبة، وأنت دائمًا ما تعطى طلابك أفضل ما لديك، ولذلك عندما تقاعدت في عام ١٩٧٥ جاءوا جميعاً وقاموا بعمل حفل شواء في بيت هارت، وهو حدث ملئ بالدفء والتقدير، الذي يتحدثون عنه حتى يومنا هذا، ستتفقده زوجتك كاي وكذلك أطفالك، جايل وإيان وأحفادك الثلاثة، وزملاؤك القدامى الذين زاروك في المستشفى، وأنت جالس منتصب على تلك الكراسي القوية والصلبة الخاصة بالمستشفى.

لقد كنت مرتاحاً في أيامك الأخيرة، وهذا هو ملخص الإشعار الخاص بالمعنى، وبكومة الكتب الموجودة على الطاولة جوارك، فأنت لن تفترق عنهم؛ مارك توين، جاك لندن، سنكلير لويس، فيتزجيرالد، همنغواي، فوكنر، جويس، بيكيت، وإليوت، ليونارد كوهين، فنصوص هؤلاء الكتاب شكلت لك "عالماً بأسره"، ووصلك "عالم كامل" آخر من خلال سماعات الأذن التي قدمها لك النُّزل، والتي شكرتها عائلتك عليها: باخ، بيتهوفن، وموزارت، كلهم دعوك عند موتك.

أنا أمر ببعض الأيام القاتمة يا سيد هاردينج، بببي. (المراهقون صعب المراس الذين تعرف عليهم بالتأكيد بعض الأشياء بحكم عملك بالتعليم لسنوات ومن عائلتك)، وأنا أيضاً أتوقع لراحة "العالم بأسره"، ولكن لا أعرف كيفية فعلها وكذلك أكبر بناتي. إنني أشعر بشيء غير مكتمل في الأمر كله، مثل صب البرونز الذي يوجد به

فتحة، قطعة أثرية موجهة من قبل بعض الخلل غير المرئى كى تتحطم. وكذلك أخشى أنى أفتقد شيئاً ما، وأن نوراً تفتقد شيئاً ما.
وداعاً، ولترقد فى سلام ولتسر فى طريق جيدة، كما يقولون فى سوازيلاند، حيث أمضت صديقتي سالى باشيلى عاماً، وهى تدرس لنساء القرية كيف يصنعن فساتين لأنفسهن، وكانوا يسمونها "أربع ساعات للفستان"، وهذه هي المدة التي تحتاجها لعمل الفستان بدون آلة الخياطة، وكان التصميم خاصاً بسالى.

إنى حزينة من أجلك أيضاً

ريتا هاي ورث

مدينة أورانج بلوسوم

على الفور

"ريتا"

"آرثر"

"أخشى أنى لم أتأخر كثيرا، فالطرق كانت مزدحمة بشدة وبعدها ضل التاكسي طريقه وظن أننى أريد الذهاب لأورانج فيل وليس أورانج تاون، ويبدو أن هناك فرقا كبيرا بينهما"

"حوالى خمسين ميلا والأمر يضللك الكثيرين بشكل كبير، تفضل بالدخول لأن الجو بارد، دعنى آخذ معطفك، ظننت أنك ستكون أكبر سنا".

"سني تسعة وثلاثون وأنت أربعة وأربعون، عرفت سنك من ملفك".

"أعتقد أنا تقريبا معاصران، ولكن ليس بشكل كبير"

"ياله من منزل رائع، دخان الخشب، أشم رائحة دخان خشب التدفئة، وهناك نار وربما هي مصدر تلك الرائحة الرائعة"
"أعتقد أنه بإمكاننا أن نجلس.."

"ليس هناك مثل نار خشب التدفئة وصوت طقطقتها، فى نيويورك فقط قلة محظوظة لهم القدرة على امتلاكها والقدرة على تحمل تكلفتها، عشرة دولارات لكل أربع عصى صغيرة، وبالتأكيد أجود أنواع خشب التدفئة هو خشب القار، يالها من غرفة رائعة يا ربنا، وهذه النوافذ الجميلة، يا للروعـة. إنها تُظلم الآن بالرغم من أن الساعة الرابعة والنصف وذلك بالطبع لأنـنا في أقصى الشمال مما يجعل هناك فرق توقيت".

"هل تريد بعض القهوة؟ لقد قمت توا....."
"قهوة، نعم"

"أو ربما لأنـك خرجت للتو من سيارة الأجرة في مثل هذا الجو، ربما تحتاج لبعض النبيذ الأحمر بالرغم من أنـ الوقت ما زال مبكرا"
"لا أريـدك أنـ تفتحي زجاجة خصيصـاً لي"
"أنا متأكـدة أنـ لدينا واحدة مفتوحة، أنا فقط سـ.."

"حسـناً هل هذا مكان عملـك؟"
"لا ليس في هذه الغرفة تحديـداً، هذه غرفة المعيشـة. لدى مكان خاص بي في الدور الثالث حيث....."

"يا للهول"

"آمل أنه ليس لديك حساسية من الكلاب"

"لا، ولكن فقط تفاجأت"

"إنه غير مؤذ تماماً، أليس كذلك يا بيت؟ إنه حيوان أليف ومطبيع جداً بالرغم من إنه استغرق وقتاً طويلاً لتدريبه لذلك نطلق عليه بيت".

"وعائلتك؟ هل هم هنا الآن؟"

"الفتيات سيسكن في المنزل في غضون ساعة، فلديهن تدريب سباحة بعد المدرسة اليوم، وزوجي توم سيأتي قريباً وربما يكون لدينا فرصة لتناول العشاء سوياً، عشاء بسيط"

"من دواعي سروري أن ألقى مثل هذا الترحيب الحار، لا أود أن أكون مصدر إزعاج، ولكن هذا المنظر الجميل مع الضوء الخافت ورائحة الأزهار في الجو القادمة من خلف الأشجار، وبالتأكيد هي مصدر الهدوء، فأنا أكره استخدام لفظة "موحٍ" فقد أصبحت كليشيها أكثر استخدامه، لكن هذه المرة أعتقد أن هذا صحيح، فأنا أرى هذا بوضوح في السلام الموجود هنا، وأشجار البلوط والقبق، ومرور الأيام بهدوء لتأكد وجودها، شakra لك فالمواسم تمر سريعاً، ممم، نبيذ أحمر رائع وخفييف، ليس الوقت مبكراً أبداً على مثل

هذا النبيذ فما زلتنا بعد الظهر، اسمحى لى أن أقترح نخبأ لروايتك
الجديدة، نخب أليسيا ورومأن، والآن أخبرينى كيف يسير الأمر؟
لقد قمت بطبعاتها هذا الصباح، ها هى ذى، أو ربما معظمها
دعينى أرى، إن حجمها مثير للإعجاب، ثلاثة صفحات، لقد أضفت
إليها قدرا لا بأس به منذ أن قرأتها فى ديسمبر، لا بأس به
مازال لدى المئات من الأشياء لإنهائتها، بعد التصحح والبحث
والفصل الأخير.

آها نعم، الفصل الأخير هو الأهم
الفصل الأكثر صعوبة
أتتفق معك تماما، فهو أمر مهم، وإلا ما هي وظيفة كاتب الرواية؟
هل عليه أن يضع نهاية للقارئ، أو أن يترك النهاية مفتوحة؟
هل تعنين...؟

ربتا، أظن أن الفصل الأخير فى الفرن، وقد قمت بإعداد الوعاء
والفخار لا يزال غضا، ولكن النهاية هي ما تستقوى كلماتك لتصبح
جميلة وقوية أو جميلة وبالفة الرقة.

تىالها من فكرة رائعة، فقد كنت أفكرا بالأمس فى الطريقة التى
يشكل بها الحداد قوالب البرونز بشكل غير متوقع فى الفرن، والآن
أنت ذكرت الآنية الفخارية فى الفرن

”لقد عنيتها بشكل استعارى“
”وأنا أيضاً“

كنت أعرف أن أرواحنا متشابهة يا ريتا، على الرغم من أنه يجب أن أقول لك أننى أؤيد عدم تحديد نهاية فى حالتك بالذات، فهناك خطر ما كما ترين، وهو أنك قد تتفهين من بحث رومان عن الهوية، والذى لا يزال مستمرا، وسيستمر للأبد.“

”هل يمكننى أن أعطيك القليل من النبíd؟“

”بكل سرور، إنه جميل وجاف، وهو أفضل شىء لأول لقاء لنا وجهاً لوجه، وهو من الاجتماعات التى تعد صعبة نوعاً ما“
”أريدك أن تعرف سيد سبرينجر، أننى سأتقبل تماماً أي اقتراحات فى تحرير الرواية.“

”نادنى بآرثر من فضلك، من الرائع أن أعرف أنك لا تتدخلين فى التحرير، وأنا أفهم أن السيد سكريبانو لم يحرر رواية My Thyme Is Up، لقد كان المحرر بكل تأكيد ولكن اسمياً، وأخبرتى مصادرى أنه لم يتدخل إلا بشكل بسيط جداً، فى سبيل إعادة تشكيل العمل“.

”ويطلب منى أن أقسم فقرة واحدة طويلة للغاية إلى قسمين، وأعتقد أنه كان اقتراحاً ممتازاً. وكنت سعيدة بـ...“

أعتقد أننى أخبرتك على الهاتف أننى أحب أن اقترب أكثر من الكاتب، لصالحه ولصالح سكريبانو ولورانس، وما أريده أنا كمحرر وأنت ككاتبة هو أن يكون بين أيدينا أفضل كتاب ممكن، إلا توافقينى يا ريتا؟ هل قرأتى Darling Buds، هذا الكتاب لى وقد سعدت بالعمل عليه، وهو مثال للرواية الكوميدية التى لم تفقد للحظة اهتمامها الأساسى بالصورة الرئيسية".

"ألا وهى .."

"إنها السعى وراء الهوية.. الهوية".

"يمكن أن تكون الهوية.."

"الهوية هى السر المهيمن فى حياتنا، والمسألة المقدسة للذات، ولا يسعنى إلا الاستسلام لمصيرها الساخر، والذى هو: لا يمكن معرفة الذات أبداً، وهذه هى مشكلة حياتنا ببساطة، ولهذا فإن Darling Buds كتاب عميق عن الوجود، وأنا أعترف أنه كتاب حق un succès d'estime، وهذا تعبير فرنسي يعنى (نجاحاً ساحقاً).." .

"نعم أعرف معناه".

"لم يحقق الكتاب أعلى مبيعات، فأئمة تأخذ ثقافتها من التلفاز لن يهتموا بالفن ويأخذونه على محمل الجد، طالما أيضاً أن الوجبات السريعة متاحة، ولكننى جاد يا ريتا، وأريدك أن تعرفي هذا، أنا

محرك، وأهتم بالأدب كثيرا وبأهميته، وأعتقد أنك كذلك أيضا،
وأنا متأكد من هذا فعليا".

"ربما ستركتنى أملاً كأسك مرة أخرى".

"إنه نبيذ رائع كما ترين، دعينى أشرح الأمر لك، أنا وسكربيانو
ولورانس سعداء للغاية بهذا العمل، ولا نحتاج لنشر كتب كبيرة
الحجم".

"ولكن عليك بكل تأكيد أن تركز على مبيعات الكتب والقراء
الذين.."

"أعتقد أننا فى موقف جيد للغاية الآن، هل سمعت عن جون
لورد مورجان؟ وويلفريد لارانزو؟

"ربما بشكل مبهم، ولكننى فعليا لم...".

"كلاهما يعمل معنا، فمورجان يكتب دراما عن المحاكم، ولارانزو
يكتب قصص الخيال ونحن سعداء أنهما معنا، فهما يبيعان جيدا،
بشكل يجعل باقى كتابنا على قيد الحياة، ولدينا كتاب الأدب الجاد
وكتاب آخرين".

"أنت تقول هذا..."

"أنا أقول يا ريتا إننا موجودون فى السوق بسبب جودة أدبنا".

"عكس ل..."

"عكس الأدب الشعبي".
آها".

تريد أن تنشر الرواية، روايتك، ونحن على استعداد لذلك، ولا
أريد أن أحيرك بهذا الشأن".
ولكن".

"ولكن يجب أن تعلمي أن Thyme in Bloom يمكن أن تصبح
أحد الكتب المميزة في عصرنا، وهناك إمكانية لهذا، فروايتك قد
تصبح قطعة أثرية، وكل شيء في مكانه الصحيح، ومجرد تغيير أو
ثلاثة في وجهات النظر، يمكن أن تنتقل من الرواية الشعبية لعمل
فنى".

"على أعلى مستوى"

"صحيح، أنت امرأة ذكية و كنت أعرف أنك ستفهميني، ولكن في
النهاية روايتك قريبة جدا من أن تصير عظيمة، ولدينا الفرصة
لهذا يا ريتا ولهذا قطعت كل هذا الطريق وأتيت إلى الشمال
لأخبرك أن روايتك الجديدة ليست مثل الرواية الأولى، فرواية My
Thyme Is Up كانت مختلفة تماما".

"لقد فزت بجائزة أوفيندين"
"بالضبط"

"ولكن الكتاب الجديد تتمة لهذا الكتاب".

"هذا أول شيء يمكن أن نعمل عليه، ربما أرغب في المزيد من التبديد، جميل للغاية، هل تعرفين أنه في المتوسط تحقق التتمة ثلاثة مبلغ المال الذي تتحقق الرواية الأصلية؟"

"ولكن أعتقد أنك قلت إن المال ليس القضية الأساسية.."

"ليست كذلك، وقد أبليت بلاء حسنا في روايتك الأولى، ليس ملابسين بالطبع ولكن حققت عائدا جيدا للغاية وكذلك الغلاف، ولكن عملك الحالى له قيمة مختلفة تماما، إن الصفحات التي أمامنا عن الوضع الأخلاقى الأساسى للعالم المعاصر، وأعتقد أنه من المهم للغاية ألا نقدمها بالعنوان الذى اقترحته والذى هو Thyme in Bloom وأنا شخصيا أفضل Bloom فقط".

"فقط؟ bloom"

"يالها من كلمة، إنها موحية ولكنها لا تعبر عما أريد ويمكنك أن ترى كيف أنها تشير إلى Leopold Bloom و Bloom of Ulysses وإلى كل رجل عظيم"

"ولكن اسمى مرتبط بـ..."

"مرتبط بأدب الخيال الخفييف، وهذا هو السبب فى أننى خلال تفكيرى على مدى الأسبوعين الماضيين فضلت الاسم المستعار، المشكلة هي أن تجد الاسم الصحيح، ماذا كان اسمك قبل أن تتزوجى يا ريتا؟ وهل لديك اسم ثانٍ؟"

”ريتا روث سامرز“

”رائع أنا أحب سامرز، فهو يناسب Bloom تماماً، أليس كذلك؟“
Blooms Day وما إلى ذلك، ونحن الآن في شهر يونيو، هناك نوع من الفاصل الدموي الخارق للطبيعة، ليتنا فقط نستطيع التغلب عليه. نحن سكريبانو ولورانس نستطيع تقديمك ر. ر. سامرز. لقد أحببت هذا الاسم فهو يبدو قوياً وجديداً. كاتبة جديدة، اكتشاف جديد ر. ر. سامرز.

”ولكن استخدام الحروف الأولى قد تجعلنى أبدو ككاتب ذكر“
”هل هذا يهم؟ أنت تعاملين مع موضوعات عالمية، لقد ذهبت لما هو أبعد من التفرقة طبقاً للجنس“
”ولكن فى هذا الكتاب.... حسناً.. أليسيما تفكك كثيراً فى موضوع الجنس، على الأقل بطريقتها الخاصة التى تبدو غريبة“
”غريبة... ممم حسناً هذا صحيح، صحيح جداً ولكن فى هذه المرحلة يمكننا إعطاء الكتاب دفعة نحو العالمية. لدى الكثير من الأفكار أود طرحها عليك يا ريتا، الأولى...“

”أنت تجعل الأمر يبدو وكأننا سنعيد كتابة الكتاب برمته“
”تغيير وتبدل فقط هذا، كل شيء، كل شيء هنا يا ريتا، كل شيء هنا جميل“

كنت أعتقد أن الكتاب انتهى، وكنت ساعكف على كتابة المشهد
الأخير بعد...”

”لا تفعل ذلك أرجوك، لا تلمسيه حتى نناقش الأفكار التي سيتم
تعديلها.. أتوسل إليك، بإمكاننا أن نجعل الكتاب أحد أعظم كتب
القرن الجديد“

”ولكنني كنت أحاول أن...“

كنت تحاولين كتابة رواية كوميدية خفيفة، ولكنك كتبت شيئاً
آخر، لقد قمت بكتابة عمل أدبي للأجيال القادمة من القراء،
وسوف تكون كارثة إذا أنهيته الآن...“

”ما الذي علينا فعله؟“

”لقد وضعت قائمة بالأشياء التي عليك تعديلها، لنبدأ أولاً بدور
رومان، يجب أن يزيد دوره، مشاعره الدفينة، رغبته في الحج إلى
أرض آبائه، أرى أن هذا يستحق أن يكون لب الرواية“

”ولكن أليسيا هي مركز الأحداث في الرواية، وظننت أنك كنت
معجبًا بالخير الذي بداخلها، لقد أخبرتني بذلك على الهاتف، هل
تذكرة؟“

”الخير وليس العظلمة، من قال ذلك؟“

”دانيال ويسترمان“

"حقا؟ لم أقرأ عن الفتاة العجوز وأعرف أن السيد سكرييانو قد
مد لها يد المساعدة يوماً ما"
إنها في الخامسة والثمانين وهي كاتبة معروفة جدا، وهي
حقا..."

كنت أتسأل أيضاً عن ما إذا كنت ست manus فى جعل رومان
عازف قيثارة بدلاً من الترولمبون، فالقيثاراة تبدو أكثر جدية، أعني
كآلة موسيقية ولا أظن أن تغييراً صغيراً كهذا قد يؤثر على نصك
الأصلي..."

"آها، أنا لا أعتقد أنه بإمكانى فعل ذلك..."

كنت تظنين أنه عازف ترولمبون في الكتاب الأول، ولذلك يجب
أن يظل عازف ترولمبون، ولكن إذا وسعنا نطاق تفكيرنا خارج
التفكير في أن الكتاب تتمة لما سبقه، فيمكنه أن يعمل أي شيء آخر
يا ريتا، ويمكنه حتى أن يكون قائد الأوركسترا أو ملحنًا أو مؤدياً.

"ومدينة ويشوود..."

"يمكن بسهولة أن يعاد اختيار المكان ليصبح في نيويورك أو
بوسطن أو شيكاغو؟ حسنا، ربما شيكاغو ستكون جيدة، وحتى
تورonto على الرغم من أنها قد تحد من جمهور القراء..."

"لا أعتقد ذلك، وليس بعد الآن".

إنه وفجأة فى منتصف العمر أصبح يريد أكثر من ذلك، ويتحقق
لأكثر من ذلك.

"من؟"

"رومأن".

"آها".

أنا لا أعتقد أننا قد نحاول التقليل من بعض المشاهد الهزيلة،
على الرغم من أنها جيدة. كما قالها وودى آلين الذى طالما استشهد
به، دائمًا ما يطلب من كتاب الكوميديا الجلوس فى مكان الأطفال
ووضع أنفسهم مكانهم.

"ولكن لا يمكننى أن أرى رومان شخصية جادة كـ..."

كان والدها من المهاجرين، قاموا بالتضحيه بلفتهم وجذورهم
الثقافية، فكرى فى ذلك، لقد تلقى قدرًا لا بأس به من التعليم
وأصبح موسيقارا، وتعتبره أيضًا النساء شخصًا جذابًا بسبب شعره
وبنيانه القوى وعقله النشيط دائمًا، لقد كان زواجه الأول فاشلا
وبعد ذلك قابل أليسيا التى تعمل من بين جميع الأشياء فى مجال
الموضة، هو يحتقر كل شئ، فيجب ألا يتم هذا الزواج".

"أوافق على هذا تماماً، ويجب ألا تتم الزبحة، ولكن..."

"أنا سعيد أنك توافقنى الرأى فى هذا الأمر".

"ولكن فعلياً أليسيا هي من ترى أن..."

"لم تستطع أن تفهم رغبته في التواصل مع أسرته وتراثه، وحبه الحقيقي هي سيلفيا وودال عازفة المزمار، عرفت فوراً ما أرادت أن تقول فور ظهورها، سيلفيا لديها روح عنيفة تستجيب لمطالب رومان، فالمطلب تحدّر مباشرةً إلى روح الرجل، وأنا أتحدث عن أن رومان هو المركز الأخلاقي للأحداث في الرواية، وبالرغم من جمال أليسيا الساحر فهي لا تصلح لهذا الدور، وبالطبع تستطعين رؤية هذا، إنها تكتب في مجلة للموضة وتكلم قطتها وتمارس اليوجا وتعد كسرولة الأرز"

"هذا لأنها امرأة"

"هذه ليست القضية إطلاقاً، وبالتالي أنت ..."

"ولكن هذه هي القضية"

"إنها غير قادرة على أن تطلب - هي غير منضبطة - إنها لا تستطيع التركيز مثل رومان - هي تغيير رأيها في - إنها تفتقر إلى - القارئ. إن القارئ الجاد الذي أضعه في ذهني لن يقبلها أبداً كنقطة ارتكاز لعمل فني جاد يعتبر بمثابة نقد مجتمعنا، وفي الوقت نفسه تفتح مثل بساط من الحتمية، وهذا كلام سردي".

"لأنها امرأة"

"لا، على الإطلاق .. على الإطلاق"

"لأنها امرأة"

بما أن

قلت "لأنها امرأة"، وفي تلك اللحظة حدثت ثلاثة أشياء أكثر أو أقل في وقت واحد. رفع آرثر سبرينجر ذراعه في احتجاج مهذب، وطرق على الزجاجة فوق طاولة القهوة، وغمر الصحيفة الصباحية بالنبيذ الأحمر، ولكن لحسن الحظ لم يتبق الكثير وقد أخاف هذا بيت كثيرا حتى أنه تراجع وانزوى جانبا على الأرض الصلبة وهو يرقد في ركن بجوار طاولة زجاجية صغيرة، حيث كان يرقد وكان يلهث ويفرغ وهو يخبط وجهه في مخالفه.

في تلك اللحظة دخلت كل من ناتالي وكريس من الباب الأمامي. كانتا تصدران ضجة وصوتهمما عاليا، بدت أقدامهما أكبر من المعتاد، وخلعتا أحذيتهمما ورميـتا الكتب في أرض الصالة، "مدينة لعينة" هكذا سمعت كريـس تقول بصوت عال، وبعد ذلك وجدت الاثنين تضحكـان على شيء سيفعلـانـه مع جارـنا، ويلـو هـالـيدـايـ، الذي أحضرـهما للمنـزل بـسيـارـته عندـما فـاتـهـما أـتوـبـيسـ المـدرـسـةـ وـعـنـدـماـ لمـ يـذـهـبـ لهـمـاـ تـومـ.

كنت على وشك أن أعرفهما بسبعينجر آثر عندما انشغلت برنين الهاتف، تركت آثر كى أنظف النبيذ الواقع على الأرض بالمناديل، منديل كتان أبيض اللون، لاحظت بإحدى زوايا عينى أنك عادة لا تشاهد الناس بمناديل حقيقية. تبعتى بيت ومشى خلفى إلى المطبخ وضغط بجنبه المهز على قدمى.

كان توم هو من يتصل على الهاتف وسألته "أين أنت؟"
فقال مسرعاً "لا يوجد ما تقلق بشأنه، كل شيء بخير" وحينها فهمت أن هناك مشكلة ما.

جلست في الكرسي حتى غرفت فيه وقلت "ولكن..."
"إن نورا لديها التهاب رئوي ولكنها ستكون بخير، إنها نائمة الآن"
"ولكن .."

"قلت وأنا أتنفس بصعوبة "أين هي؟"
في مستشفى تورنتو العام، إنهم يهتمون بها جيداً وهي تستجيب للعلاج بشكل ممتاز"

"قلت وأنا أفكر بتسريع "سأتى حالاً، سأتى خلال ساعة"
"سأنتظرك في الغرفة رقم ٤٢٤ في الجناح الغربي، ولسوء الحظ لم تكن هناك غرف فردية متاحة" لا يهم.. لا يهم.

فقال لي بحدة "قودي السيارة بحرص"

فقلت للفتيات بحده "ارتد يا المعاطف، نورا في المستشفى لديها التهاب رئوي وأبوكم معها الآن".

وقلت لأرثر سبرينجر شيئاً بخصوص أن هناك أمراً طارئاً ولكنني لا أتذكر ماذا قلت تحديداً، وقلت إنه يجب على الرحيل فوراً (كنت قد ارتديت معطفى بالفعل وكانت أبحث عن حذائى، وهمست فى أذنه بكلمات سريعة، قلت كلمات مثل: فلتجلس لأى وقت تشاءه واعتبر نفسك فى منزلك، يوجد طعام فى الثلاجة وباستا فى هذا الوعاء الأبيض المغطى بالبلاستيك وهو لا يحتاج إلا للتسخين فقط، وهناك المزيد من النبيذ فى الخزانة والكثير من الحطب، ولا أعرف متى سنعود).

لم أكن قلقة حياله بأى طريقة وبسرعة رهيبة كنا فى الطريق، كانت كريستين تجلس فى المقعد الخلفى وناتالى تجلس بجوارى، كنت أقود بسرعة شديدة على الطريق الجليدى المظلم، بداية فى أورانج تاون وحتى النهاية الأخرى ثم إلى الطريق السريع وصعوده المتفاوت باتجاه الجنوب. كانت مدينة تورonto أمامنا عبارة عن ضباب وردى طوال المسافة، وكانت حركة المرور مزدحمة فى هذه الساعة، كنا صامتين تقريباً، ولم نفكر أبداً فى السيد سبرينجر، ولم نفكّر إذا كان مرتاحاً أو مقتعاً ولو لدقيقة واحدة، نسينا السيد سبرينجر تماماً، ونسينا حماتى أيضاً، وبعدها عرفنا ماذا حدث لهما.

لقد اعتبر نفسه في منزله وفتح زجاجة النبيذ أخرى، وكنت قد تركت زجاجة مفتوحة في مكان غير مألف بغرفة الطعام وراء قطعة جميلة من الفخار، ومع ذلك وجدها، وبالتالي فلابد وأنه بحث عن التلفاز، كانت الساعة السادسة وهو وقت الأخبار،وها هو قد وجد التلفاز في حجرة صغيرة، وكان هناك الريموت في مكانه الطبيعي بجوار الطاولة الصغيرة، وغالبا جلس على الكرسىقطن ذى الذراعين وهو يمسك بكأسه ويفكر قائلا: يا إلهي لماذا أنا هنا؟ وكيف جئت إلى هنا؟

وبالتدرج بدأ يشعر بشيء ما ينقر بإصرار على الباب الخلفي، لم يكن يعرف المنزل جيدا، ولذلك استغرق بعض الوقت ليعرف من أين يأتي النقر، كان بيته لا شك لا يزال في المطبخ ليتعافى مما حدث له من زجاجة النبيذ وإحساسه أن هناك شخصا غريبا في المنزل.

كانت لويس من تقرر الباب وبعدها طبق حلوي من الخبر، وكانت تحمله في أحد أوعيتها المقاومة للحرارة على شكل مستطيل، وهو معها منذ خمسين عاما مضت.

أفسحت لنفسها طريقا داخل البيت الدافئ، وشرحـت من تكون وأنها انتظرت الإشارة المعتادة على أن العشاء جاهز، ألا وهي غلق الستائر الحمراء، ولكنها قلقت وفكـرت في أن تأتي لتفقدنا، كان بإمكانـها أن ترى ومـضـ التـلـفـزـيونـ، وفهمـتـ أنـ هـنـاكـ شـخـصـاـ ماـ فـيـ

المنزل، واتصلت لكن لم يرد عليها أحد، بالطبع لقد فهمت أن هناك ضيفاً منتظراً على العشاء، ولذلك صنعت حلوى أكبر من المعتاد وتمنت أن يحب الضيف الخبز المحلي.

أوضح السيد سبرينجر أنه رفع الصوت، وأوضحت أيضاً من هو ولماذا هو موجود بالمنزل وأين ذهب بقيتنا، وظل يعتذر، لم يسمع زين الهاتف وكان آسفاً للغاية، وقال إنه سعيد للغاية لمقابلة والدة ريتا.

فأوضحت له قائلة إنها حماتي وإن ريتا هي زوجة ابنها توم، يمكن أن نقول أنهما متزوجان نوعاً ما.

آها

قالت لويس بصوت عال، نورا والالتهاب الرئوي، حسناً لقد كان الالتهاب الرئوي مرضًا خطيراً في يوم من ذات الأيام، ولكن الآن يمكن علاجه بالمضاد الحيوي ويأتي للناس ويتعاونون منه سريراً، ولكنه لا يزال مقلقاً بشدة.

كان السيد سبرينجر متأكداً أن نورا ستكون بخير.

وتمتّمت لويس بشيء معناه أن نورا لن تكون بخير، وأنها ليست بخير منذ فترة، وأنها الابنة الأولى وأقربهن لقلبه، ثم ألقت نظرة على بيت، هذا المخلوق الفقير، هل تناول طعامه؟

كان السيد سبرينجر قلقاً لأنه لم يفكر في الكلب لم يكن يعرف تحديداً ما عليه فعله، لم يكن جيداً في التعامل مع الحيوانات، ويبدو أن الحيوانات تخاف منه، ولقد نسى بكل صراحة أن الكلب في المنزل.

بيت حاله كحال جميع فصيلة الجولدين يتصرف بالطمع، فهو يتناول عشاءه بشرابة وسعادة وبعد ذلك يتجلساً بقوه، وقالت لويس بينما كانت تعلق معطفها وتتولى الأمر "أنا سأهتم به"، اعتاد بيته على أن يتم إطعامه الساعة السادسة والنصف، وكنا أيضاً نترك له الفرصة للخروج قليلاً ولكنه لم يكن يبتعد عن المنزل، فلديه شعور قوى بالانتماء لبيته الأصلي.

لديه هذا الشعور أقوى من معظمنا، قالها السيد سبرينجر بطريقته الفلسفية.

فوازنقت لويس على ما قال، ثم اقترحت أن يخرجاً لتناول الطعام. لم يتحدثاً عن الوقت الذي ستستغرقه ريتا والبنات حتىعودتهن.

تذكر السيد سبرينجر شيئاً ما عن الباستا التي في الثلاجة، ولكنه لم يركز في التفاصيل، فكل شيء حدث بسرعة.

انهمكت لويس في تسخين الباستا في الميكروويف، ودعت السيد سبرينجر للعودة .. بعدة التلفاز وقالت إن الطعام سيكون جاهزاً خلال دقيقتين.

تمنى لو كان يستطيع مساعدتها. كان يشاهد نشرة الأخبار ولم يكن هناك شيء مثير للاهتمام. الآن أو بعد ذلك، سيماتي اليوم الذي لا يحدث فيه شيء.

فاتفقتو معه لويس على هذا الموضوع أيضاً.

قال السيد سبرينجر "يبدو أن مشيئة الله أرادات أن تمنحنا يوماً أجازة، أو شيئاً من هذا القبيل."

كانت لويس مستغرقة في وجهه السلس القوى، بينما كانت تشرح كيف تستطيع أن تفهم الموضوع من بدايته. إذا ما كانت عن معايير السلامة الجديدة لخوذات الهوكى، فإن هذا مؤشر عن أن شيئاً فظيعاً قد حدث، لا توجد قنابل أو قتل أو أعمال شغب أو حرائق.

قال السيد سبرينجر "أحب تلك الأيام الخوالى"
"وأنا أيضاً"

"إنها نادرة جداً"

اقترحت لويس تحضير المائدة في المطبخ حيث إنه لا يوجد سواهما.

يالها من فكرة رائعة، وأصر السيد سبرينجر على مساعدتها إذا ما أرشدته لويس عن مكان السكاكين والشوك.

جعلت الإضاءة خافتة إلى حد ما، وبينما كانت تحضر المكرونة في طبقين لتبقى ساخنة - كانت عبقرية في تسخين الأطباق -

قالت إن ريتا أعدت طبق الخرشوف المعتاد مع الزيتون الأسود وقطع الطماطم وجبن أسياجو، وكانت تحضره فقط عندما لم تكن متأكدة ما إذا كان الضيوف نباتيين أم لا. فكانت هذه الوجبة تجعلها فى أمان، إلا إذا كانوا من لا يأكلون الجبن، الذين يسمون أنفسهم نباتيين، ولكن لم يكن هناك الكثير منهم، الحمد لله.

صب السيد سبرينجر لنفسه كأسا أخرى من النبيذ، ولكنه صب للويس أولا وسألها وهو يرفع حاجبه إذا ما كانت تريد القليل، فأومأت برأسها ثم جلس الاثنان فى نفس اللحظة، وكأن ناقوسا قد أصدر صوتا.

وبعد أن ترك السيد سبرينجر طبق الباستا الساخن الخاص به، طلب من لويس أن تخبره كل شيء عن نفسها.

البداية

قالت له أنها ستبأ بلعبة رأتها منذ سنوات مضت، ولكنها لا تذكر اسمها حالياً، ولا تتذكر إذا كانت قد استمتعت بها أم لا. أمامها مباشرةً مكان الجمهور يجلس شاب وفتاة، الفتاة ضئيلة وجميلة للغاية وصوتها منخفض، وكانت تميل رأسها بابتسامة ناحية رجلها صغير السن، كان بالكاد يبعد عينيه عنها، وأمسك يديها خلال المسرحية وضغط عليهما بنهم عدة مرات، حتى صرخ الممثلون واندفعوا حول خشبة المسرح، أخذ يدها ووضع شفتيه عليها وأبقاها كذلك، لم تر لويس مثل هذا الحنان بين رجل وامرأة، وبالكاد استطاعت أن تتمام، وكانت تمسك يدها وتضعها على شفتيها عدة مرات وتضغط بشفتيها عليها، كانت في سن الأربعين آنذاك، وزوجة وأما.

أصبحت أرملة منذ اثنى عشر عاماً ولكنها لم تستخدم كلمة أرملة أبداً، وبدلًا من ذلك كانت تقول: "مات زوجي عام ١٩٨٨، ومنذ ذلك الحين وأنا وحيدة" وكانت تعرف كم أن هذا محزن.

في أيام الشتاء، كثيرة ما تجد نفسها في المطبخ تنظر من النافذة على أشجار السنديان الخالية من الأوراق، العتيقة الكبيرة، ولكنها ليست خالية تماماً من الأوراق، فقد بقيت ورقة واحدة بنية اللون على الفصين. هبت الرياح بشدة ولكن تلك الورقة بالتحديد أبى أن تتطاير مع الرياح، من ثم هناك طريقتان لمعرفة سر تلك الورقة، إما أنها صحيحة وقوية بشكل استثنائي، أو أنها مشوهة وغير قادرة على أن تتفهم آلية السقوط على الأرض حيث وقعت باقي الأوراق ودفنت تحت الثلوج. تلك الورقة التي لم تقع كانت حالة شاذة، شيء ما تسبب في إزعاجها. كان بيته مثله مثل أي كلب صيد جولدين، وهو أقصر من أي كلب ذكر عادي ببصتين، وإن ش واحد فقط هو ما كان سيسمح له بالتزاوج، ولكن لويس لم تكن تهتم بذلك.

أعربت عن أملها أن يكون الخبز المحلي قد أعجب السيد سبرينجر. لقد كان لديها قائمة بمائة صنف من الحلوي مرتبة أبجدياً في صندوق للوصفات، بدءاً بالتفاح باللوز مروراً بالحلوي الحالية والتمر، مروراً بموس الجوز الهش (المجمد) وانتهاء بعجينة فطيرة جبن زيباباك، لقد قامت بمراجعة تلك القائمة على مدار السنة، فلم يكن من السهل إيجاد بسكويت زيباباك، ولكن يمكن استبداله ببسكويت جراهام. وغنى عن القول إن كون بعض المكونات موسمية يعني أنها ليست مرتبة أبجدياً، وقد سمعت حفيديثها كريستين تسخر من قائمة الحلوي ذات مرة، بالرغم من أنها تتفهم ذلك إلا إنه بالنسبة لها شيء وضيع.

داهمتها آلام المخاض لمدة أربع وعشرين ساعة حتى ولد توم، ومنذ بدأ شعورها بالألم، طلبت من زوجها اصطحابها إلى المستشفى على الفور. قالت الموظفة ببرود "على بعد عشر دقائق؟" ألم يخبروك ألا تأتى حتى تصبح آلام المخاض على بعد خمس دقائق؟". فى تلك اللحظة سمع صوت امرأة تصرخ من طابق آخر . سألت لويسموظفة الاستقبال التى أخذت تنظر حولها "هل هذه المرأة على وشك الإنجاب؟" فأجابتها "إنها امرأة إيطالية تلد طفلها".

اسم حفيتها الأولى كان نورا شارلوت وينترز وهى طفلة جميلة، اسمتها شارلوت تيمنا باسم إحدى صديقات ريتا التى توفيت فى سن مبكرة فى حادث سيارة، لم تقابل لويس شارلوت صديقة ريتا قط، هى نفسها تعرضت لحادث سيارة من قبل، وحدث خطأ ما وتحطم المотор وكانت صدمة حقيقية، وهذا جعلها تتوقف عن قيادة السيارة، فما حدث فاق طاقتها.

كانت هناك امرأة تدعى كريستال ماكجين تعيش بالجوار مع عائلتها الكبيرة المكونة من أربعةأطفال مراهقين وشباب أهوج، فى إحدى المرات دعت كريستال لويس لتناول قدر من القهوة، وسألتها إذا كانت قد ارتادت جامعة، لم تقصد إذا كانت درست فى الجامعة ولكن أية جامعة ارتادت. ارتادت السيدة ماكجين جامعة كولين ودرست الاقتصاد، ولم تخبر لويس ماكجين أنها ارتادت كلية السكرتارية لمدة ستة شهور فى تورنتو، وتزوجت من زوجها الطبيب

الشاب وانتقل إلى أورانج تاون. شعرت أن كريستال ماكجين قد تجاوزت بسؤالها عن الجامعة. لم تريا الكثير من بعضهما إلا من حين لآخر، لا شئ سوى تحيات عابرة. إنها نادمة على ذلك الآن، وهي تدرك أن سؤال السيدة ماكجين لم يكن مقصوداً بقسوة، ولكن ربما تنقصه اللباقة.

خاصة إذا اعتبرنا أن لويس كانت زوجة طبيب، فيمكن القول إن هذا أعطاها وضعاً خاصاً في الأيام الأولى على الأقل، وأصبح من عادتها أن تذكر نفسها بهذه الحقيقة، وهي تقف أمام المرأة التي في الصالة، وهي تشطف بطنها وتقول بصوت موسيقى: أنا زوجة طبيب.

حصلت على جائزة مهرجان أورانج تاون لعملها كعكة ألمانية بالعسل، عندما سجلت في المسابقة نُصحت بأن تسميها كعكة سويسريّة بالعسل، وقد امتنّت للأمر، ولكن ماذا سيهم هذا الأمر؟ لقد فازت في كل الأحوال، وأخذت شريطاً أزرق، والذي رماه زوجها منذ سنوات مضت بالخطأ عندما كان ينظف الغرفة العليا، وقد شعر بشعور سيئٍ حيال ذلك.

هي تحب أوبرا، وكانت ترتدي يومها حسب مواعيد أوبرا، ونتيجة لمشاهدة أوبرا قد شعرت أنها تمتلك شجاعة ذاتية بعد ذلك.

نورا هي حفيديثها المفضلة والمقرية إلى قلبها، وقد مررت بوقت عصيب، هي نفسها تدرك الأوقات العصيبة، فعندما كانت في الخمسينيات من عمرها توقفت عن الخبز، وأوْتَت إلى الفراش

لأسبوعين. أراد زوجها أن يأخذها إلى عيادة مايو، وهذا كل ما تكلم عنه، عيادة مايو. استيقظت يوماً ما وقامت بتنظيف المرحاض كما لم تتنظفه من قبل. على ما يبدو إن استغراقها في النظافة ساعد الأمور أن تعود إلى نصابها، وذلك جعلها أكثر قدرة على التعايش بعد ذلك.

ما عدا في الآونة الأخيرة، لم تكن تتكلم كثيراً فلم تكن تثق بنفسها، وكان الضفادع ستخرج من فمها المفتوح، وظننت أنها ستجرح مشاعر الناس، وكان لديها رأي حول ما حدث لنورا، لم تكن تريده أن يعرف أي شخص آخر بهذا، ربما سيظنون أنها مجنونة، ويفترض أن تكون النساء قويات، ولكن في الحقيقة لم يكن كذلك، ولم يكن يسمح لهن بهذا، وقد أعادهن بيسأس شديد الألياف والأغشية والأنسجة المرنة، فمن السهل أن تتجزح المرأة، وأن تصاب بجروح بالغة، هذا ما سيحدث إذا ما فتحت فمك:

وعلى النقيض، كانت تعلم أن نورا ستكون بخير في نهاية الأمر، وأنه موضوع وقت فقط، بالرغم من أن الالتهاب الرئوي كان مقلقاً، كان تتمى لو اتصلت ريتا، وكانت سعيدة بأن تكون معها صحبة جيدة في ليلة شتوية بالإضافة إلى الخبز المحلي وصوص الليمون وكوب الشاي، لقد تحدثت لويس كثيراً حتى أرهقته، ولم يكن هذا من عادتها، ولم تكن تعرف كيف بدأت أصلاً كل هذا.

ويشكل عام فقد اعتقدت أن كل شيء كان على ما يرام، إلا
يواافقها السيد سبرينجر؟

بالفعل

قالت توم هو يشير إلى يد نورا ورسفها: "هناك حروق"، كانت نورا نائمة وعلى وجهها أنبوب الأكسوجين متصلة بأنفها، كانت مثل سنو وايت في الصندوق الزجاجي، وتجمعت أنا والبنات حول السرير مثل الأقزام السبعة الفضولية، كان جلد وجهها أبيض ومنتفخاً، أحدهم سرح شعرها فتجده مفروداً ونظيفاً على الوسادة، وعلى أكتاف ثوب المستشفى الأزرق، وكان مريوطاً خلف رقبتها، حبيبتي نورا. إنه شعور رائع أن تجلس على كرسي من البلاستيك بالقرب منها، ناهيك عن أن رئتيها كانتا مليئتين بالسوائل بشكل جزئي.

كانت نائمة منذ وصولنا، وكان الالتهاب الرئوي لا يزال موجوداً ولكنه تحت السيطرة، وكان هذا مريحاً جداً بالنسبة لنا، ولكني كنت قلقة بسبب يدها المحمرة والمخيفة، والتي كانت ملقة على البطانية القطنية بيضاء اللون، شعرت أنني أتلخص عليها وأنني معتمد دخل

الغرفة، وأنه في أي لحظة ستفتح ابنتي عينيها ستهمنى بشئ ما،
ما هو يا ترى؟

تابع توم بصوته الذى أستطيع تمييزه عن بعد "مزيج من حروق
الدرجة الثانية" وكانت نبرات صوته ترتفع وتنخفض بشكل منظم،
وذكرنى بمرة تمشينا فيها فى الغابة خلف منزلنا، وكانت الأشجار
مزدهرة فى فصل الصيف، والأرض فاتحة ذراعيها تحت أقدامنا،
عندما أخبرنى أن إصابة أمى بالسرطان تقامت، وأنه قد تمكן من
رئتيها وأن الوقت الباقي لها قليل جداً، وأنه لم يتبق لها سوى
أسبوع أو ما شابه.

قال بهدوء "يمكنك أن ترى أنها تعانى من عدوى على ظهر كلتا
يديها، وهناك عدد لا يأس به من الندوب، وبعضها كان يمكن تجنبه
لو أن هناك من اعتنى بها جيداً".

متى حدثت تلك الحروق؟ لماذا لم نرَ حالة يديها من قبل؟ هذه
بعض الأسئلة التى طرحتها السيد دى فيتا، والذى حضر حالتها،
وبعضها من فرانسيس كوبين من فندق بروميس، والتى اكتشفت فى
وقت متأخر من مساء أمس أن نورا كانت تسعل لعدة أيام، وربما
تحتاج أن تُعرض على طبيب، تذكرت أنا وتوم ومضات عما ظلنا أنه
طفح جلدى أو تقرح فى اليدين من البرد.

وذكرتنا ناتالى قائلة "نورا دائمًا ما كانت ترتدى قفازات حتى
عندما كان الجو حاراً للغاية فى الصيف الماضى وفي شهر يوليو
تحديداً، كانت ترتدى قفازات العمل فى الحدائق".

فقالت كريس "نعم، وكنا نظن أن هذا تصرف غريب".

فقلت "حسناً هذا جيد"، كانت ترتدي قفازات الحدائق عندما وجدناها في أبريل الماضي في باثورست وبلاور، كان هذا في الثلاثاء يوم الحادي عشر من أبريل، وهو يوم لا يمكن أن أنساه قط، أعتقد أنها ارتدتهما كى تحمى يديها من الرصيف وقوسونه، يا له من ألم عانت منه في صمت.

قالت فرانسيس كوبن لتون في وقت مبكر من هذا اليوم إنها كانت تنام وهي ترتدي تلك القفازات في كل ليلة في النزل، ظن فريق العمل أن هذا تصرف غريب، ولكن ما لبث أن أظهر الكثير من عملاء الفندق تصرفات غريبة.

ماذا عن تصرفاتها عندما كانت تأكل في قاعة الطعام؟

كانت تخلع قفازها عندما تأكل.

وماذا كانت حالة يدها؟

كانت حمراء، وكان يبدو كطفح جلدي، حسناً لقد كان تدميراً في خلايا الجسم، وهي خطوة في عملية الشفاء، ويذكر أحد المتطوعين أنه رأى يدها مضمدة عندما وصلت للمرة الأولى في الأسابيع الأولى.

ومتي كان هذا بالضبط؟

كل شيء موثق في ملفها، أنت لفندق بروميس للمرة الأولى في الثاني عشر من أبريل، كنت أنا وتوم نعلم هذا، وأكملت قائلة إنه كان يسمح للأشخاص العاديين أن يبقوا لمدة ثلاثة أشهر فقط، وهذه هي القاعدة. ولكن نورا كانت هادئة للغاية ولطيفة جداً، لقد تجاهلت فقط إقامتها الطويلة هنا، ولم يثر أي شخص الموضوع.

وقال الدكتور دي فيتا من قسم الحرائق "يمكنني القول إن هذه الحروق منذ ستة أشهر على الأقل"

ستة أشهر، إن هذه المدة تعود بنا لأوائل الصيف أو الربع.

فقلت "أتسائل إن كان بين أبوت يعرف أي شيء عن الحرق" وقد استشهد باسم صديقها السابق بصعوبة شديدة، وقد علق الاسم في حلقى وكان من الأسهل لا أفكّر فيه.

وقال توم "لقد اتصلت به بالفعل في وقت مبكر من ظهر اليوم، ولم يكن لديه أدنى فكرة كيف يمكن أن تكون قد حرقت نفسها، وكان متأكداً من هذا تماماً وعلى أن أصدقه".

"هل ما زالت يدها تتآلم؟"

"ربما لا، ولكن لم يكن هناك من اهتم بهذه الحروق، يمكن أن ترى أين توجد الحبيبات الحمراء".

كان الوقت قد اقترب من منتصف الليل، وامتلأت الفرفة بالكثير من الأسطح الصلبة، وكانت الظلال تقع على أركان السقف، ولم

يُكَنْ سُوِّي نُورْ ضَئِيلْ فَوْقَ سَرِيرِ نُورَا، وَعَلَى سَرِيرِ آخَرْ خَلْفَ غَطَاءِ
مِنَ الْقَمَاشِ يَوْجَدُ أَحَدُ الْغَرِيَّابِيَّاتِ يَئْنِ بِجَوارِ سَرِيرِهَا، وَيَبْدُو أَنَّهُ يَعْانِي
مِنْ كَوَابِيسٍ وَكَانَ يَتَحَدَّثُ بِشَكْلٍ غَيْرَ وَاضْعَفْ وَبِلْفَةٍ غَيْرَ مَفْهُومَةٍ.

هَذَا مَا حَدَّثَ لِي، وَحَدَّثَتْ بَعْدَهَا حَمَاتِي، وَأَخْبَرَتْهَا أَنَّنَا لَنْ نَعُودْ
لِلْمَنْزِلِ الْلَّيْلَةَ، وَأَنْ نُورَا جَيْدَةٌ وَلَكِنَّنَا سَنَظَلُ مَعَهَا فِي الْمَسْتَشْفِيِّ.
وَجَدْنَا غَرْفَةً عَائِلِيَّةً لَنَا فِي نَهَايَةِ الْمَرْ، وَكَانَتِ الْبَنَاتُ عَلَى وَشكِ
النَّوْمِ.

كَانَ صَوْتُ لَوِيسِ مُبْتَهِجاً لِبَعْضِ الْأَسْبَابِ، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّهُ
أَيْقَظَتْهَا مِنْ نَوْمٍ عَمِيقٍ، وَقَالَتْ "لَا تَقْلِقْنِي حَيَالَ بَيْتِ، فَقَطْ أَطْعَمْتَهُ
وَتَرَكْتَهُ يَخْرُجُ قَلِيلًا"، وَوَعَدْتَهَا بِأَنْ اتَّصِلُ بِهَا فِي الصَّبَاحِ، وَبَعْدَ أَنْ
أَغْلَقْتُ تَذَكِّرَتْ أَنِّي لَمْ أَسْأَلَهَا عَنْ آرَثِرِ سَبَرِينِجَرِ، فَقَدْ تَنَاسَيْتُ
وَجُودَهِ تَامًا.

وَقَالَ تُومُ "عَلَيْكَ أَنْ تَخْلُدَ لِلنَّوْمِ الْآنَ" وَلَمْسَ جَانِبَ وجْهِي بِيَدِيهِ
بِرْفَقِ.

"لَا لَنْ أَسْتَطِعُ، سَأَجْلِسُ هَنَا فَقَطْ فِي حَالَةِ أَنَّهَا إِسْتِيقْظَتْ"
تَرَكَنِي هُنَاكَ وَكَانَ لَدِيهِ عَدَدٌ مَكَالِمَاتٍ عَلَيْهِ أَنْ يَجْرِيَهَا، وَكَانَ
يَتَحَدَّثُ حَوْلَ الْبَحْثِ عَنْ شَيْءٍ مَا عَلَى الإِنْتَرْنِتِ.

كَانَتْ هُنَاكَ مَمْرُضَةً تَمُرُ كُلَّ سَاعَةٍ كَيْ تَتَأَكَّدُ مِنْ نَبْضِ نُورَا،
كَانَتْ تَأْتِي وَتَرْحُلُ فِي صِمَتٍ وَهِيَ تَرْتَدِي حَذَائِصَ الْبَلاسْتِيْكِيِّ،
وَأَوْمَأَتْ إِلَى قَائِلَةِ إِنَّهَا بِخِيرٍ.

ربما أكون قد غفوت في مقعدي قليلاً ولكنني أشك في هذا،
كانت الساعة الثانية ثم أصبحت الثالثة، وبدا أن ناتالي وكريس
نائمان في الغرفة العائلية وكذلك توم، جلست على مقعدي وأبقيت
عيني على وجه نورا، انحرفت أفكارى قليلاً لأليسيا ورومان وحفل
زفافهما في مدينة ويشود، أدركت أننى لم أهتم بما حدث لهما،
فقد كانت حياتهما عابرة، ويمكن نقلها بسهولة مثل الزئبق، لم أعد
احتاجهما أكثر من ذلك، ولم يستحقا اهتمام أي شخص، على الأقل
منى.

فتحت نورا عينها قبل الساعة الثالثة والنصف.

وضعت شفتي على خديها وناديتها: "نورا"
ابتسمت بوهـن تجاهـي ثم وضعـت يـدهـا الخـشنـة على رـسـفي.
فـقلـت بـسرـعة مـرـة ثـانـيـة "نـورـا، لـقـد اـسـتـيقـظـتـ".

كان فـمـهـا يـقـول "نعم"

حتى هذه اللحظة

الأول من فبراير ٢٠١١

عزيزتى رسيل ساندور:

لقد قرأت مؤخرًا أحد قصصك القصيرة في واحدة من المجلات الشهرية التي قمنا بالاشتراك فيها، القصة التي تدور حول أستاذ الفلسفة التشيكى الذى انتقل إلى لوس أنجلوس؛ وكيف يرى أن الثقافة الأمريكية بدائية وضعيفة وصعبه الفهم، الوجبات السريعة البشعة والإنجليزية المتاكلة، وخاصة الإهانة البشعة للمارأة بالمعروضات في وجهات محلات لوس انجلوس للأدوات الطبية، مثل صدرية استئصال الثدي التي كانت معروضة بكل وقاحة. مما يعتبر اعتداء على القيم بتعليقها بكل وقاحة، والإشارة إليها بلا فافة كبيرة في حال لم يتعرف أحد على ماهيتها "صدرية استئصال الثدي، إنها معلقة هناك لاستثارة غضبه وحساسيته الزائدة في الوجهة مباشرة أمام وجهه، حينئذ شعر بالاشمئاز ثم بالغثيان.

تقهم الأمر يا سيد ساندور.

صدرية استئصال الثدي هي صدرية مثلها مثل أي صدرية أخرى. هي نظيفة ومحاطة جيدا، وعادة ما تكون مصنوعة من القطن. الشخصية هنا لأستاذ جامعي عاش في أوروبا كما ذكرت مرات عده، حيث تعلق صدريات السيدات في كل مكان في الشارع على حبال الفسيل، وتتعلق الصدرية لتجف على الحبل في منطقة البحر المتوسط أشبه بعلم إيطاليا أو فرنسا أو حتى البرتغال. هذه الصدرية تختلف فقط في وجود جيبيين صغيرين حيث توضع أدلة لتحل محل الثدي الحقيقي، عند استئصاله نتيجة سرطان الثدي. بعض النساء مثل إيمان تم استئصال ثدييها، ومن هنا، كلا الجيبيين سيتم ملؤهما بمادة صناعية مكونة من الهلام مصبوب في طبقة رقيقة من الجلد البلاستيكي. فقدت إيمان زوجها صعقا من البرق وابنها منتحرًا والآن فقدت أعضاء جسدها. أصبح لديها الآن تلك الحشوة المعنوية كما تسميها. لقد ذهبت معها حين كانت تشتري صدريتها الجديدة، واحدة سوداء وأخرى لونها أصفر مطعم بالرمادي، المحل كان مكانا صغيرا في الطرف الشمالي من تورنتو، حيث يمكنك أيضا إذا أردت شراء أشياء مثل شعر الصدر المستعار للرجال.

يتسائل الأستاذ التشيكي في قصتك لماذا تقع عيناه دائما على تلك الصدريات. أنا أعتقد أنه يكره النساء، وتمتد كراهيته لهن إلى

كراسيه لكل ما يتعلق بأجسادهن، حتى وإن كانت الكراسي التي تجلسن عليها والملابس التي تلبسنها، وخاصة الأمور التي تتعلق بكتابات المرأة وشعورهن بالشفقة تجاه ذاتهن، وافتقارهن لروح الدعابة وإلحادهن وخوفهن من الأماكن المغلقة ولوهنهن.

لقد شعرت بإهانة بالغة وصادمة، وحتى إن أستاذك يقول إنه يخشى أن يهين إحداهم، لقد أرسلت عدة خطابات هذا العام لمن أغضبوني بشكل أو بآخر هذا العام، ولكن لم يسبق لي أن أرسلت إيميل لأحدهم أو حتى وقعت له كتاباً، وهذا لأنني لا أريد أن يتم قتلي، لأن أستاذك في الغالب يقتل زوجته، وهو يمسك مطواة موجهة لجسدها وهي نائمة. ولكن الآن لا أمانع إذا قتلتني، فقد عانيت فترة من القطيعة من جانب ابنتي، هي الآن في المنزل وأمنة وكانت فترة انفصالتنا مثل سكين بارد استقر في صدرى..

حدث أن حياتها تزامنت مع حدث أليم، وشك والدها أن هذا هو سبب محنته، وفي الغالب كان على حق. كانت حالة من الإجبار على اتخاذ قرارات، واقترن الحادث مع يوم مفقود من حياة ابنتنا. كان يوماً ربيعاً مثل أي يوم آخر، ولكنه لم يكن مثل غيره. كانت لحظة تاريخية وكتب عنها في الصحف، على الرغم من أنها لم نقرأ عنها بشكل جيد لسبب ما، لقد تم تسجيلها على شريط فيديو، وبذلك يمكننا مشاهدة المأساة تتكرر، ويمكننا فهم كيف أن قوتها اغتصبت حياة امرأة شابة، وجعلتها تعيش أياماً مليئة بالحزن.

كانت نظرتي الخاصة قبل أن نعرف الحدث المرؤى هي أن نورا أصبحت مدركة لكل هذا التراكم من الإحباط، والتى أيقظته بداخلها فى عامها العشرين، ودمجته مع حالتها الانفرادية من عدم الانتماء، وفهمت فى النهاية أنه لم يكن مسموحا لها سوى أن تقول القليل. كانت هناك علامات وكانت لا تهدأ وتتغلق على ذاتها، وترتدى كما نفعل جميعاً مما نعرفه، وتكتشف الواقع ثم تبرأ منه، ولكنه من الممكن أيضاً أنى كنت من أحبطها بمخاوفى، وبغيرتى المتتالية فيما يتعلق بالعالم وترتيباته، والتى وجدت نفسى بداخلها فى منتصف حياتى وفي وسط القارة، وعلى الجانب مما لا أحبه، وقد يكون الأمر أنتى على حق فى جزء، ومخطئه فى جزء، أو أن توم مخطئ فى جزء ومصيب فى جزء، فيما يخص نظرتيه بما بعد الصدمة العصبية، أو أن دانيال تعرف من البداية، ولن نعرف أبداً لماذا حدث هذا، عامة كانت نورا تمسك لوعة الخير وليس العزمة، ربما لأنه لم يكن هناك وسيلة أخرى كى تعبر عن وجودها، وفي المسافة المعتمة تذوب فى غروب الشمس والمبانى المصنوعة من الحجر الجيري، وأسفلت الشوارع وإشارات المرور وصوت الخير الذى نكاد نسمعه، ولا يهم هل شعرنا به أم لا. لم يكن لنورا مكان تقف فيه بعد "الحدث"، كانت تقف فى موضع عال عنا جميعاً، هى ولسانها الصامت ويدها المحروقة.

لا يمكن الاعتماد على هذا المخلوق الطبيع، وهذا ما اكتشفته، ومع ذلك فقد أقحمت نفسى فى محيطها، إن الخير هو الاحترام

الذى يعلو ويحتل مكانا عاليا، لقد أفرغ نفسه من الانتقام الذى لا صوت له على الإطلاق، أخشى أنى لا أستطيع صياغة ذلك بوضوح، ما زلت أفرز التفاصيل، ولكنى أحاول أن أصبح واحدة من المخلصات، ولذلك سوف أوقع باسمى على هذا الخطاب ولكن ليس بصدق، ولكن كما يظهر تماما فى دليل الهاتف المحلى.

ريتا وينترز

طريق سيسكس كورنرز، RR4

أورانج تاون

ليس بعد

إن الحياة مليئة بالأحداث المزعولة، ولكن هذه الأحداث تتطلب أنماطاً غريبة من اللغة كى تضمنها معاً، إذا كانت ستتشكل سرداً متماساً، مع بعض قواعد النحو (فى الأغلب تكون أحوالاً وحروف جر) يصعب تعريفها؛ حيث إنها بدون موقع أو لها موقع قريبة، كلمات مثل: لذلك، وإلا، غيرها، أيضاً، من ذلك، حتى ذلك الوقت، بدلاً من ذلك، خلاف ذلك، على الرغم من، بالفعل، وليس الآن.

أخبرتني صديقتي القديمة جيما والش - التي عينت مؤخراً رئيسة لقسم اللاهوت - أن العقيدة المسيحية متوازنة على كلمتين: "بالفعل" و "ليس بعد". فاليسوع جاءت بالفعل، ولكنها لم يأت بعد، إذا استطعت أن تجمع الصورتين المتضادتين معاً كما يمكنك أن تفعل في المشاهد المحسنة، وكمسحى تقليدي يجمع معاً الثالوث الأب والابن وروح القدس، فربما تفهم شيئاً ما عن القوة وما وراء الطبيعة لهذه الكلمات ذات الصلة وغير المصنفة.

إن تصريف الأفعال و (بعض الأحيان) الظرف "إلا إذا" بنفمه الرثائية، هو مصطلح يستخدم في المنطق، وكلمة ينطقتها من لديهم أمل أو كتاب الخيال، الذين لديهم الرغبة في اختراق العالم والكشف عن خطة أخرى للوجود، والتى تشبه في خواصها الجغرافية ويسكنها هؤلاء الذين يشبهون أنفسنا. إذا لم تكن الحوبيصلات الرئوية لنورا قد امتلأت بالسوائل، وإذا لم يقل أحد المتطوعين في فندق بروميس لفرانسيس كوبن إن نورا تعانى من السعال طوال الليل، ولو لم تتصل فرانسيس بالإسعاف، لم نكن لنجد نورا أبداً في مستشفى تورنتو العام.

كان هذا اليوم بالصدفة هو يوم الجمعة، وهو اليوم الذي يذهب فيه توم إلى باثورست وبلور ليلقى نظرة عليها، ولم تكن نورا هناك حينما ذهب، وهذه هي المرة الأولى التي لم تكن هناك منذ أبريل.

إلا إذا.. إلا إذا. رن الجرس في النُّزل وأخبروني أنها نقلت إلى المستشفى منذ الصباح الباكر، ولكن لأن نورا فوق سن ١٨، لم يكن لدى فرانسيس كوبن الحرية كى تقول اسم المستشفى، وأصر توم على أن يتصل بجميع المستشفيات، هل لديكم فتاة في التاسعة عشرة من عمرها ولديها طفح جلدي ثقيل على معصميه؟ نعم، لقد كان محظوظاً أن يجدها في ثالث مكالمة، وقد فحصوها في هذا اليوم.

إلا إذا. الروائيون دائماً وأبداً موضع اتهام بإفهامهم للصدفة في الأحداث، ومن هنا كان لابد أن أسأل نفسى ما إذا كان وقوف نورا في

الزاوية حيث تقع أونست إيد من قبيل المصادفة أم لا، وهذا يتصادف مع حادثة امرأة شابة مسلمة (أو كما يبدو من زيها) في شهر أبريل من عام ٢٠٠٠ وقد تقدمت نحو الرصيف وسكت البنزين على حجابها وثوبها وأشعلت النار في نفسها، ومن المؤكد أن ذلك ليس من قبيل المصادفة، فقد كانت نورا تعيش في شقة في الطابق السفلي على مقرية مع صديقها بين أبوت. كانت ذاهبة إلى أونست يونج لشراء رف بلاستيكي للأطباق، والذي كانت تحمله في يدها حينما بدأت العملية الانتحارية (لماذا رف بلاستيكي للأطباق؟ - إنه منتج ردئ - لا يمكن شراء مثل هذه الخردة إلا من باب تشجيع الإنتاج المحلي) وبدون تفكير وفور وصول فريق الأخبار للتقطية الإعلامية، هرعت نورا محاولة إخماد النيران واشتعلت النيران في رف الأطباق والكيس البلاستيكي الذي كان مغلفاً به مما أشعل النيران في جسد نورا. تراجعت هي للخلف ثم توقفت وصرخت، أو شيئاً كهذا، وبعد ذلك غرست أصابعها في جلد المرأة المحترق والتي كان من الصعب التعرف عليها، فذراعها ورئتها وبطنها كانت متفحمة وكانت الرائحة فظيعة. جاء رجال إطفاء وجذبوا نورا بعيداً ورفعوا جسدها على شكل قوس ووضعوها على سرير الطوارئ لتقييدها ودفعوا بها إلى عربة الطوارئ، حيث تلقت الإسعافات الأولية. بعد دقائق معدودة اختفت دون أن تسجل اسمها.

إذا لم يسحب رجال الإطفاء نورا في الوقت المناسب، وإذا لم تلتقط كاميرات مراقبة أونست إيد صورة نورا وتسجلها، ولو حتى من ظهرها وذراعيها المتفحمين، لما سهل لأفراد عائلتها التعرف

عليها وهى تحرق فى اللهب وإذا لم يسلمو الشريط إلى الشرطة .
إذا لم وإذا لم كان كل هذا الضياع، ولكن هذا لم يحدث يا نورا .
 تستطعين الآن نسيان كل هذا ويمكن أن تتناسيه وستتذكريه
 كذكري لذكري وستفعل هذا بسعادة .

إلا إذا طرحنا أسئلة .

إذا لم أسأل دانيال ويسترمان الأسبوع الماضى عن نقطه واضحة
تسبب فى إزعاجها فى طفولتها : هل كان والدها أم والدتها ؟ لقد
سألتها بجرأة وهى أجبت أن والدتها كانت فى الثامنة عشرة من
عمرها وقد عاشت معظم حياتها فى خوف . فى إحدى المرات
حاولت أمها خنقها حينما تأخرت بالخارج ليلا ، فقادرت المنزل بعد
ذلك فورا ، وفى اليوم التالى سافرت إلى فرنسا وليس معها سوى
مائة فرنك فى جيبها وتذكرة قطار لباريس .

لماذا صفت كل هذه الشهور ؟ لقد سألت حماتى لويس لماذا لم
تخبرنا بما حدث ؟

فقالت لأن أحدا لم يسألها

لكن هل سألك آرثر سبرينجر ؟

نعم ، مال ناحية طاولة المطبخ وسحب كرسيه على الأرض بشكل
متعمد وغريب وحميم وقال " حدثينى أكثر عن حياتك يا لويس " .

" هل أخبرته أى شيء ؟ "

نعم، لقد فعلت، ياله من رجل، المسكين لقد أخبرته بكل شئ قلته لك.

لم يفعلها أحد من قبل، وسألنى وطلب منى أن أخبره عن حياتي ولا حتى توم، لم يقل أحد هذه الجملة الملحقة لأنني أو سالى أو لين، فقد أقسمن على ذلك.

اتصلت بارثر سبرينجر وسألته مباشرة كيف تجراً وسائل حماتي مثل هذا السؤال الغريب والحميمى؟

"حسنا" قالها بخجل وهو سعيد لقول ذلك. لقد تعلم التقنية مؤخرا في ورشة عمل للنشر عن العلاقات الشخصية، والتي أرسلته إليها سكريبانو ولورانس، وكان ذلك بعد أن ذهب كاتب "darling buds" إلى كنوف. يبدو وكأنه قال شيئاً تنقصه اللياقة ومن ثم أثيرت ضجة كبيرة على لا شئ. ولكن طلب منه الالتحاق بورشة في نهاية الأسبوع ليستطيع الانغماض في العلاقات الاجتماعية القوية. فيرمونت، حيث يوجد كوخ الصيد القديم ونصف درزيينة من العاملين البسطاء. المفتاح كما تعلمه من مدير الورشة كان بسيطا فهو عليه أن يسأل الناس، وخاصة الكتاب، عن مسار حياتهم وتجدهم ينخرطون في الحديث، وهي طريقة غير مؤذية وفعالة. لقد قام بتجربتها مرات قليلة، ولكنها كانت دائماً ما تحقق نجاحا هائلا.

قلت "لم تقل ذلك لي، لم تسألنى أن أخبرك عن حياتي"

"حسنا، أستطيع أن أفعل هذا، هل أفعل؟"
"لا، لقد فات الأوان"

"أنا آسف يا ريتا. أنا أريد حقاً أن أعرف المزيد عن ريتا وينترز
الحقيقة، يوماً ما عندما يكون لدينا الوقت".

في هذه الثناء، كلمة أخرى لها دلالة، "في هذه الثناء" توصلت
إلى خاتمة "Thyme in Bloom"، انتصرت أليسيا ولكن بطريقتها
المتفردة. سيتم نشر الكتاب في بداية الخريف، وكل شيء تم بعناية
حتى النهاية. وحيث أن النهاية الجيدة هي نتيجة لخيال الذهلي،
كما نعلم جميعاً، فقد قمت بتجميع كل الأجزاء النثرية ولكن ماذا
يعنى هذا التعنت؟ لا يعنى أن كل شيء سيصبح جيداً للأبد، وإنما
يعنى أنه لمدة خمس دقائق تم تحقيق التوازن على هامش نص
الرواية، وذلك سيستغرق خمس ثوان ثم المليون جزء في جزء من
الثانية ولكن ذلك مبدأ غير يقيني، هل هناك من سيصدق غير
ذلك؟

توقع سكريبانو ولورانس نجاحاً معقولاً، لقد تراجع السيد
سبرينجر عن تحفظاته التحريرية عندما تمت كتابة مقالة نقدية
عن My Thyme Is Up في مجلة بيل للدكتور تشارلز سيزى عميد
الجامعة المخضرم في العلوم الإنسانية. صدرت المقالة في فبراير
كمفاجأة لإعادة التقييم والتقدير للرواية، واهتمت بها الصحافة

الشعبية وحدثت ضجة، حتى مجلة "Entertainment Weekly". لم يتم استيعاب الأفكار الهدامة في الرواية كما يبدو من قبل مراجعها الأصليين منذ عامين مضيا. تم التصحح في محله وما كان ينظر إليه كشئ بسيط أصبح الآن شيئاً بارعا. رحلة بارعة غاية في القوة، هكذا قال الدكتور سيزى وهذا الاقتباس سيظهر بالطبع في مقدمة تتمة الرواية، وبالطبع ستتم طباعة اسم دكتور سيزى على غلاف الرواية وسيكون بنفس حجم اسم ريتا وينترز، ولكن لا أحاو أن أفكر في معنى هذا. لاحظت شيئاً آخر، وهو أن منظور دكتور سيزى الذكي تسبب في جعل عقلى يفكر خارج النطاق الطبيعي، ومنذ ذلك الحين عقلى ينظر إلى باحتراف وسخرية.

فقدت دانيال ويسترمان الثقة فيّ، وقررت أن تترجم كتابها بنفسها، والأجزاء التي جعلتني أراها دقيقة وساحرة، نعم إنها ساحرة، وأعتقد أن بسبب هذا المفهوم لم تعد تنق بي، ولكن الآن يمكنني أن روئية أن السحر يمكن أن يكون لفتة تجاه الأصالة، عندما يسمح لنفسه أن يدخل في التيار الصاعد، وعندما ينطلق في طريقه إلى نوع مختلف من الجو الثقافي. كانت تترجم حوالي صفحة في اليوم، وكانت ترسلها إلى من أجل التغيير والتبديل، وكانت أرسلها لها خلال ساعة وكانت أفكراً في كل مرة وأنا أضفط على زر البدء: يا له من جهاز أنيق، تجلس في زاوية خاصة بها في منتهى الحكمة والاحترام عندما تقارنها برسالة بريدية بشعة. إنها

تضييف إلى مذكراتها، فهي تكتب عن والدتها وتعترف أخيراً، وفي النهاية يجب أن تحتوى المذكرات على كلام يخص الأم. والآن تجمع بين الهوتين اللتين لم توفق أبداً بينهما؛ الابنة والكاتبة. إن الترجمة تحافظ على حدة عقلها كما تقول هي، وكأنها تحل الكلمات المقاطعة، والترجمة لها مهمة يومية ستبدأها وتستكملها، لقد بلغت لتوها عامها السادس والثمانين.

أنا بالفعل أفكر في الكتاب الثالث من هذه الثلاثية "Autumn Thyme"، سيفتح ذلك الباب لمزيد من التعبيرات الرسمية. أريد أن يكون الكتاب ذا نفمة رقيقة كأوركسترا التورمبون، ومن ثم يتحرك تصاعديا نحو الاتكمال إلى حد ما، الطبيعة التي لم يتم التوصل إليها بعد. أريد لهذا الكتاب أن يكون على استعداد للعيش مع القارئ في غرفة واحدة إذا لزم الأمر، أريده أن يبقى متمسكاً كلوجة زيتية، لوحة بعنوان: السيدة الجالسة أو المرأة في وقت الراحة. نصف عملى سيكون قد انتهى بالنسبة لي، أو على الأقل من قرأوا أول كتابين. هؤلاء القراء سيقبلون أن أليسيا ذكية وخلقة وقدرة على اتخاذ قرارات أخلاقية، نفس الأخلاقيات التي نؤمن بها أو نتوقع أن نراها في بطل ذكر بدون إثبات حتى. سيكون كتاباً أكثر كآبة من سابقيه وأقصر. كلمة الخريف ستذكّرنا بالهمس الحزين والإيجاز وهي حالة أعرف عنها القليل. هناك قدر قليل من الاستسلام أيضاً سيرتبط بأحداث الرواية الثالثة، كهدية من دانيال

ويسترمي وأيضا هناك القدرة على تحمل المصاعب. الآن عندك الصمود والقوة والحزن والاستسلام والتناقض واللاعقلانية، يمكنك أن تقول أنه كل ما يمكن أن تراه في كتاب جاد.

يوما بعد يوم تستعيد نورا صحتها في المنزل وتفيق تدريجيا وتخطط بخجل خريطة افتراضية لحياتها. انه لشئ رائع أن نرى هذا بالرغم من أننى وتوم لم تتح لنا الفرصة لإقامة حفلات صاحبة. كنا نراقبها عن كثب، ولكننا تظاهروا بأننا لا نفعل. يمكنها دراسة العلوم في الخريف القادم بجامعة ماكجييل أو حتى اللغويات، لازالت تفكير في الأمر. الآن هي نائمة وكلهم نائمون حتى بيت مستلق على أرضية المطبخ ويشعر بالدفء في معطفه الجميل من الفراء، الآن تجاوز الوقت منتصف الليل في وقت متأخر من شهر مارس.

المؤلفة في سطور:

كارول شيلدز

ولدت في الثاني من يونيو عام ١٩٢٥ في أوك بارك بـإلينوي.

قامت بتأليف ثمانى روايات ومجموعتين من القصص القصيرة.
حصلت روايتها "The Stone Diaries" على جائزة بوليتزر وقد تم
ترشيحها لجائزة البوكر، وفازت "Larry's Party" بـ"جائزة البرتقالة".
ولدت وترعرعت في شيكاجو وعاشت في كندا منذ ١٩٥٧ .

أعمال كارول شيلدز:

القصائد الشعرية:

الآخرون

الخطوط المتقطعة

المجرى إلى كندا

الروايات:

حفلة لاري

يوميات حجر

جمهورية الحب

موسم عازب (مع بلانش هاورد)

سوان

امرأة تقليدية نوعاً ما

المصادفة

كشك الحديقة

احتفالات صغيرة

مجموعات قصصية:

معجزات عديدة

السمكة البرتقالية

التحضير للمهرجان

المسرحيات:
المغادرون والعائدون
الأيدي الثلاثين
الموضة، القوة، الشعور بالذنب، إحسان العائلات (مع كاثرين
شيلدز)
الذكرى (مع ديفيد ويليامسون)

النقد:

سوزانا مودي: الصوت والرؤية.
جاين أوستن.

مختارات أدبية:
الخيوط المتساقطة (تم التصحیح مع مارزوین اندرسن)

المترجم فى سطور:

كريم هشام

تخرج من قسم اللغة الإنجليزية بكلية الآداب جامعة القاهرة،
وهو يعمل مترجماً منذ أربع سنوات، وقد تدرب في عدة أماكن
للترجمة خلال سنوات الدراسة. وبجانب عمله بالترجمة فهو أيضاً
شاعر وله ديوان تحت الطبع بعنوان "ف قلب الزحمة".

التصحيح اللغوی: خالد العنانى
الإشراف الفنى: حسن كامل



تساعدنا الرواية في أن نخفض صوت "خطابنا" الداخلي، إلا إذا كان يمكنها تقديم البديل، خطاب به تفاؤل وأمل، إنها مجرد سرد متفتت؛ إلا إذا.. إلا إذا.

إن كلمة إلا إذا هي كلمة القلق في اللغة الإنجليزية، فهي تطير مثل الفراشة حول الأذن؛ فالكاد يمكنك سماعها، ومع ذلك يعتمد كل شيء على وجودها. إلا إذا هي الكلمة الشرطية التي تحملينها بين تجاعيدك، فهي دائمًا موجودة أو غير موجودة.

إلا إذا كنت محظوظة، إلا إذا كنت سليمة وخصبة، إلا إذا أحبت وتغديت، إلا إذا كنت واضحة تجاه اتجاهاتك الجنسية، إلا إذا عرض عليك ما عرض على الآخرين، أنت تذهبين إلى الأسفل في الظلام، إلى اليأس. كلمة إلا إذا توفر لك باباً مسحوراً، نفقاً في الضوء.. إلا إذا هي معجزة اللغة والإدراك، إنها تجعلنا قلقين، وما كررنا مثل الذئاب التي تنشأ في معظم الحكايات الخيالية المثيرة، ولكنها تعطينا أملاً.

صدرت الرواية عام 2002، ورشحت جوائز متعددة، أهمها البوكر وسكوتانبك جيلر وأورانج.